



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله)
كلية العلوم الإنسانية



قسم التاريخ
أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ
تخصص: تاريخ قديم

الممالك اليهودية بين الشرعية التوراتية والدراسات التاريخية والبحوث الأثرية

إشراف الدكتور:

من إعداد الطالب:

أشلاف فطومة

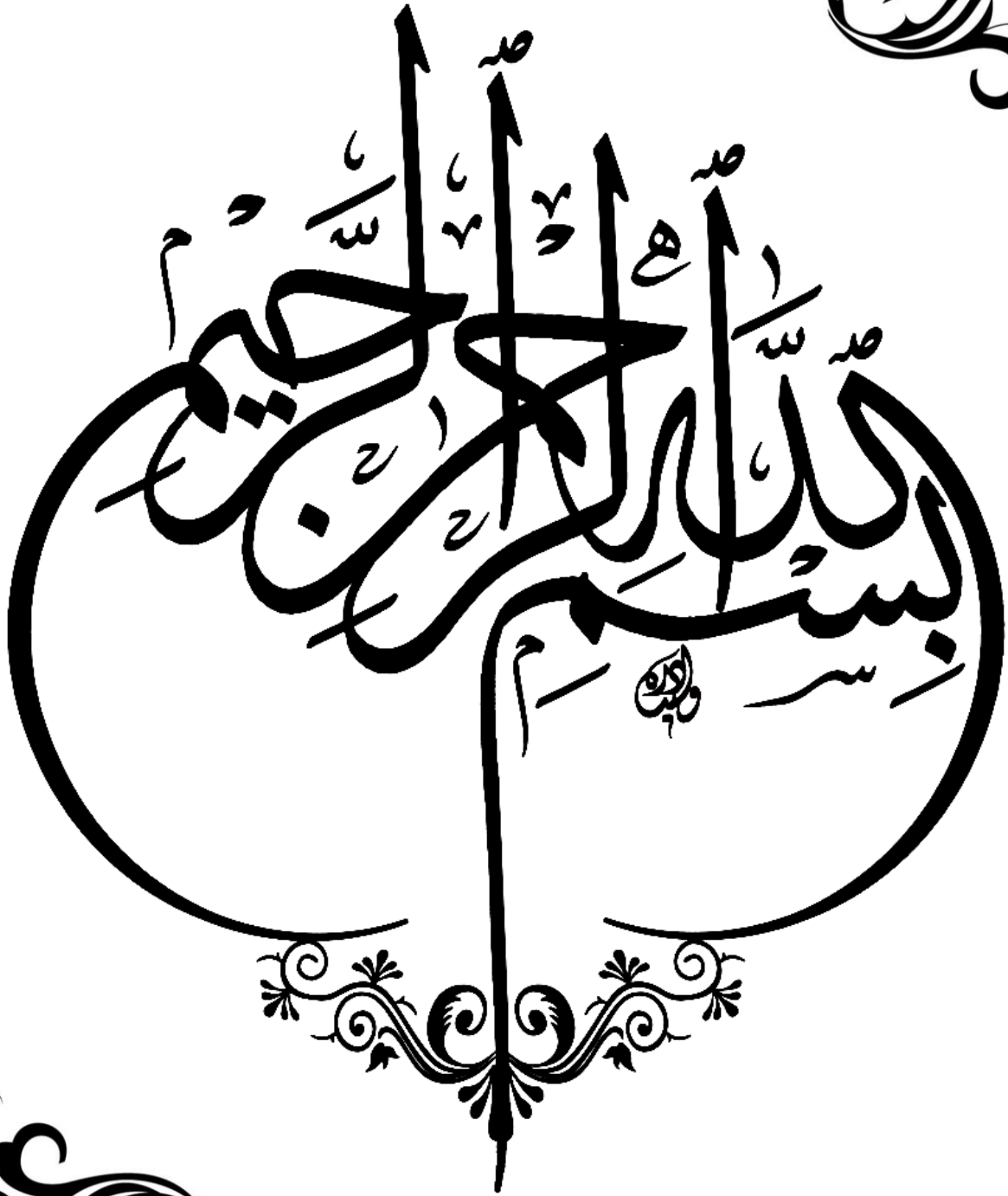
مهني مجيد

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة الأصلية
رمضاني أم هاني	أستاذة التعليم العالي	رئيسا	جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله)
أشلاف فطومة	أستاذة محاضرة "أ"	مشرفا ومقررا	جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله)
شميسة فايزة	أستاذة محاضرة "أ"	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله)
بورني دليلة	أستاذة محاضرة "أ"	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله)
خالفي جميلة	أستاذة محاضرة "أ"	عضوا مناقشا	جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة
بصال مليه	أستاذة محاضرة "أ"	عضوا مناقشا	المركز الجامعي مرسلني عبد الله تيبازة

السنة الجامعية

2021-2022 م / 1442-1443 هـ



شكر وعرفان

أتوجه بخالصي شكري وعرفاني وتقديري إلى المرحوم أستاذي
الفاضل بشاري محمد الحبيب طيب الله ثراه وجعل قبره روضة من
رياض الجنة وأسكنه مع الصديقين والشهداء الفردوس الأعلى، الذي
صحبني في رحلة البحث وقاسمني صنوف النصب والتعب، فقد كان
يشجعني على البحث، وكان لا يبخل بتوجيهاته السديدة وإبداء
ملاحظاته القيمة التي كان لها أثرها الواضح في تصويب البحث
وإخراجه في أحسن حال.

وأن لسان الشكر ليعجز على أن يوفي الدكتوراة الفاضلة أشلاف
فطومة التي قبلت مشكورة ومأجورة استخلاف المرحوم الأستاذ
الدكتور بشاري محمد الحبيب على الإشراف على أطروحتي فكانت
بصماتها واضحة في بحثي.

كما لا يفوتني من باب الأدب أن أقدم خالص تشكراتي لأساتذتي
الأكارم الذين درسوني في مرحلة الماجستير وأخص بالذكر الأستاذ
القدير رحمان بلقاسم والذي كان بمثابة الموسوعة المتنقلة فله مني
وافر الشكر والعرفان.

كما أتقدم بخالصي شكري للأستاذة القديرة الدكتوراة شافية شارن
أطال الله في عمرها ورزقها الصحة والعافية.

وأخيرا يطيب لي هنا أن أخص بالشكر والعرفان إلى كل من قدم لي يد
المساعدة في تذليل عقبات البحث التي كانت تعترضني، وأخص بالذكر
الطالب الفذ صاحب مكتبة القسم عبايدية محمد فله مني جزيل
الشكر خصوصا في إخراج البحث وتوضيبيه.

الإهداء

إلى من وضع الصولي سبحانه وتعالى الجنة تحت
قدميها ووفرها في كتابه العزيز... أمي الحبيبة
امدها الله بالصحة والعافية الى روح الوالد الكريم
طيب الله ثراه

الى شريكة حياتي زوجتي التي قاسمتني مسيرة
الحياة

إلى روح أستاذي القدير بشاري محمد الحبيب طيب
الله ثراه

إلى أبنائي

أحمد، أنفال، مصعب

أهدي باكورة جهدي العلمي.

مقدمه

التعريف بموضوع البحث:

كانت إقامة بني إسرائيل في مصر ومن ثم خروجهم منها واستقرارهم بعد ذلك في فلسطين، من أهم الاحداث التي احتفى بها كتاب العهد القديم، فالتاريخ المروي في العهد القديم هو بشكل رئيس تاريخ بني إسرائيل الذين يصفهم ذلك الكتاب بأنهم شعب الرب المختار، والمركز الذي تتمحور حوله خطط الرب للإنسانية جمعاء. لذلك ليس غريباً أن تعطى هذه الأهمية الاستثنائية لإقامة بني إسرائيل في مصر وخروجهم منها، ومن ثم استقرارهم في فلسطين، إذ أن هذه الاحداث تمثل ولادة أمة بني إسرائيل. يعد تاريخ بني إسرائيل من اعقد الاحداث التي مرت بها الإنسانية على مر التاريخ، ذلك أن هذا التاريخ قد امتزجت فيه وارتبطت معه عوامل التاريخ الاجتماعي والسياسي مع معطيات العقيدة الدينية لليهود سوى في العهود القديمة أو حتى وقتنا الحاضر.

يقول الله عز وجل في محكم آياته: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾ [الأنعام: 91]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۖ﴾ [المائدة: 44]، من هذا المنطلق لا يوجد قوم في العالم تلاعبوا بتاريخهم، حذفوا ورتبوا ونقحوا وأضافوا إليه مثلما فعل اليهود بتاريخهم عبر العصور، اهتم الكثير من المؤلفين والباحثين قديما وحديثا بتاريخ اليهود عبر العصور، فظهرت الكثير من المؤلفات بشتى اللغات، ناقشت من خلالها العديد من المسائل التي تخص تاريخ اليهود ومعتقداتهم ونمط وأسلوب حياتهم ومناطق توطنهم وغيرها من المسائل، ويأتي موضوع بحثنا هذا والموسوم ب: الممالك اليهودية بين الشرعية التوراتية والدراسات التاريخية والبحوث الأثرية. إضافة

جادة في حقل البحث حول اليهود وتاريخهم، في ظل تعدد الدراسات واختلافها من منهج لآخر حول محاولة تتبع التاريخ القديم لليهود، وحول مصادر البيئة الجغرافية لحركة التواجد اليهودي في التاريخ القديم، ومقومات النشأة الأولى للتاريخ اليهودي، يبقى المصدر المهيمن على كل هذه الدراسات التوراة كتاب اليهود المقدس، رغم ما شابه الكثير من المغالطات والمبالغات بل وحتى الأوهام التي في كثير من الأحيان بجانب الحقائق والأدلة التاريخية، في ظل شح الدراسات الأثرية المادية. ويتفق معظم الباحثين على أن أول ظهور لبني إسرائيل في فلسطين تم حوالي عام 1200 ق.م، وهي الفترة التي شهدت نهاية العصر البرونزي وبداية العصر الحديدي، لكنهم في المقابل يختلفون حول الكيفية التي تمت لهم السيطرة على تلك البلاد وإقامة ممالك يهودية مستقلة ميزت تاريخهم، وتنصب دراستنا لموضوع هذا البحث في المجال الزمني المحدد من مطلع القرن التاسع قبل الميلاد التاريخ المفترض لظهور ممالك اليهود في فلسطين إلى حدود القرن الأول للميلاد وبالضبط عام 70م تاريخ دمار القدس (أورشليم) على يد الرومان.

دواعي اختيار البحث:

تعود فكرة الكتابة في هذا الموضوع إلى رغبتني في الإجابة عن بعض الأسئلة التي مازالت تخالج الكثير من المنتبعين لشأن وجود اليهود في أرض فلسطين وعلاقة هذا الوجود قديما وحديثا بما يجري اليوم على أرض فلسطين، وما زاد شغفي في طرق هذا الموضوع الشائك هو ارتباط هذا الموضوع بثلاثية الأبعاد الزمنية (الماضي والحاضر والمستقبل) كون أن أحداثه ومعطياته التاريخية ما زالت مستمرة إلى يوم الناس هذا. وما موضوعي هذا سوى لبنة من لبنات البحث التاريخي عن صورة اليهود وتاريخهم الماضي التي يمكن أن تفيد القارئ العربي سواء كان من المتخصصين أو غير المتخصصين أمام حقائق تاريخية، وقد طرحت هذا الموضوع على المرحوم الأستاذ الدكتور القدير بشاري محمد الحبيب طيب الله ثراه، وكان يناقشني مناقشة علمية، وأبدى نصائح كثيرة وأرشدني إلى حسن السير في هذا

الموضوع لاسيما توخي الحذر والدقة في التعامل مع مصادره خصوصا مع نصوص التوراة وما كتبه الأيادي ذات الخلفية التوراتية في ظل شح الدراسات المادية الأثرية.

مصادر ومراجع البحث:

إن أول محاولة لتقديم دراسة شاملة عن تاريخ اليهود قديما في فلسطين، تضع الباحث وجها لوجه أمام معضلة تتمثل في قلة المصادر الموثوقة التي يمكن الاعتماد عليها، بالإضافة إلى أن أغلب المراجع التي يمكن الاعتماد عليها هي مراجع أجنبية كُتبت أغلبها من وجهة نظر متحيزة وغير أمينة، وهو ما أوجب القيام بتقييم دائم ومستمر للمعلومات الواردة فيها، ويمكن تقسيم المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث إلى:

المصادر الأدبية: وتشمل هذه المصادر بالدرجة الأساس التوراة كتاب اليهود المقدس رغم تحفظنا عما جاء فيه من أخبار حول اليهود، وكذا كتابات المؤرخين الذين تناولوا بالدراسة الفترة التي يعالجها بحثنا، مما يجعلها أحد الركائز الأساسية التي يعتمد عليها هذا البحث، نظرا لما تحويه من معلومات سياسية وعسكرية وجغرافية مهمة، ومن هذه المصادر نذكر ما يلي:

- يوسيفوس فلافيوس (Flavius Josephus) واسمه يوسف بن ماتاتيه، سياسي وقائد عسكري ومؤرخ يهودي، ينتمي إلى أسرة كهنوتية، من بين كتاباته المهمة في بحثنا هذا "تاريخ اليهود القديم" وهو الأطول بين أعماله، وقد استغرق تأليفه ما يقارب العامين (94/93م) ونشر بعد عشرين سنة من كتابته، ويتكون المؤلف من عشرين كتابا، فجاء الكتاب سردا لتاريخ اليهود منذ القديم، وكتابه الحرب اليهودية (Guerres des juifs contre les romains) الذي كتبه باللغة الآرامية وأشرف بنفسه على ترجمته إلى اليونانية، ولم يبق منه سوى الترجمة، وقد برّر فيه قضية تنصله من انتمائه إلى اليهودية، وقد حاولنا

توظيف ما جاء في هذا المصدر في بحثنا متوخين الحذر وعدم الثقة المطلقة في كل ما تناولته أعماله.

- استرابون (Strabon) 64 ق.م / 19م مؤرخ وجغرافي يوناني، من بين أعماله التي اعتمدنا عليها كتابه (الجغرافيا) والذي يتألف من سبعة عشرة كتاباً، وفي بحثنا هذا اعتمدنا على الكتاب السادس عشر الذي تناول فيه جغرافية سوريا وبلاد فلسطين وبلاد ما بين النهرين وبلاد العرب.

- بالإضافة إلى العديد من المصادر المعربة ككتابات ابن خلدون وابن الأثير وابن ماجة والشهرستاني وغيرها من المصادر التي تناولت في شكل شذرات متفرقة موضوع بني إسرائيل وغيرها من المسائل المرتبطة بتاريخهم.

المراجع:

اعتمدت في إنجاز هذا البحث على مراجع كثيرة ومتنوعة منها ما هو قديم ومما هو حديث، منها ما هو باللغة العربية ومنها ما هو باللغة الأجنبية ورغم ما وجدت في أغلبها من اختلاف في نظرتها للأحداث والوقائع إلا أن أغلبها اعتمدت هي الأخرى على التوراة كمصدر أساسي في استقاء المعلومات ومن هذه المراجع نذكر منها:

- محمد بيومي مهران وكتابه بنو إسرائيل بأجزائه الأربعة وقد أفادني في دراسة تاريخ العبرانيين القديم وصلتهم بأرض كنعان وأوضاع مملكتهم في عهدي داوود وسليمان بصورة خاصة.

- كمال الصليبي وكتابه التوراة من شبه الجزيرة العربية وما أحدثه من ضجة في إثبات أن كل الوقائع والأحداث التي ذكرتها التوراة كانت في شبه الجزيرة العربية ولم تكن في فلسطين.

- أباكار السقاف في كتابه إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة وهو كتاب قيم جدا تناول فكرة الأرض الموعودة التي تغنى بها بنو إسرائيل في أدبياتهم.
- أحمد الدبش وآخرون في موجز تاريخ فلسطين، من أقدم العصور حتى مشارف القرن الحادي والعشرين.
- أحمد سوسة في كتاباته الكثيرة والمتنوعة حول هذا الموضوع نذكر منها: أبحاث في اليهودية والصهيونية، العرب واليهود في التاريخ، مفصل تاريخ العرب واليهود في التاريخ.
- أحمد عبد الوهاب في كتابه فلسطين بين الحقائق والأباطيل. وغيرهم من الكتاب والمؤرخين الذين يطول الحديث عنهم ويمكن الرجوع الى قائمة المراجع والمصادر للاطلاع عليها.
- كما اعتمدت على العديد من الدراسات السابقة حول هذا الموضوع من خلال الاطلاع على رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه وهي كثيرة ويمكن الإشارة إلى بعضها:
- ابتهاج عادل إبراهيم الطائي: اليهود في المصادر المسمارية خلال الألف الأول قبل الميلاد.
- عادل حسين الرحامنة، خروج بني إسرائيل من مصر والمجتمعات المعاصرة له في غربي الشرق الأدنى القديم دراسة تاريخية.
- عماد خضير سلمان، سياسة التهجير الآشوري والبابلي لليهود ودور الفرس في ضوء أسفار العهد القديم دراسة تاريخية مقارنة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2015 .
- فتحي محمد الزغبى، تأثر اليهود بالديانة الوثنية، ط1، أطروحة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، مصر.

- مجيد جاسم احمد محمد، علاقة بني اسرائيل بأرض كنعان في ضوء اسفار العهد القديم وأثرها في توجيه الفكر الصهيوني دراسة تاريخية تحليلية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2015.

إشكالية البحث:

إن الوصول إلى أهداف هذه الدراسة يحتم عليا الباحث تحديد إشكالية هذا البحث التي تتمثل في مجموعة من التساؤلات والفرضيات التي نحاول من خلالها الإجابة عنها وفق منهج علمي متبع في الدراسة ومن أهم هذه التساؤلات:

- ما سر وجود اليهود في الشرق الأدنى القديم؟ وما علاقتهم بالنبي إبراهيم ولماذا يصرون الانتساب إليه وينكرون ذلك على باقي الشعوب المنحدرة من أبنائه الآخرين؟
- آثار الاستيطان اليهودي في بلاد كنعان بين خيال نصوص التوراة ورؤية علم الآثار.

- هل يمكن اعتماد الرواية التوراتية كمصدر في فهم تاريخ بنو إسرائيل؟
- أين تكمن العلاقة بين بنو إسرائيل والأمم القديمة في بلاد الشرق القديم؟
- مامدى ارتباط فكرة أرض الميعاد عند بنو إسرائيل وارتباطها بمفهوم الوعد بالأرض بين نصوص التوراة وما جاء في القرآن الكريم ومدى التزام اليهود بذلك؟

مناهج البحث:

لقد اتبعت في محاولة الإجابة عن تلك التساؤلات والإشكاليات المطروحة، وفي تنظيم المادة العلمية وتحليلها ومناقشتها على منهجين أساسيين:

- **المنهج الوصفي:** وهو منهج تاريخي اعتمدته في عرض المادة الخبرية وتقديم الأدلة والبراهين خاصة عند ذكر بعض الأحداث والظواهر التي تتطلب الوصف، سواء كانت ظواهر سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو عسكرية.
- **المنهج التحليلي:** ولقد اتبعته في دراسة وتحليل المعطيات العلمية التي تتطلب التحليل سواء كانت نصوص أو آراء أو غيرها.

خطة البحث:

بعد اطلاعي على المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع استطعت أن أضبط خطة بحثي في أربعة فصول بالإضافة إلى مدخل تمهيدي.

تعرضت في المدخل التمهيدي اليهود وإشكالية التسمية، وأهم الشعوب التي استوطنت أرض كنعان، كما تعرضت إلى إشكالية عقيدة الأرض المقدسة في الفكر اليهودي وكيف تناولتها نصوص التوراة ونصوص القرآن الكريم، أما الفصل الأول بعنوان: اليهود منذ ظهور موسى عليه السلام حتى قيام الملكية الإسرائيلية، إذ تطرقنا فيه إلى ظهور اليهود وارتباطهم بموسى عليه السلام في مصر، وفكرة خروجهم من أرض مصر إلى بلاد كنعان، أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان قيام الملكية الإسرائيلية وبداية التأسيس للكيان الإسرائيلي، تناولنا فيه بداية تشكيل الكيان السياسي لبني إسرائيل في عهدي داود وسليمان، وأهم الإنجازات التي شهدتها المملكة الموحدة في هذا العصر الذي يُعد العصر الذهبي لبني إسرائيل، وفي الفصل الثالث بعنوان: يهوذا والسامرة من الانفصال إلى التمزق والشتات تعرضت فيه بالتحليل والدراسة أسباب انقسام وتشنت اليهود، وبداية التنافس على الملك، كما تناولنا أهم الأحداث التي شهدتها مملكة يهوذا والسامرة (السياسية، العسكرية... والاجتماعية والدينية.)، وختمنا هذا الفصل بداية ظهور الأطماع الآشورية والبابلية التي عجلت بنهاية الكيانات السياسية لليهود. أما في الفصل الرابع والذي جاء تحت عنوان اليهود في ظل هيمنة الامبراطوريات

الكبرى، تناولنا فيه الأطماع الفارسية والإغريقية والرومانية التي تعاقبت على المنطقة وموقف وردود فعل بنو إسرائيل من ذلك.

صعوبات البحث: إن النظرة الفاحصة في هذا الموضوع تجعلنا ندرك الصعوبات التي يلاقيها الباحث خصوصاً إذا كان بحثه يتناول مسائل ومواضيع يقع فيها الاختلاف في وجهات النظر، لذلك يمكن أن نحدد أهم المشاكل التي اعترضت سبيلي في هذا البحث في الآتي:

- ان ما كُتب في هذا الموضوع من دراسات وأبحاث كثيرة جداً، وما كتب باللغة العربية ينقص أكثره التوثيق العلمي للأحداث الذي يضبط البحث ويجعل معلوماته أكثر مصداقية وهي من مميزات البحث العلمي الجاد.
- ما كتب في هذا الموضوع باللغات الأجنبية قد جانبته الموضوعية والأمانة العلمية، وخضع لأغراض سياسية أو دينية رسمت مسبقاً في أذهان بعض المستشرقين الصهاينة، ونشرت بشكل واسع في العالم الغربي حتى أصبحت في غياب الدراسات العربية وكأنها حقيقة مسلم بها.
- إن أكثر الذين كتبوا في هذا المجال هم من اليهود أو من تلاميذهم، فكتبوا عن هويتهم وتاريخهم أعداد ضخمة من المراجع والكتب والمقالات، حيث صوروا فيها تاريخهم بأنه تاريخ البشرية وحضارتهم بأنها منبع الحضارات، وعقيدتهم بأنها أسمى العقائد وهاجموا تاريخ من سواهم.
- يحرص اليهود أشد الحرص على السيطرة على مراكز البحث والدراسات الشرقية وذلك من أجل توجيهها لخدمة أغراضهم التاريخية والسياسية، مما كلف ذلك تزييف الحقائق وطمسها.

- اقتصار أكثر الدراسات التاريخية على العصور الحديثة والمعاصرة من خلال مواضيع الصهيونية وصراعها مع الامة العربية الإسلامية.

مدخل مفاهيمي
اليهود وإشكالية
التسمية

لقد عرف اليهود عبر العصور المتعاقبة بأكثر من تسمية، وبهذا التعدد في المسميات أصبح من الخطأ عند الكثير وحتى من الباحثين والمتخصصين عدم التفرقة بينها (عبري، إسرائيلي، يهودي) والحقيقة أن لكل تسمية منها تدل على معنى خاص ومحدد، كما تشير في نفس الوقت إلى مرحلة زمنية معينة من مراحل التاريخ اليهودي العام.

1- تباين التسميات ووحدة المسمى:

- **العبرانيون:** لاشك أن هذه التسمية هي الأكثر جدلا عند الكثير من المؤرخين والباحثين، نظرا لما تحويه من دلالات لغوية، واثنيه، وكان إبراهيم أبو الأنبياء قد وصف بها، وإن تباينت الآراء في سبب هذا الوصف فمنهم من يرى أن إبراهيم الخليل، ⁽¹⁾ قد عرف بالعبراني، حين خرج بأهله من مدينة أور ⁽²⁾ الرافدية قاصدا بلاد كنعان حيث عبر نهر الفرات ⁽³⁾. وهذا ما ورد في أسفارهم على لسان يَشُوع "هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: آبَاؤُكُمْ سَكَنُوا فِي عَبْرِ النَّهْرِ مُنْذُ الدَّهْرِ. تَارَحَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ وَأَبُو نَاخُورَ، وَعَبَدُوا آلِهَةً أُخْرَى." ⁽⁴⁾

رأي يرى أن كلمة عبري تحمل في ثناياها مغزى وبعد اجتماعي نظرا للمكانة الدونية التي أتصف بها العبرانيون الذين كانوا يشكلون جماعات بدوية ألفت الترحال والتنقل، وكانت في نظر الشعوب الأخرى، أقل حظا من الحضارة والتحضر، وأثناء تتبعنا لبعض نصوص التوراة أمكن لنا تقصي هذه الدلالات والمعاني، حينما تذكر أبرام العبري والذي يقصد به

⁽¹⁾ تروي التوراة، أن إبراهيم الخليل كان يدعى (أبرام) حتى سن التاسعة والتسعين من عمره فتغير اسمه إلى (إبراهيم) (أبراهام) إبراهيم، وتعني الأب الرفيع، أو الأب الكريم، وأما إبراهيم فبمعنى أب لجمهور من الأمم، وقد ورد في القرآن الكريم باسم (إبراهيم) في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِئَنِي مَا تُعْبُدُ" أنظر: بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج1، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1999، ص58 وما بعدها.

⁽²⁾ أور، أو أور الكلدانيين كما وردت في بعض نصوص الكتاب المقدس، وهي من أشهر المدن البابلية التي تقع قرب نهر الفرات. وهي من المدن السابقة للوجود السومري في المنطقة، دخلت في عداد المدن السومرية في عهد الملك لوجال جازيسي في الألف الثالثة قبل الميلاد، تحتوي على قبور العهود الأولى في أور المزامنة لعصور العبيد وأوروك وجمدة نصر انظر: هنري. س. عبودي، معجم الحضارات السامية، ط2، طرابلس، لبنان، 1991، ص147؛ سفر التكوين 28/11.

⁽³⁾ تقي الدين المقرئ، تاريخ اليهود وأثارهم في مصر، تحقيق عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة، ص17؛ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج1، المرجع السابق، ص29؛ ابن ماجه (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني)، سنن ابن ماجه، تح محمد ناصر الدين الألباني، ط3، مكتبة المعارف، الرياض، 2008، ص40؛ عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ط3، د ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص285.

⁽⁴⁾ سفر يوشع 1/24.

إبراهيم الذي كان غريبا في أرض كنعان والذي لم يكن يتمتع بحقوق المواطنة الكاملة⁽¹⁾، وهناك نصوص توراتية أخرى وردت في الكثير من أسفار اليهود والتي تشير في مضامينها ودلالاتها إلى أسلوب التحقير والخط من القيمة، وبالتالي فكلمة عبري تعني أعراب بمعنى البداوة، ففي قصة يوسف عليه السلام كما ترويها نصوص التوراة، عندما أشارت زوجة رئيس الشرطة على يوسف بأنه رجل عبري⁽²⁾، وبأنه العبد العبري⁽³⁾، ومن هذا المنطلق فكلمة عبري كانت تطلق للدلالة على قلة الحظ من التحضر والتمدن، ولم تكن مقصورة على جنس، أو قوم بعينهم، وبالتالي فإن هذه الكلمة لم تكن تسمية مقصورة على من عرفوا بعد ذلك بأنهم بنو إسرائيل فقط، بل كانت تشمل أيضا شعوبا وأقواما، كالعُمونيين والمديانيين والمؤابيين، والأدوميين الذين كانوا أقل تحضرا بمن عاصرهم من أهل زمانهم، مثل الكنعانيين والمصريين (أنظر الملحق رقم 01). ولعل هذا ما نلمسه في نصوص القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾⁽⁴⁾.

ويذهب بعض الباحثين أن كلمة عبري⁽⁵⁾ مأخوذة من عابر أحد أجداد إبراهيم عليه السلام⁽⁶⁾، وهذا ما جاء في سفر التكوين: {وَسَامٌ أَبُو كُلِّ بَنِي عَابِرٍ، أَخُو يَافَثَ الْكَبِيرِ، وَلَدَ لَهُ أَيْضًا بَنُونَ ٢٢. بَنُو سَامٍ: عِيلَامُ وَأَشُورُ وَأَرْفَكْشَادُ وَلُودُ وَأَرَامُ ٢٣. وَبَنُو أَرَامَ: عُوْصُ وَحُوْلُ وَجَاتُّرُ وَمَاشُ ٢٤. وَأَرْفَكْشَادُ وَلَدَ شَالَحَ، وَشَالَحُ وَلَدَ عَابِرَ ٢٥. وَلِعَابِرَ وَلَدَ أَبْنَانُ: أَسْمُ الْوَالِدِ فَالَجُ لِأَنَّ فِي أَيَّامِهِ قُسِمَتِ الْأَرْضُ. وَأَسْمُ أَخِيهِ يَقْطَانُ ٢٦. وَيَقْطَانُ وَلَدَ: أَلْمُودَادُ وَشَالَفُ

(1) سفر الخروج، 2/21.

(2) سفر التكوين 14/39.

(3) سفر التكوين 17/39.

(4) سورة يوسف، الآية 100.

(5) عبد الله محمد أبو علم، اليهود لا موثيق ولا عهود، دط، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ص 149 وما بعدها.

(6) محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، دط، دار الثقافة العربية، 2002، ص 20؛ سفر التكوين، 24/10.

وَحَضَرُمُوتَ وَيَارَحَ ٢٧ وَهَدُورَامَوْأُرَالَ وَدِقْلَةَ ٢٨ وَعُوبَالُوْأَبِيمَايَلِ وَشَبَا ٢٩ وَأُفِيرَ وَحَوِيلَةَ وَيُوبَابَ. جَمِيعُ هَؤُلَاءِ بَنُو يَقْطَانَ⁽¹⁾. وبذلك يعد العبرانيون من الأمم السامية⁽²⁾.

من خلال نصوص الإصحاح العاشر من سفر التكوين، أن العبرانيين⁽³⁾ كانوا يعرفون في زمانهم ببني عابر وحسب التفسير التوراتي يعد عابر جد الشعوب العبرانية، وهو من سلالة سام بن نوح عليه السلام الذي جاء من نسله خمسة أبناء، أحدهم أرام جد الآراميين، من الأربعة الباقين أرفكشاد، وهو جد عابر الذي انحدر منه العبرانيون⁽⁴⁾. ومن هذا المنطلق نرى أن بني إسرائيل بهذا المفهوم كانوا يشتركون في مصطلح العبرانيين مع شعوب أخرى، وهذا ما يدفعنا للتساؤل لماذا ينسب إبراهيم عليه السلام إلى جده عابر، الذي يمثل الفرع، بينما كان من الأولى أن ينسب إلى جده سام الذي يمثل الأصل؟ وهل ظهرت هذه التسمية قبل عبوره نهر الفرات⁽⁵⁾، وهو ما زال في أرض قومه؟ وهي في الحقيقة تساؤلات مشروعة لم تجيبنا عنها المصادر وتبقى مجالا للبحث بينما يرى آخرون أن كلمة عبري لا تعود في الأصل إلى شخص بعينه أو إلى أصل من الأصول الإثنية، وإنما تعود في حقيقة الأمر إلى طبيعة حياة بني إسرائيل عموما القائمة على عدم الاستقرار والتنقل بمواشيهم، كونهم شعوبا رعوية الفت الترحال من منطقة إلى أخرى بحثا عن الكأ لمواشيهم، وكلمة عبري مشتقة من الفعل الثلاثي عبر، يعبر، عبورا، عبر النهر بمعنى اجتازه، قطعه من جانب إلى جانب وكل

(1) سفر التكوين 10، الآية 21، 30.

(2) الساميون: هذه التسمية ترجع إلى صحيفة الأنساب التي وردت في الإصحاح العاشر من سفر التكوين، من الآية 21 إلى 31، التي أرجعت السلالات البشرية على تعدد قبائلها وشعوبها، إلى أبناء نوح عليه السلام الثلاثة (سام وحام ويافت)، أما الاستعمال العلمي للفظ سامي، فحديث العهد يرجع إلى عام 1781م إلى المستشرق الألماني (أوجيست لدوج شلوتر)، حيث يذهب في قوله: "من البحر الأبيض المتوسط إلى الفرات، ومن أرض الرافدين حتى بلاد العرب جنوبا، سادت كما هو معروف لغة واحدة. ولهذا كان السوريون والبابليون والعبرانيون والعرب شعبا واحدا، وكان الفينيقيون (الحاميين) أيضا يتكلمون هذه اللغة التي أود أن أسميها اللغة السامية" وقد أجمع العديد من الأثريين والمؤرخين وعلى رأسهم كل من: (روبرت سميث، ووليام ألبرتوسيتينو موسكاتي وحسن ظاظا) على أن موطن الساميين إنما هو شبه الجزيرة العربية. للمزيد أنظر: سيتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ت، السيد يعقوب بكر، د ط، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968، ص 239؛ بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج 2، دار المعرفة، القاهرة، 1999، ص 463 وما بعدها، Reynold.A.Nicholson, M.A.A., literary History of the Arabes , London, 1907, p16.

(3) سفر أعمال الرسل 1/6.

(4) كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ت، غيف الرزاز، ط 6، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت لبنان، 1997، ص 253.

(5) مؤلف مجهول، التوراة تاريخها وغاياتها، ت، سهيل الديب، ط 2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1977، هامش، رقم 2، ص 15.

هذه المعاني تدل على معنى التحول والتقل من منطقة إلى أخرى⁽¹⁾، وهي في الأصل سلوك ألفه أهل الصحراء والبادية، وبالتالي فكلمة عبري تقابلها كلمة بدوي، أي سكان البادية⁽²⁾.

وهو الرأي الذي انحاز إليه المؤرخ الإسرائيلي، إسرائيل ولفنسون إذ يذهب في القول: "بان كلمة عبري لا ترجع في الأصل إلى شخص بعينه وإنما تدل على الموطن الأصلي لبني إسرائيل الذين كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تعرف الاستقرار، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بحثا عن الكأ والماء لمواشيها"⁽³⁾.

بينما يشير فريق آخر من الباحثين إلى أن هناك علاقة بين كلمة عبري واللفظين عبيرو وخبيرو التي ورد ذكرها في المصادر المصرية والمصادر البابلية والآشورية القديمة⁽⁴⁾، والتي نعتت بها بعض القبائل في شمال شبه الجزيرة العربية، وذلك في حدود تقريبا الألف الثانية قبل الميلاد⁽⁵⁾، والتي كانت اللغة العبرية لغة هؤلاء الأقوام. ربما تبدو هذه العلاقة من خلال نمط الحياة الموحد لهذه الجماعات، إذ نجدهم أحيانا جنودا مرتزقة في أوقات الحروب، وفي أوقات السلم سرعان ما يتحولون عمالا مأجورين⁽⁶⁾ في حقول الزراعة، وممارسة الرعي المأجور للآخرين، وأحيانا جماعات هائمة من قطاع الطرق، كما كانت مناطق تواجدهم، تشكل ملاذا للهاربين من العدالة⁽⁷⁾. وهذا ما أشارت إليه نصوص سفر

(1) حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم تعريف بالقرارات اللغوية والحضارية عند العرب، ط2، دار القلم دمشق، والدار الشامية، بيروت، 1990، ص62

(2) ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ط1، مطبعة الإعتدال، القاهرة، مصر، 1929، ص78؛ كمال الصليبي، المرجع السابق، ص136.

(3) إسرائيل ولفنسون، المرجع السابق، ص77؛ محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ط2، دار الشروق، مصر، 1968، ص9.

(4) يوجد اعتقاد عند بعض الباحثين إلى وجود علاقة بين لفظ عبيرو ولفظي خبيرو وعبيرو، المذكورين في المصادر المصرية والآشورية والبابلية القديمة، وهذه القبائل في أغلب الظن أنها قبائل عربية وقبائل آرامية والتي ينحدر منها إبراهيم جد العبرانيين. أنظر: فاطمة الزهراء عزوز، الروابط الفكرية الفينيقية العبرانية المعتقدات الدينية الآداب الفنون من ق10 ق.م إلى القرن 1 ميلادي، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية 2005/2006، ص57؛ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص33.

(5) محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، المرجع السابق، ص20.

(6) Albright, W.F, Archaeology and the religion of Israel, fifth ed, the John Hopkins Press, Baltimore, 1968, P200.

(7) فراس سواح، ارام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1995، ص26؛ جان بوتيرو، ولادة اله التوراة والمؤرخ، ت، جهاد الهواش، وعبد الهادي عباس، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة، 1999، ص32؛ كارين أرمسترونج، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ت، فاطمة نصر ومحمد عناني، دط، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، 1998، ص55.

الخروج بالقول: " فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل."⁽¹⁾ وفي سفر اللاويين نقرأ ما يشير إلى ذلك " أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر من كونكم لهم عبيدا..."⁽²⁾ لذا نجد كلمة عبراني قد استخدمت للإشارة إلى نوع معين من العبيد، ولتمييز العبد الغريب أو الكنعاني، فالعبد العبري، كما ورد في المنشأ⁽³⁾ يشتري بنقد وسند، في حين يشتري العبد الغريب بنقد وسند وحق تملكه بمضي ست سنوات، فقد ورد في الأحكام التي وضعها موسى لأتباعه، حيث وردت في نصوص أسفار العهد القديم ما يشير إلى ذلك⁽⁴⁾ وكلمة عبري لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، وإنما وردت في بعض آيات القرآن الكريم، تحت مسميات أخرى مثل (بني إسرائيل وقوم موسى واليهود، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁵⁾ وقوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾⁽⁶⁾ وقوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽⁷⁾.

فصلت نصوص القرآن الكريم في عقيدة وانتماء إبراهيم عليه السلام، وبالتالي فإن استحضار وربط أدوار تاريخية انقضت، ونسبها إلى إبراهيم هي مصادرة للتاريخ.

بينما ورد ذكرها في السنة النبوية المطهرة، من حديث عائشة رضي الله عنها في مسألة نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم، قالت: "فانطلقت به (النبي صلى الله عليه وسلم) عليه

(1) سفر الخروج 1/13، 14.

(2) سفر اللاويين 13/26.

(3) المنشأ: هي التوراة الشفوية، أي مجموعة التفسير التي وضعها حاخامات اليهود للتوراة، وما أضافوه عليها من قواعد شرعية وتعاليم، والتي كانت تدرس وتنقل شفاهيا، إلى أن قام بجمعها وتبويبها وتنظيمها (يهودا الناصي) عام 216م. انظر: أدين شتاينسالتر، مدخل إلى التلمود، ت، فينيثا الشيخ، ط1، دار الفرق، دمشق، سوريا، 2006، ص12.

(4) سفر الخروج 2/21.

(5) سورة آل عمران 67.

(6) سورة البقرة 40.

(7) سورة البقرة 122.

وسلم)، خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي، وكان امرؤ تتصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرية، ما شاء الله أن يكتب⁽¹⁾. ووردت كذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ- وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾"⁽²⁾. هذا وتجدر الإشارة انه حتى نصوص العهد القديم لا تشير إلى اللغة التي تحدث بها بنو إسرائيل في ارض كنعان عدا اللغة الكنعانية⁽³⁾، ربما مرد ذلك أن اليهود في فترة السبي الأشوري والبابلي وإثناء كتابة التوراة، كانوا قد اندمجوا وذابوا في المجتمعات التي احتكوا بها في كل من آشور وبابل، ناهيك عن ضحالة اللغة العبرية في العطاء الحضاري، واقتصارها إلا على الجوانب الدينية البحتة⁽⁴⁾.

على أي حال، فإنه ومن خلال عرض الآراء السابقة، يتضح، أن نسبة العبرانيين إلى فعل العبور والتنقل في الصحراء أولى، وذلك للمآخذ التي وردت على الأقوال الأخرى، وأيضاً لشمول هذا المصطلح لكثير من القبائل الأخرى المتنقلة من مكان لآخر والتي يغلب عليها طابع البداوة والارتحال.

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 22/1.

(2) سورة البقرة، الآية، 136.

(3) سفر أشيعا 18/19.

(4) رشاد عبد الله الشامي، إشكالية اليهودية في إسرائيل، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997، ص 50؛ أبراهام ملمات، حاييم تدمور، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ت، رشاد الشامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001، ص 17.

- إسرائيل:

لفظة إسرائيل مكونة من كلمتين ساميتين هما: اسر بمعنى غلب وايل بمعنى اله أو الله، وقد وردت في مواضع عديدة من أسفار العهد القديم، سفر الخروج 9/1 " شعب بني إسرائيل"، "طائفة بني إسرائيل" في سفر الخروج 3/12. كما ترد "شعب إسرائيل" في سفر صمويل الثاني الإصحاح 7/18.

إسرائيل هو نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلًّا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾⁽¹⁾ وبما رواه ابن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل - أن عصابة من اليهود جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله - وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى صلى الله عليه وسلم، هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر الله نذراً لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، و أحب الشراب إليه ألبانها ؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد."⁽²⁾

إسرائيل وردت في الكتاب المقدس، بمعنى "المصارع مع الرب"، أو "المجاهد مع الرب"⁽³⁾ وهذا ما أشار إليه سفر التكوين في الإصحاح الثاني والثلاثون "فقال ما اسمك فقال يعقوب فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل" وهو الاسم الذي أمر الرب أن يتخذه يعقوب.⁽⁴⁾

(1) سورة آل عمران الآية 93.

(2) الحافظ ابي القاسم سليمان بن احمد الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ج12، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت، ص247.

(3) سفر التكوين، 24/32، 29.

(4) سفر التكوين 9/35، 13؛ سفر التكوين 29/32، 35، 30/6، 8، 12، 18، 20، 21، 24/18/35.

تزوج يعقوب إسرائيل عليه السلام، ابنتي خاله ليئة وراحيل، بعد أن أوفى بالتزاماته في خدمة لابان خاله، في حران بالعراق، وبعد أن وافق على المهر المقدم والمتمثل في خدمة خاله سبع سنين، فرزق منهن اثنا عشرة ولدا⁽¹⁾، منهم يوسف النبي عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام وهم أجداد بني إسرائيل الذين تفرعت عنهم أسباطهم وقبائلهم.⁽²⁾

وبنو إسرائيل هم أولاد يعقوب الإثني عشر نسبا والوارد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾⁽³⁾، وبالتالي فإن بني إسرائيل ليست انتماء ديني عقدي بقدر ما هي انتماء لنسب من جهة يعقوب، وأصبحت كلمة بنو إسرائيل كلمة عامة تضم عددا كبيرا من الأجناس والأقوام، خصوصا لما ارتحل بنو إسرائيل من جنوب فلسطين على أيام إبراهيم، إلى مصر أين اندمج هذا العنصر الوافد وذاب في المجتمع المصري، بحيث أصبح من العسير التمييز بينهم وبين غيرهم، و لهذا عندما نقول بني إسرائيل⁽⁴⁾ لا نقصد بها قوما أو شعبا معيناً، بل أصبحت الكلمة دالة على كل من امن بما آمن به بنو إسرائيل حتى ولو كانوا من أعراق أخرى.⁽⁵⁾

- اليهود: هي التسمية الثالثة في الترتيب التي عُرف بها اليهود، وتأتي بعد التسميتين الأقدم "عبري" و"إسرائيلي" من ناحية الظهور التاريخي والاستخدام. وقيل سموا باليهود، نسبة إلى يهوذا⁽⁶⁾ أحد الأسباط الأحد العشر الذي خلف أباه في الحكم وظل كذلك حتى وافته

⁽¹⁾ Lods(Adolphe), Israel From Its Beginning To The Middle Of The Eight Century Translated By S.H. Hooke, Routledge&Kegan Paul Ltd., London, 4th impression, 1962, P155.

⁽²⁾ محمد بن علي بن محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين عرض ونقد، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2001، ص 20.

⁽³⁾ سورة يوسف، الآية 4.

⁽⁴⁾ Ian shaw And Robert Jameson, Dictionary of Archaeology, first published, Malden Massachusetts, U.S.A, 1999, P313.

⁽⁵⁾ هشام أبو حاكمه، أوهام اليهود في الوطن الموعود، دار الإسرائ، عمان، الأردن، ص49؛ رمضان بن يوسف عبد الهادي الصفي، منهج القرآن في التعامل مع جرائم اليهود، دراسة تطبيقية بين الماضي والحاضر، رسالة ماجستير، جامعة غزة، فلسطين، 2009، ص، 19.

⁽⁶⁾ أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992، ص230.

المنية، وكان سبطه من بعده هو المقدم على سائر الأسباط الأخرى حتى انقسام مملكتهم بعد وفاة سليمان عليه السلام، إلى مملكتين:

مملكة يهوذا⁽¹⁾ في الجنوب ومقرها اورشاليم وتتكون من سبطي يهوذا وبنيامين، ومملكة إسرائيل في الشمال ومقرها السامرة⁽²⁾ وتتكون من بقية الأسباط العشرة.⁽³⁾

ومن يضمن أن الاسم يهود واليهودية نسبة إلى اسم السبط يهوذا⁽⁴⁾، فإن يهوذا ابن يعقوب⁽⁵⁾ عليه السلام، لم يأتي بدين جديد، وإنما كان على دين أبيه وأجداده، أي دين التوحيد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽⁶⁾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالِلّٰهَ ءَابَاؤُكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾⁽⁷⁾ ولو اعتبرنا أن نسبة اليهودية إلى يهوذا فمعنى ذلك أن كل فرد من بني

(1) رايح بوترفاس، أسطورة الخلق في ديانات الشرق القديم واليهودية دراسة مقارنة، مذكرة ماجستير، في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، 2013، ص 26.

(2) السامرة: مدينة كنعانية تقع على هضبة شمال شرق شكيم؛ اسمها العبري "شامرون". أصبحت هذه المدينة عاصمة لمملكة إسرائيل في عهد الملك "عمري"، حوالي عام 880 ق.م، وكانت من المدن المحصنة بصورة منيعة إلى أن تمت محاصرتها من قبل الملك الآشوري "شلمنصر الخامس" وسقوطها تحت ضربات "سرجون الثاني" (724-721 ق.م). وبعد دمارها، جلب الآشوريون إليها مستوطنين أجانب نتج عن اختلاطهم بالسكان المحليين مزيج عرقي وديني نتج عنه ما عُرف بـ "السامريين". وبعد تفوق البابليين سنة 597 ق.م، أصبحت هذه المدينة تحت سيطرتهم، ثم انتقلت السيادة إلى الإخمينيين حوالي سنة 550 ق.م؛ وعند عودة المهجرين إلى فلسطين سنة 539 ق.م، تولدت عداوة بين هؤلاء المهجرين والسامريين استمرت حتى أيام المسيح. انظر: هنري عبودي، معجم الحضارات السامية، ط2، لبنان، 1991، ص 454.

(3) محمد سيد طنطاوي، المرجع السابق، ص 13.

(4) "يهوذا"، وهو الابن الرابع من أبناء يعقوب من "ليئة" الذي وُلد في بيت لابان في فدان آرام وهو أبو السبط الذي تسمى باسمه؛ والاسم "يهوذا" بمعنى "أحمد أو أشكر"، "من الفعل 'حمد، أو شكر"، وهو مفسر في التوراة وفقاً لقول "ليئة" ساعة ولادته بمعنى «هذه المرأة أَحْمَدُ الرَّبِّ ثم ما لبث أن يكون هذا الاسم، لقباً شمل كل المعتنقين للدين اليهودي في كل أنحاء الأرض مهما كان أصلهم، ومهما كانت لغتهم، ومهما كانت جنسياتهم. انظر: المقريري (تقي الدين)، تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، 1442، دراسة وتحقيق عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة، (د. ت)، ص 20، 19.

(5) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الذر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت، أحمد الخراط، ج2، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1406هـ، ص 74.

(6) سورة البقرة، 132، 133.

إسرائيل ينتسب إلى الأسباط⁽¹⁾ الأحد عشر الباقين، لا يمكننا أن نعتبره يهوديا تلقائيا، لأنه لا يعتبر من الجنس اليهودي، بناء على تعريف اليهودي عند اليهود.

ومنهم من يرى أن اسم اليهود من هادوا أي صاروا يهودا، ودانوا باليهودية، وهاد يهود هودا، أي تابوا هتدي إلى الطريق القويم والصحيح، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾⁽²⁾. إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴿٢٦﴾⁽³⁾. وقد اختلف في اشتقاق اسم يهود ف قيل من الهود، أي التوبة وسموا بذلك لتوبتهم عن عبادة العجل، إذ يقول الراغب الاصفهاني في كتابه المفردات في غريب القرآن الهود بمعنى الرجوع برفق وهو المشي كالديب⁽⁴⁾، وقيل سموا يهودا لأنهم نسبوا إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب عليه السلام، وسموا يهودا لأنهم هادوا أي انحرفوا عن دين موسى عليه السلام، وسموا يهودا أيضا لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة، لكن هذا غير صحيح إطلاقا، ولا ينطبق مع حقيقة اليهود في شيء، لان اليهود لم يهتدوا في تاريخهم أبدا، بل كانوا في حقيقة الأمر أكثر الأقوام عنادا لله سبحانه وتعالى، وهم المغضوب عليهم كما وصفهم القرآن الكريم.

يقول: الأستاذ جواد علي في كتابه "العرب قبل الإسلام"، ولفظة اليهود أعم من لفظة عبرانيين وبني إسرائيل، ذلك أن لفظة يهود تطلق على العبرانيين وعلى غيرهم ممن دخل في دين يهود، وهو ليس منهم، وقد أطلق الإسرائيليون وأهل يهوذا لفظة يهود على أنفسهم وعلى كل من دخل في ديانتهم، تمييزا لهم عن غيرهم ممن لم يكن على هذا الدين، وهم الغرياء.⁽⁵⁾

(1) سبط في اللغة العربية تعني ولد الإبن أو ولد البنت، قال رسول الله (ص): "حسين مني و أنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط". أنظر: الترمذي أبو عيسى، سنن الترمذي، ج2، تح، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 1996، ص 307؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تح، أحمد بن شعبان أحمد، ج1، ط1، مطابع دار البيان الحديثة، القاهرة، 2003، ص 175.

(2) سورة الأعراف، 156.

(3) سورة البقرة، 62.

(4) الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق، محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، ص847.

(5) جواد علي، العرب قبل الإسلام، ج6، ص 95؛ محمد سيد طنطاوي، المرجع السابق، ص13.

ومهما يكن من أمر، "فقد شاعت هذه التسمية "يهود" أثناء السبي البابلي (586-538 ق.م)، ثمَّ غدت لقباً لجميع العائدين من السبي، ذلك أن الأسباط العشرة التي كانت تتكون منها "مملكة إسرائيل"، قد ضاعت في زوايا النسيان منذ السبي الآشوري عام 722 ق.م⁽¹⁾. وهكذا نجد في هذه المرحلة، التوسع في استخدام التسمية "يهودي" ربما للدلالة على كل اليهود، سواء من مملكة يهوذا أو مملكة إسرائيل؛ وربما يكون قد قُصد منه تحقيق غرضين، الأول: اكتساب معنى سياسي أوسع للتسمية بأن يشمل كل سكان مملكة إسرائيل في الشمال، وكل سكان مملكة يهوذا في الجنوب؛ على الرغم من أن تاريخ المملكة الشمالية ظل إلى حد ما مستقلاً عن تاريخ المملكة الجنوبية. ولكن نظراً لانتهاك الوجود السياسي لسكان المملكة الشمالية، فقد طمع سكان المملكة الجنوبية في احتواء أولئك سياسياً ولو بالتبعية الشكالية المحضة إلى كيان يهودي تمثله مملكة يهوذا. فإنه "عندما بدأت الشريعة اليهودية بالتحديد تفقد سطوتها على العقل اليهودي، أصبح من الضروري توسيع القاعدة الشعبية للعقل القومي اليهودي كنوع من التعويض عن تضائل الكيف بزيادة الكم"⁽²⁾.

أمّا الغرض الثاني⁽³⁾؛ فهو محاولة اكتساب معنى ديني للتسمية "يهودي" والتي كانت خالية من أية دلالة دينية، حيث كانت تشير فقط إلى الدلالة السياسية الجغرافية، هذا في الوقت الذي احتفظت فيه التسمية "إسرائيلي" بما أسميناه بالدلالة العامة؛ ولذلك لا نستبعد أن يكون سكان يهوذا قد طمعوا في إحراز كسب ديني خلال فترة وجودهم السياسي⁽⁴⁾.

مما سبق ذكره يمكن أن نقول أن مصطلح يهودي له دالتين: إحداها عامة والآخرى خاصة، فهي من ناحية دلالتها العامة: تسمية تطلق على كل من يعتقد في الديانة اليهودية

⁽¹⁾ مهران محمد بيومي، بنو إسرائيل منذ عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ج1، 1999م، ص39.

⁽²⁾ رمضان أحمد محمد، إسرائيل ومصير الإنسان المعاصر دراسة في سيكولوجية التاريخ اليهودي وعلاقته بفلسفة التاريخ الإنساني العام، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، 1987م، ص78.

⁽³⁾ مجيد جاسم احمد محمد، علاقة بني اسرائيل بارض كنعان في ضوء اسفار العهد القديم واثرها في توجيه الفكر الصهيوني دراسة تاريخية تحليلية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2015، ص34.

⁽⁴⁾ أحمد محمد خليفة، تاريخ الديانة اليهودية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ص29-30.

ويؤمن بها ويمارس طقوسها وشعائرها، فاليهود بهذا المعنى نسبة الى اليهودية، وبالتالي فهي دلالة دينية خالصة.

أما الدلالة الخاصة فيقصد بها الانتماء الى كيان سياسي وجغرافي لمملكة يهوذا التي ظهرت بعد انقسام مملكة سليمان عليه السلام.⁽¹⁾

وردت لفظة اليهود واشتقاقاتها في القرآن الكريم، عدة مرات وكانت تأخذ في كل مرة معنى ومقصد محدد.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾⁽²⁾، ويقول كذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾⁽³⁾. وقد وردت لفظة (هاد، وهادو) في صورة مدح الفئة المؤمنة في زمن موسى عليه السلام ويقول كذلك: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁴⁾ وذلك من خلال بيان انتساب إبراهيم إلى الديانة الحنفية، أي دين التوحيد ونبذ الشرك بالله سبحانه وتعالى، وقد وردت في مواضع عديدة في القرآن الكريم، ومنها ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁵⁾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁶⁾، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾⁽⁷⁾.

(1) محمد برهام المشاعلي، إسرائيل من أين إلى أين ، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص9.

(2) سورة الرعد، 7.

(3) البقرة، 62.

(4) سورة النحل، 123.

(5) سورة ال عمران، 95.

(6) سورة النساء، 125.

- **أهل الكتاب:** وهو الاسم الذي أطلق على اليهود والنصارى، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم إحدى وثلاثون مرة، ورد تعريفهم عند الشهرستاني في قوله: "الخارجون عن الملة الحنفية والشريعة الإسلامية ممن يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام، وقد انقسموا إلى من له كتاب محقق مثل: التوراة والإنجيل وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل لكتاب"⁽¹⁾.

من خلال هذا التعريف فهم من الأمم التي بعث الله فيهم الأنبياء والرسل وأنزل عليهم الكتب السماوية، ورد ذكرهم في العديد من آيات القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾⁽²⁾ وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾⁽³⁾، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآدْخُلُنَّهُم جَنَّتِ ٱلنَّعِيمِ﴾⁽⁴⁾، وقال أيضا: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَآءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽⁵⁾.

2- مصادر الفكر اليهودي: تنقسم مصادر اليهود المقدسة إلى قسمين:

أ/ **مصادر كتابية:** وهي التوراة المعروفة باسم العهد القديم، ويطلق عليها أيضا "التناح".

ب/ **مصادر شفوية:** وهي الروايات التي تناقلها حاخامات اليهود جيلا عن جيل، ويدعون على أنها تعاليم شفوية وردت عن موسى النبي عليه الصلاة والسلام، والتي جمعت في كتاب التلمود (التلمود).

(1) أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، المرجع السابق، ص 247.

(2) سورة آل عمران، الآية 64.

(3) سورة آل عمران، الآية 70.

(4) سورة المائدة، الآية 65.

(5) سورة المائدة، الآية 19.

أولاً: المصادر الكتابية:

1. العهد القديم:

العهد لغة يراد به الميثاق، فالعهد كل ما عوهد عليه وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد، والعهد بمعنى الوصية والوفاء واليمين، التي تستوف بها ممن عاهدك، وإنما سمي اليهود والنصارى أهل العهد للذمة التي أعطوها، والعهد المشتركة عليهم ولهم⁽¹⁾.

وقد يأتي العهد بمعنى الوصية بين الله وشعب إسرائيل على لسان موسى عليه السلام⁽²⁾.

ويستخدم اليهود عبارة سيفري هاقودش بمعنى الكتب المقدسة، ويستخدمون أحياناً تعبير كتوفيم⁽³⁾ أي الكتب⁽⁴⁾، هذا ويرفض اليهود إطلاق العهد القديم على كتابهم المقدس، بينما يميلون إلى تسميته بالكتاب العبري (The Hebrew Bible) أو الكتاب (The Bible) ويعرف أيضاً باسم المقرأ⁽⁵⁾ أي المقرء، كما يعرف باختصار التناخ وهو اختصار لثلاث كلمات عبرية هي: التوراة وتضم أسفار⁽⁶⁾ موسى الخمسة، ونبؤيم (أسفار الأنبياء)، وكتوبيم وتضم أسفار المزامير، الأمثال، نشيد الإنشاد، وبقية أسفار الحكمة.

يعد مصطلح العهد القديم (The Old Testament) مصطلحاً يعكس المفاهيم التي ترى في العهد القديم في مقابل العهد الجديد في صورته المسيحية، فالأسفار التي تنطوي

⁽¹⁾ ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، لسان العرب، مادة عهد، ج3، ط1، دار بيروت للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 1968، ص 386.

⁽²⁾ سفر الخروج، 12/24.

⁽³⁾ علي سري محمود المدرس، العهد القديم دراسة نقدية، ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006، ص23.

⁽⁴⁾ حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، دط، 1971، ص 73.

⁽⁵⁾ شريف حامد سالم، نقد العهد القديم دراسة تطبيقية على سفر صمويل الأول والثاني، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2011، ص14.

⁽⁶⁾ السفر: بمعنى الكتاب أو الدرج، ويسمى سيفر بالعبرية وتعني كتاباً، ويشار إلى كتب العهد القديم بكلمة أسفار، ولكل سفر عنوان أو مسمى فيقال سفر التكوين، سفر الخروج أو مسمى فيقال سفر التكوين، سفر الخروج إلى آخره. ويقسم كل سفر إلى إصحاحات ويقسم كل إصحاح إلى فقرات، والفقرات تقسم إلى مقاطع و الفقرة تعني العبارة أو النص. للمزيد أنظر: جوزيف صابر وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، ج4، ط3، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1992 ص381.

تحت العهد القديم، تتضمن العهد القديم الذي أبرمه الرب مع بني إسرائيل على جبل سيناء، بينما الأسفار التي تدرج تحت العهد الجديد تتضمن العهد الجديد في صورته المسيحية⁽¹⁾، يتكون العهد القديم -حسب عقيدة البروتستانت حيث اتبعت الكنيسة البروتستنتية يهود الإسكندرية في ترتيب الأسفار وتقسيمها، فقد رتبوا الأسفار حسب موضوعاتها متبعين النظام اليوناني، ومعتمدين على الترجمة السبعينية⁽²⁾ - من 39 سفر⁽³⁾، كما يتكون العهد القديم من ثلاث أجزاء هي:

1/ الناموس: ويتكون من الأسفار التالية: وهي سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين، سفر العدد وسفر التثنية.

2/ الأنبياء: ينقسم إلى جزئين:

2/2 الأنبياء السابقين: ويتكون من سفر يوشع، سفر القضاة، سفر صموئيل الأول والثاني، وسفر الملوك الأول والثاني.

3/2 الأنبياء المتأخرين: ويتكون من سفر أشعيا، سفر إرميا، سفر حزقيال، وسفر الإثني عشرة الأنبياء الأصاغر (هوشع، يوشع، عاموس، عوبديا، يونا، ميخا، ناحوم، حبقون، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي).

⁽¹⁾Walter Brueggeman, An Introduction to the Old Testament, The canon and Christian Imagination, first Ed, Louis ville, Kentucky, Westminster John Knox, Press, 2003, pp 1, 2.

⁽²⁾الترجمة السبعينية أو الترجمة الإغريقية: يرجع هذه التسمية إلى ما تقوله التقاليد اليهودية من أن سبعين عالماً من علماء الإسكندرية تحت رعاية بطليموس الثاني (فيلاذلفوس) (246-282) ترجموا الأسفار الخمسة الأولى إلى اليونانية في النصف الأول من ق.م، أما بقية الأسفار الأخرى فقد ترجمت في الفترة ما بين (100-250) ق.م. للمزيد أنظر: فتحي محمد الزغبى، تأثير اليهود بالديانة الوثنية، ط1، أطروحة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، مصر، 1987، ص ص 58، 59؛ القس صمويل يوسف، المدخل إلى العهد القديم، ط2، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 2003، ص 53؛ سلوى ناظم، الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، دط، د. دار نشر، دت، ص 17؛ عبد الملك بن عبد الله، شفاء الغليل في ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، ط3، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1989، ص 13.

⁽³⁾محمد بن علي بن محمد آل عمر، المرجع السابق، ص 60.

3/ الكتب: وتتكون من سفر المزامير، سفر الأمثال، سفر أيوب، سفر راعوت، سفر نشيد الإنشاد، سفر الجامعة، سفر مرثي إرمياء، سفر أستير، سفر دانيال، سفر عزرا، سفر نحميا، سفر أخبار الأيام الأول والثاني⁽¹⁾.

لقد تضمن العهد القديم كما هائلا من الأساطير⁽²⁾ التي عجت بها أسفاره، ولا يخلو سفر من هذه الأسفار إلا ونلمس فيه الخيال الواسع للمدون أو الكاتب، وقد ضيفت هذه الأساطير في شكل حكايا يصعب على العقل التسليم بها أو تصديقها، كونها تتنافى مع العقل، ومشوهة للتاريخ⁽³⁾، فرغم الرقابة الكهنوتية ظلت هذه الأساطير والحكايا تتناقل شفها وتتوارثها الأجيال بمرور الزمن، فكان مضمونها مقتبس من أساطير الشعوب المجاورة من سومري ومصري وحيثي وإيجي وبابلي أيضا، أثناء فترة الأسر⁽⁴⁾ بحيث جاء تحويلها وتعديلها بما يتماشى مع الرواية اليهودية، مثل قصة التكوين والطوفان⁽⁵⁾ وغيرها من الروايات.

2. التوراة: يذكر عبد الوهاب المسيري في موسوعة المفاهيم الصهيونية، " أن كلمة توراة قد تكون مشتقة من من كلمة تارا بمعنى: يلقي القرعة لمعرفة مشيئة الله"⁽⁶⁾.

(1) أحمد عبد الوهاب، فلسطين بين الحقائق والأباطيل، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1972، ص ص 21، 22.

(2) الأسطورة (Mythe) لفظة غير عربية على الأرجح تدل على الخرافة أي القول الذي لا صلة له بالواقع. و يعتقد دارسو اللغة أن أصلها فارسي، غير أن البعض يربدها إلى اللغة العربية ويجعل اشتقاقها من الفعل الثلاثي سطر بمعنى دَوَّن أو أَلَّف الخبر العجيب، وعليه فالأسطورة لغة هي التي تحمل سمة العجائبية. أما اصطلاحا، فهي تمثل المخيال الثقافي، الذي ينبثق من صراعات اللاوعي البشري، كما يحاول ، أن يعرفها غوستاف يونغ (K.G. Jung). وإذا كان يونغ يربطها باللاشعور الجمعي، فإن جورج سوريل (G. Sorel) ينظر لها على أنها تمثيلات الوعي البشري أو بالأحرى الوعي الاجتماعي. أما كلود ليفي شتروس C.L. Strauss فإنه ينظر لها من خلال البنية المزدوجة التاريخية و اللاتاريخية للمزيد أنظر: خليل، أحمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، الطبعة 1 دار الطليعة، بيروت، 1986، ص ص. 48-49؛ جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979، ص 19؛

ديتيان (مارسيل)، اختلاق الميثولوجيا، ترجمة مصباح الصمد، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008، ص 313.

(3) مصطفى زهرار، مقاربات في دراسة النص التوراتي، سفر اراعون نموذجا، ط1، دار صفاء للدراسات والنشر، سوريا، دمشق، 2012، ص 20.

(4) ول وإيرل ديورانت، قصة الحضارة، ت، محمد بدران، ج2، مج1، دار الكتاب، القاهرة، 1971، 368.

(5) مؤلف مجهول، المرجع السابق، ص 30.

(6) عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 1975، ص 143.

التوراة من حيث اللغة هي كلمة عبرية معناها الشريعة.⁽¹⁾ أو الناموس⁽²⁾ والمقصود بالتوراة في التقليد اليهودي، وفي الاصطلاح ما أنزله الله على موسى عليه الصلاة والسلام ليبلغه إلى قومه⁽³⁾ أسفار النبي موسى عليه السلام الخمسة، التي أوحاها الله سبحانه وتعالى له -حسب زعم اليهود- وهي تبدأ بسرد أحداث العالم منذ بدأ الخليقة إلى وفاة موسى عليه السلام⁽⁴⁾، والجدير بالذكر أن كُتبت التوراة الخمسة الأولى والمنسوبة إلى موسى عليه السلام، هي فقط التي كُتبت خلال القرن السادس قبل الميلاد، أما أسفار العهد القديم الأخرى، فلم تأخذ شكلها الحالي إلا بعد ذلك بثلاثة قرون.

ذكرت التوراة في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة ووصف ما فيها بالنور والهدى وسماها بالكتاب⁽⁵⁾، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾⁽⁶⁾ كما سماها القرآن الكريم بالصحف، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾⁽⁷⁾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى⁽⁸⁾ ولكنها لم تبق كما أنزلت بل أصابها التحريف من قبل اليهود، لقوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾⁽⁹⁾ وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾⁽¹⁰⁾ هذا ما يتوافق مع رؤية العديد من المؤرخين والباحثين

(1) محمد سيد طنطاوي، المرجع السابق، ص 71.

(2) سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في اليهودية والنصرانية، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997، ص 65.

(3) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج1، ط2، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مصر، 1970، ص 170.

(4) عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج5، ط1، القاهرة، 1999، ص 2439.

(5) محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1990، ص 112.

(6) سورة المائدة، الآية 44.

(7) سورة الأعلى، الآية 18، 19.

(8) سورة النساء، الآية 46.

(9) سورة البقرة، الآية 79.

في شأن الكتاب المقدس، المطعون في صحته وهذا من خلال اللغات والأساليب التي كتبت بها أسفارهِ، وذلك مما اشتملت عليه من موضوعات وأحكام وتشريعات مستوحاة في عمومها من بيئات مختلفة عاش فيها اليهود، ناهيك عن التفاوت الزمني الذي تم فيه تحريرها والتي لا تمت لا من قريب أو من بعيد لموسى النبي ولا لعصره، وإنما هي من جمع أحبارهم بعد موسى بزمان طويل، جمعوها من الروايات الشفوية بعد أن ضاع الأصل، وقد أطلقوا العنان لأقلامهم فيها، ولا يعرف متى كتبت ولا من كتبها، لأنها عارية عن الأسانيد الصحيحة وتفتقر إلى التوثيق⁽¹⁾.

• أسفار التوراة:

1/ سفر التكوين: (Genesis): وهو أول أسفار العهد القديم وأول أسفار التوراة، ويتكون من خمسين إصحاحاً ويمكن تقسيمه من خلالها إلى قسمين:

القسم الأول: يبتدئ من الإصحاح الأول إلى الإصحاح الحادي عشر، يتناول العديد من القضايا كقصة الخلق، من خلق الطبيعة كالسماء والأرض والليل والنهار... الخ، ثم انتقل إلى قصة خلق الإنسان وكل ما من شأنه أن يحفظ بقاءه.

القسم الثاني: ويبدأ من الإصحاح الثاني عشر إلى الإصحاح الخمسين ويحكي قصة الآباء الأوائل، حيث ذكرت قصة أبي الأنبياء إبراهيم، لوط، إسحاق ويعقوب عليهم السلام، ثم انتقل إلى الحديث عن قصة يوسف عليه السلام من صباه إلى وصوله إلى مصر وما نجم عنها من أحداث كالتحاق أبيه وإخوته الأسباط الإحدى عشر واستقرارهم بمصر ليختتم بخبر موت يوسف. ويروي هذا السفر كيف أن الله كَوّن لنفسه بين الأمم شعباً كتب له أن يصبح شاهداً له⁽²⁾.

(1) عبد الوهاب عبد السلام طويلة، مغالطات اليهود وردّها من واقع أسفارهم، دط، دار القلم، دمشق، سوريا، دت، ص 181.

(2) محمد علي البار، المرجع السابق، ص 180.

2/ سفر الخروج: (Exodus)⁽¹⁾ باللغة اللاتينية واليونانية ويسمى بالعبرية (شيموت) وهي العبارة الأولى من في السفر⁽²⁾ ويتشكل سفر الخروج من أربعين إصحاح تحكي بدايات إصحاحاته عن معاناة بني إسرائيل مع الفراعنة في مصر بسبب تعاضم شأنهم وتكاثر عددهم، أي تقريبا من فترة دخول يوسف عليه السلام إلى مصر في عهد الهكسوس (1580-1710) إلى فترة خروج موسى عليه السلام ومن معه من بني إسرائيل، في حدود القرن 14 ق.م (أنظر الملحق رقم 02).

3/ سفر اللاوين (Lévitique): يقع في سبعة وعشرون إصحاحا، وهو نسبة إلى لاوي بن يعقوب أحد أسباط بني إسرائيل⁽³⁾ الذي من نسله موسى وهارون عليهما السلام، وقد خص أبناء هارون بدور الكهانة، أي القيام بالأمور الدينية والمحافظة على الشريعة وتعليمها للناس.

4/ سفر العدد (Nombres): يتكون من ستة وثلاثون إصحاحا وهو يعطي تقريرا عن أعداد قبائل الشعب اليهودي الذين خرجوا من مصر وقبل دخولهم أرض الميعاد، وقد اتخذ السفر اسمه من محتواه العام، فهو يعطي إحصاء شاملا لبني إسرائيل في السنة الثانية من خروجهم من مصر، حيث يرد ذلك في نص صريح { وكلم الرب موسى في بركة سيناء في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلا: أحصوا كل جماعة بني إسرائيل بعشائهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء.. }⁽⁴⁾، أما اللاويون فلم يشملهم الإحصاء نظرا لوظيفتهم الدينية التي أنيطت بهم {وأما اللاويون حسب سبط آبائهم فلم يعدوا بينهم، إذ كلم الرب موسى قائلا: أما سبط لاوي فلا تحسبه ولا تعدّه بين بني

⁽¹⁾ AndrdréChouraqui, L'univere de la Bible, tom1, Ed,Lidis, Paris, 1983,p285.

⁽²⁾ أرحام سلمان سليم العودات، سفر الخروج في تورا اليهود عرض ونقد، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2010، ص10.

⁽³⁾ رولان دوفو، بنو إسرائيل مؤسساتهم وتشريعاتهم في ضوء العهد القديم، مج1، دط، ت، عبد الوهاب علوب، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، عدد42، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 2010، ص595.

⁽⁴⁾ سفر العدد1، الآية2.

إسرائيل، بل وكل اللاويين على مسكن الشهادة وعلى جميع أمتعته، وعلى كل ماله... وأما اللاويون فينزلون حول مسكن الشهادة لكي لا يكون سخط على جماعة بني إسرائيل..⁽¹⁾

5/ سفر التثنية (Deutéronome): ويعني تكرار الشريعة وإعادة الأوامر والنواهي على اليهود مرة أخرى، التي أوحاها الله سبحانه وتعالى على موسى، ومعظمه يدور حول الشؤون التشريعية والاقتصادية والسياسية الخاصة ببني إسرائيل.

ويلحق بالأسفار الخمسة، الأسفار التاريخية وهي اثني عشرة سفرا تقص تاريخ بني إسرائيل منذ أن استولوا على بلاد كنعان، واستقروا بفلسطين، وتتحدث عن تاريخ قضائهم وملوكهم وأخبارهم، والأسفار الشعرية أو أسفار الأناشيد وهي خمسة مصبوعة بالشعر الديني وأسفار الأنبياء وهي سبعة عشر سفرا يقص كل منها تاريخ بني إسرائيل بعد موسى وهارون عليهما السلام ويطلق على مجموع هذه الأسفار اسم العهد القديم، وتسمى مجازا بالتوراة.

• سند التوراة وحجيتها:

ذهب موسى للقاء ربه فأنزل عليه تعاليم الديانة اليهودية مكتوبة في ألواح، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَلْسِقِينَ﴾⁽²⁾ ويقول المولى عز وجل: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾⁽³⁾ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾⁽⁴⁾ ويقول الله سبحانه وتعالى أيضا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾⁽⁵⁾ وبالتالي فالسؤال المطروح هل الأسفار الخمسة التي سبق الحديث عنها

(1) سفر العدد 1، الآية 49

(2) سورة الأعراف، الآية 145.

(3) سورة البقرة، الآية 53.

(4) سورة المؤمنون، الآية 49.

(5) سورة المائدة، الآية 44.

والمسماة بالتوراة، والتي يؤمن بها اليهود والنصارى وينسبونها إلى موسى النبي عليه السلام هي نفس التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى أم لا؟

لاشك أن المتصفح لنصوص التوراة وأسفارها ليقف عند مفارقة أن نصوص التوراة التي نسبت لموسى والتي هي اليوم بين أيدينا، لا يمكن أن يكون سندها متصل بموسى عليه السلام نظرا لما وقع فيها من تحريف وتغيير، يقول باروخ سبينوزا⁽¹⁾: "إن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة، بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمان بعيد، وأن موسى كتب سفرا مختلفا"⁽²⁾ فلننظر مثلا إلى نص الآية التي نتحدث عن وفاته، {فمات هناك موسى عبد الله في أرض موآب حسب قول الله ودفنه في الحواء في أرض موآب مقابل..} ⁽³⁾، وفي نص آخر { وأيضاً الرجل موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر في عيون فرعون وعيون الشعب } ⁽⁴⁾ وكأن موسى عليه السلام يتلقى الألواح ويتنزل عليه الوحي وهو في قبره، و هناك شواهد أخرى على كثرتها يمكن أن نقصر على بعضها كمدينة "دان" فهي لم تكن معروفة في زمن موسى عليه السلام، وكذلك اسم القرى التي وردت في أسفار التوراة مثل قرى "ياثير" ⁽⁵⁾ فهي لم تكن معروفة أيضاً إلا في عصر القضاة، والأمثلة كثيرة عن التخبط الذي وقع فيه محررو التوراة.

لقد أخبرنا القرآن أن الله عز وجل أنزل على موسى عليه السلام كتاب (التوراة) ليبلغه إلى قومه من اليهود. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا

⁽¹⁾ باروخ سبينوزا (1632-1677): فيلسوف عقلاني مادي عاش في هولندا، أعلن تمرده على العقيدة اليهودية. اتهمه حاخامات اليهود بالإلحاد، له العديد من المؤلفات منها: مبادئ الفلسفة الديكارتية، رسالة في اللاهوت والسياسة. للمزيد أنظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج3، ط1، دار الشروق، مصر، 1999، ص370.

⁽²⁾ إسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ت، حسن حنفي، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005، ص265.

⁽³⁾ سفر التثنية 34، الآية 5.

⁽⁴⁾ سفر الخروج 11، الآية 2.

⁽⁵⁾ فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية، دط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دت، ص43.

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٨﴾ ﴿١﴾، ﴿وَعَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي
وَكِيلاً﴾ ﴿٢﴾ ﴿٢﴾ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴿٧﴾ ﴿٣﴾

﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾. ومن
منطلقات عقدية في عقيدتنا نحن المسلمون نؤمن إيماناً لا يخالجه شك بأن الله عز وجل
أنزل التوراة على موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وُرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٣﴾ ﴿٥﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى
وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن
كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ ﴿١٤﴾ ﴿٦﴾.

يقول ابن أبي العز: "وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين فنؤمن بما سمى الله
تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزيور...".⁽⁷⁾ والقرآن الكريم الذي حفظه الله
سبحانه وتعالى من التحريف والتزييف والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،
اثبت على أن التحريف والتبديل قد حصل من اليهود للتوراة التي أنزلت على موسى عليه
السلام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ
مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٨﴾، وقال أيضاً: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ

(1) سورة الأنبياء، الآية 48.

(2) سورة الإسراء، الآية 2.

(3) سورة هود، الآية 17.

(4) سورة آل عمران، الآية 3.

(5) سورة النساء، الآية 136.

(6) سورة المائدة، الآية 44.

(7) ابن أبي العز الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق، جماعة من العلماء، تخرّيج، ناصر الدين الألباني، ط9، المكتب الإسلامي، بيروت،

لبنان، 1987، ص312.

(8) سورة آل عمران، الآية 78.

اللَّهُ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿٧٨﴾⁽¹⁾، ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾⁽²⁾، ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾⁽³⁾، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾. قد أوكل الله سبحانه وتعالى حفظ التوراة والإنجيل إلى علمائهم ورهبانهم بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾⁽⁵⁾.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أنزل على رسله كتباً حجة على العالمين ومحجة للعالمين، يعلمونهم بها الحكمة ويزكونهم، فإن الإيمان بهذه الكتب التي أنزلها على رسله يتضمن أربعة أمور أساسية:

- الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

- الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه؛ كالقرآن الذي نزل على محمد (ص) والتوراة التي نزلت على موسى (ص)، والإنجيل الذي نزل على عيسى (ص)، والزيور الذي نزل على داود (ص)، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

- تصديق ما صح من أخبارها؛ كأخبار القرآن الكريم، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

(1) سورة البقرة، الآية 79.

(2) سورة المائدة، الآية 15.

(3) سورة الانعام، 91.

(4) سورة آل عمران، 71.

(5) سورة المائدة، الآية 44.

- العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به، كما أن جميع الكتب منسوخة⁽¹⁾ بالقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾⁽²⁾.

- أمر موسى عليه السلام أبناء هارون من بني لاوي بحفظ التوراة في تابوت العهد، {ولما فرغ موسى من رقم كلام هذه التوراة في سفر بتمامها، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب وقال لهم: خذوا سفر هذه التوراة واجعلوا إلى جانب تابوت عهد الرب إلهكم فيكون عليكم شاهداً}⁽³⁾. كما أوصى موسى عليه السلام يوشع بكتابة التوراة مرة أخرى على أحجار المذبح {فيوم تعبرون الأردن إلى الأرض المقدسة التي يعطيك إلهك تقيم لنفسك حجارة كبيرة وتشيدها وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس}⁽⁴⁾ ولا شك أن يوشع قد نفذ الوصية كما جاء في سفر يوشع، {وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بني إسرائيل.. وبعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة البركة واللعنة حسب كل ما كتب في سفر التوراة}⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ أبي معاذ مصطفى بن حسين آل عوض، الكتاب المفقود حقائق موثقة حول الكتاب المقدس، ط1، دار الإمام البر بهاري، القاهرة، مصر،

2014، ص102.

⁽²⁾ سورة المائدة، الآية48.

⁽³⁾ سفر التثنية31، الآية24-27.

⁽⁴⁾ سفر التثنية2، الآية27.

⁽⁵⁾ سفر يوشع3، الآية8.

ثانيا: مصادر شفوية:

التلمود⁽¹⁾: كلمة عبرية وتعني المعرفة⁽²⁾ أو التعليم وتطلق اليوم على الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية يحتل التلمود⁽³⁾ مكانة هامة داخل الديانة اليهودية، والتلمود هو مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية⁽⁴⁾ وأدبية ومدنية وشروح وتفسيرات وتعاليم وروايات كانت تتناقل وتدرس شفويا من حين لآخر، فهو نتاج الشريعة الشفوية التي يزعم اليهود أنه قد جرى تلقينها عن طريق التقليد المأثور وبالتواتر منذ أقدم الأزمنة. يتكون التلمود من جمع نصوص المنشأ هو الجمارا بالإضافة إلى الشروح والتعليقات التي رافقت مرحلة جمعه وتدوينه، وظلت مسألة تحديد زمن كتابة التلمود مسألة غير متفق حولها، إلا أن الراجح أن فقهاء اليهود وحكاماتهم لم يؤلفوه في زمن محدد بذاته وإنما تم تأليفه في حقب متتالية جيلا بعد جيل وفي عصور متباينة⁽⁵⁾، ويتكون التلمود من قسمين:

القسم الأول: المشناة: وهي الأصل وتعني في العبرية المعرفة وتعني أيضا التكرار أو الشريعة المكررة، كما تعني أيضا الدراسة والتعلم، وهي عبارة عن شروح وتفسيرات للتوراة، وتعتبر عن مجموعة الأحكام والتعاليم والفتاوى والوصايا التشريعية التي تناقلت عبر الأجيال شفاهة⁽⁶⁾ ويعتبرونها اليهود مصدرا من مصادر التشريع، إذ يأتي في المقام الثاني بعد التوراة، كما تسمى بالتوراة الشفوية⁽⁷⁾، ويقسم المشناة إلى ستة أقسام: قسم الزروع أو البذور وهو القسم الذي يهتم بالتشريعات الفلاحية، وقسم المواسم والأعياد وهو القسم الذي يهتم بالمناسبات

⁽¹⁾ التلمود: كلمة عبرية معناها التعاليم، وهو كتاب مقدس عند اليهود يعادل في قيمته الروحية والعلمية التوراة، وهو مجموع الشرائع اليهودية التي نقلها أحبار اليهود شرحا وتفسيرات للتوراة واستنباطا من أصولها، يتألف التلمود من قسمين "المنشأة" وهي النص أو المثنى، والجمارا وهي التفسير أو الشرح، والتلمود هو الاسم الجامع للمنشأة والجمارا معا. للمزيد أنظر: السحمراني أسعد، من اليهود إلى الصهيونية، ط2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2000، ص63؛ سنقراد داود عبد الغفور، جذور الفكر اليهودي، ط2، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1984، ص88.

⁽²⁾ الأب أي.بي. براناتيس، فضح التلمود تعاليم الحاخامين السرية، ط4، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1991، ص21.

⁽³⁾ أحمد إبيش، التلمود كتاب اليهود المقدس، تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه، ط1، دار قتيبة، دمشق، سوريا، 2006، ص25.

⁽⁴⁾ فكري جواد عبد، كتاب التلمود وأثره في الفكر اليهودي، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد6، جامعة الكوفة، بغداد، العراق، 2007، ص226.

⁽⁵⁾ فكري جواد عبد، المرجع نفسه، ص229.

⁽⁶⁾ مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ترجمة متن التلمود، (المنشأة) ط1، دار طيبة للطباعة، القاهرة، مصر، 2008، ص8.

⁽⁷⁾ حسن ظاظا، المرجع السابق، ص78.

الدينية وقواعد الطقوس التي ترتب الإحتفالات الدينية والمناسبات المقدسة، وقسم النساء وهو القسم الذي يهتم بالأسرة والعلاقات الزوجية، وقسم الأضرار وهو القسم الذي يعنى بالأحكام الخاصة بالخسائر والأضرار والتعويضات المترتبة عليها، وقسم المقدسات ويهتم هذا القسم بمسألة القرابين والتضحيات المتعلقة بالمعبد وشؤون الكهنة والطقوس والشعائر الدينية، والقسم السادس والأخير ويتعلق بالأحكام الخاصة بالنجاسات والطهارة في التشريع اليهودي⁽¹⁾.

القسم الثاني: الجمارا: وهي شرح للمشناة⁽²⁾، أي ما أضيف من شروحات للمشناة⁽³⁾ من حواشي وتعليقات، ويتجلى فيها العنصر القصصي والروائي والأسطوري بما يشمل من الأقوال المأثورة والأخبار والخرافات، ومن المشناة والجمارا يتألف التلمود الذي هو نتاج تفاعل الشريعة المكتوبة مع أوضاع الحياة المتغيرة والحاجات الطارئة.

3- العبرانيون وأرض كنعان

احتلت أرض كنعان، باعتبارها "الأرض الموعودة" - حسب الفكر الديني اليهودي - مكانة مهمة في تاريخ بني إسرائيل وفي الدين اليهودي منذ بداية ظهور العبرانيين وحتى العصر الحديث، ثم تطورت كفكرة مع تطور الأوضاع الدينية والسياسية لليهود وبتأثير العوامل والظروف التاريخية التي مر بها اليهود خلال العصور المختلفة، وأصبحت هذه الفكرة إحدى المفاهيم الأساسية في الديانة اليهودية، ومحوراً وركيزة دينية من ركائز الاعتقاد في التراث الديني عند اليهود.

-جغرافية بلاد كنعان: أطلق المؤرخون المحدثون اسم **الكنعانيين** على سكان المنطقة السورية، وهي المنطقة المحصورة بين نهر الفرات والبحر الأبيض المتوسط غرباً، وبين جبال

(1) مصطفى عبد المعبود سيد منصور، المرجع السابق، ص 14، 15.

(2) القمص روفائيل البرموسي، الحياة اليهودية بحسب التلمود، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، 2003، ص13.

(3) فرج الله عبد الباري، اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، دط، دار الأفاق العربية، دت، ص32.

طوروس شمالاً وحدود الصحراء العربية جنوباً. وعلى هذا الأساس، فإن من المرجح أن أصل التسمية "كنعان"، أنها "تسمية لمنطقة جغرافية بالدرجة الأولى، لا تسمية لشعب معين، وهذه المنطقة هي الأراضي الممتدة على طول الساحل السوري ابتداءً من أوجاريت أو مما يليها على الأغلب، مع بعض الامتدادات نحو الداخل⁽¹⁾.

وتقع هذه الأراضي عند الطرف الجنوبي الغربي لسلسلة من البلدان تتحني سويًا في صورة قوس أو هلال تبدأ من الخليج العربي وحتى شبه جزيرة سيناء، وقد اصطلح على تسميتها باسم منطقة الهلال الخصيب⁽²⁾. وقد وردت تسمية كنعان وكنعانيون في التوراة⁽³⁾ للدلالة على أرض فلسطين وسكانها، الذين يتكلمون اللغة الكنعانية، وبالتالي شمل هذا الاسم جميع الإثنيات دون استثناء⁽⁴⁾، لقد كان العهد القديم من أبرز المصادر المهمة - رغم تحفظنا عن ما سيقّت من معلومات فيه- التي تناولت أحداث عن الشعوب التي كان العبرانيون على اتصال وتواصل معهم، وإذا كان العهد القديم قد اهتم بوصف أرض كنعان وامتدادها إلا أنه عند ذكر سكانها، كان ينعّتهم بأنهم أشرار وجب التخلص منهم⁽⁵⁾.

ووفقاً للعهد القديم أيضاً، استخدمت "كنعان" للإشارة إلى:

أرض كنعان، قبل استيطان بني إسرائيل "فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ، وَكُلَّ مُقْتَنِيَاتِهِمَا الَّتِي افْتَنَيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ.

(1) إفراس سواح، أرام دمشق إسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ط1، دار علاء، دمشق، 1995، ص19.

(2) منطقة الهلال الخصيب: بعد جيمس هنري بريستيد أول من اطلق على منطقة غربي آسيا والمحورة بين الجبال في الشمال والصحراء في الجنوب باسم الهلال الخصيب، وعلى ذلك بأنها تكون شكل نصف دائري على وجه التقريب، يتركز طرفه الغربي في جنوب شرقي البحر الأبيض المتوسط، ووسطه فوق شبه جزيرة العرب، وطرفه الآخر عند الخليج العربي، للمزيد انظر: جيمس هنري بريستيد، انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، ت، احمد فخري، د.ط، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص151؛ فليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان، ج1، ت، جورج حداد، عبد الكريم رافيق، دار الثقافة بيروت، ص 64؛ احمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ط1، الوراق للنشر، 2014، 91.

(3) سفر أشعيا 18/19.

(4) فليب حتي، المرجع السابق، ص87.

(5) خالد الدسوقي، دراسات في شعوب الشرق القديم، د.ط، مكتبة احمد حسن سعد، 1982، ص64.

فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ⁽¹⁾ .و. نقرأ في سفر صفنيا «وَيْلٌ لِّسُكَّانِ سَاحِلِ الْبَحْرِ أُمَّةِ الْكِرِّيْتَيْنِ
كَلِمَةُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ: يَا كَنْعَانُ أَرْضَ الْفِلِسْتِينِ، إِنِّي أَخْرَبُكَ بِلَا سَاكِنٍ».⁽²⁾

الاسم الاكدي: يرى بعض المؤرخين انه ربما كان الاسم الاكدي (كيناجي او كناخني) (kinakhni) وهو الاسم الذي أطلقه البابليون عليهم، وقد ظهر بصورة واضحة في رسائل تل العمارنة⁽³⁾ بصعيد مصر، وهي ترجع على ما يعتقد إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، مكتوبة باللغة الأكادية، وتعد هذه الرسائل من أهم الوثائق المكتشفة، والتي تم من خلالها الكشف عن الكثير من الغموض الذي لف منطقة الشرق الأدنى القديم، وأشارت هذه الحفريات بهذا الاسم، إلى البلاد الواقعة غربي نهر الأردن، بما فيها سوريا⁽⁴⁾. فقد استعملها المصريون للدلالة على المناطق الجنوبية الغربية من سوريا، وهي المناطق التي كانوا على احتكاك بها منذ بدايات التاريخ المصري. وترد التسمية في النصوص المصرية بصيغة "بي كنعان" (Pekanan)، وقد بقيت هذه التسمية مستخدمة في "العصر الهيلنستي".⁽⁵⁾

⁽¹⁾ سفر التكوين 5/12.

⁽²⁾ سفر صفنيا 2/5.

⁽³⁾ رسائل تل العمارنة: هي مجموعة من المكاتبات المتبادلة بين حكام الشرق الأدنى القديم ومصر، وربما كانت هذه أولى نماذج الدبلوماسية الدولية، رغم أن مواضيعها الأكثر شيوعاً هي اتفاقيات الزواج السياسي بين الحكام والاسر الحاكمة، وعبارات الصداقة، وتبادل السلع والبضائع، بين الدول، استمدت رسائل تل العمارنة اسمها من المكان الذي عثر فيه على الرسائل اللوحية لمدينة (أخيتاتون) القديمة، ومعناها (أفق آتون) التي بنيت بأمر من الفرعون (إخناتون) انظر: حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، ط2، دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت، 1990، ص48؛ خالد الدسوقي، المرجع السابق، ص66؛ تريغوريريس، ت، رفعت السيد علي، رسائل عظماء الملوك في الشرق الأدنى القديم، ط1، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ص367.

⁽⁴⁾ ظفر الاسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، ط1، در النفائس، بيروت، 1973، ص15، 16.

⁽⁵⁾ العصر الهيلنستي: فترة في التاريخ القديم كانت فيها الثقافة اليونانية تزخر بالكثير من مظاهر الحضارة في ذلك الحين، وقيل أن هذا العصر بدأ بعد وفاة الإسكندر الأكبر عام 323 ق.م، رغم عدم وجود اتفاق بين المؤرخين على بدايته؛ وقد صيغت لفظة "هيلنستي"، للدلالة على ذلك العصر، ولتمييز هذه الفترة عن الفترة السابقة لها، وهي "الفترة الهيلينية"، التي ازدهرت في الفترة المسماة بالكلاسيكية. للمزيد من التفصيل انظر: أبو بكر (فادية محمد)، دراسات في العصر الهيلنستي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص97.

كما ميز قدماء المصريين بين جنوب بلاد كنعان وشمالها، حيث أطلق على الجزء الجنوبي من بلاد كنعان اسم "خارو" (kharu) لتدل على شعب بعينه، ولأسم عام لسوريا وفلسطين، وأطلق على الجزء الشمالي اسم "ريتو" (Retnu).

كما وردت تسمية كنعان في النصوص السورية القديمة، من الألف الثانية قبل الميلاد، مثل نص إدريمي ملك الألاخ حيث يتحدث إدريمي في هذا النص عن قصة هروبه من الألاخ عقب انقلاب سياسي في القصر، حيث لجأ هذا الأخير إلى مدينة أميا في أرض كنعان⁽¹⁾ وهذه المدينة تقع على الساحل السوري الأوسط قرب (طرابلس) حالياً، وفي النصوص الميسينية (Mycénien) ⁽²⁾ نجد كنعاني تعني اللون الأحمر، ويمكن أن نشير هنا أنه منذ الألف الثالثة قبل الميلاد بدأت تسمية الكنعانيين (Canaanéens) تعني أحيانا الشعب أو السكان وأحيانا أخرى تعني البلاد والتي تشمل كامل المجال السوري الفلسطيني.

اختلف الباحثون في أصل تسمية "كنعان"، ف قيل أن أصل التسمية سامي "كنع" أو "خنغ" التي تعني: "الانخفاض، الهبوط ويُقصد بها الأرض المنخفضة"⁽³⁾ التي سكنها الكنعانيون، وخاصةً الساحل، للتمييز بينها وبين الأراضي المرتفعة المحاذية لها فكلمة "كنع" وفقاً لما ورد في المعاجم العربية، تأتي بمعنى: خضع؛ و "أكنع" بمعنى: دنا من الذلة، أو ذل للشيء. وقيل "أكنعاً لإبل" بمعنى: أدناها⁽⁴⁾ ومنهم من شكك في أصله السامي ورأى أن أصله هندو أوروبي من كلمة حورية هي "كناجي" (Knaggi) بمعنى، "صبغة حمراء"، "التي

⁽¹⁾ فراس سواح، ارام دمشق اسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، المرجع السابق، ص 19.

⁽²⁾ النصوص الميسينية : نسبة إلى ميسينا وهي مدينة إيطالية في جزيرة صقلية، تقع على شاطئ المضيق المعروف باسم مضيق ميسينا. للمزيد أنظر: مفتاح محمد سعد البركي، الصراع القرطاجي الإغريقي من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق.م، مجلس الثقافة العام، الجماهيرية العربية الليبية، 2008، ص 150.

⁽³⁾ عصفور محمد أبو المحاسن، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987، ص 158.

⁽⁴⁾ الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بالمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 22، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة، (د.ت)، ص 139.

تُستخرج من أحد أنواع الأسماك الصدفية التي توجد على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط،⁽¹⁾ ومنه أخذت الكلمة الكلدانية "كناحي" أو "كنحي" التي أُشير بها إلى "كنعان" أي بلاد الأرجوان لشهرتها بهذه الصباغة.⁽²⁾

- الشعوب التي استوطنت ارض كنعان قبل مجيء العبرانيين:

تعد شبه الجزيرة العربية الخزان البشري الذي منه انطلقت موجات هائلة من الشعوب والأقوام، في شكل هجرات متتالية ومتعاقبة وفق قانون الجذب والطرْد الذي فرضته الطبيعة، هذا وقد ظلت بوادي كنعان من أهم مناطق الجذب والطرْد البشريين في بلاد الشرق الأدنى القديم فلم تهدأ الحركة فيها في أغلب عصورها القديمة وقد شابتهما في ذلك إلى حد ما بوادي أرض الرافدين. وقد اكتسبت خاصية الجذب، نتيجة لتمييزها عن صحاري شبه الجزيرة العربية المتصلة بها في جنوبها، ونظرا لموقعها الجغرافي الوسيط في المنطقة ووفرة مياهها وخصوبة أراضيها، ووفرة عشبها الطبيعي وصلاحية بعض واحاتها للإقامة والتكاثر. الأمر الذي بوأها الأفضلية عن غيرها من المناطق، وجعلها محطة تبادل تجاري وحضاري، وممرًا للجيوش الغازية وساحة للمعارك مع المعتدين⁽³⁾. فترتب على ذلك أن أصبحت منطقة إغراء بالنسبة لقبائل هذه الصحاري كلما زادت كثافتهم عن طاقة مواردها المحدودة، وكلما طالت موجات الجفاف واشتدت على مراعيهم، وكلما مزقت الخلافات شمل قبائلهم وأجبرت بعضهم على ترك مواطنهم إلى خارجها. ومما أكسب هذه البوادي خاصية الدفع، هو وقوعها بين منطقتين غنيتين هما ضفاف الفرات شرقاً، والوديان والسهول الممتدة إلى سواحل البحر

(1) الموسوعة الأثرية العالمية، تأليف نخبة من العلماء، ترجمة محمد عبد القادر محمد و زكي إسكندر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة، 1997، ص 130.

(2) عصفور محمد أبو المحاسن، المرجع السابق، ص ص 158، 159.

(3) زهير عبد المجيد الفاهوم، فلسطين ضحية وجلاؤون، ط2، شمس للنشر والاعلام، القاهرة، 2012، ص 28.

المتوسط غرباً، وهو ما جعل هاتين المنطقتين مطمحاً دائماً للمهاجرين الذين اندفعوا إليها بأعداد كبيرة.⁽¹⁾

• **الكنعانيون:** لا يخالجنّا الشك إذا قلنا بأن الكنعانيين هم أقدم الشعوب التي استقرت في فلسطين، في النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد، وربما إلى قبل ذلك بزمان بعيد وفقاً لما توصلت إليه أعمال التنقيب الأثرية التي قام بها بعض الأثريين، من أمثال العالم الأثري اليهودي وليام البرايت (William Albright) حيث عثر على معبد مبني بالحجر⁽²⁾ المنحوت، في أريحا والذي يعد من أقدم المعابد الكنعانية، يعود تاريخه إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد أرجع الباحثون تاريخ بلدة أريحا⁽³⁾، إلى ما قبل سبعة آلاف سنة قبل الميلاد⁽⁴⁾، وهي من أقدم مدن العالم والتي مازالت إلى يوم الناس هذا.⁽⁵⁾ ويذهب العالم الأثري وليام البرايت في دراساته على أن "هناك من الأدلة والبراهين على أن الكنعانيين أصحاب اللغة السامية الغربية استقروا في فلسطين في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد⁽⁶⁾، حيث عثر على أسماء مدن تحمل أسماء كنعانية ترجع إلى الأسرة الخامسة المصرية (2965 ق.م)⁽⁷⁾.

(1) صالح عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ج 1، ص 18-19؛ وانظر أيضاً: علي (جواد)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 1، الطبعة الثانية، بغداد، 1993، ص ص 213، 215.

(2) أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، المرجع السابق، ص 96.

(3) أريحا: مدينة كنعانية قديمة من أقدم مدن فلسطين، أرجع المؤرخون تاريخها إلى ما قبل سبعة آلاف سنة قبل الميلاد، ومعنى كلمة (يرىحو) في الكنعانية القمر، مما يدل أن عبادة القمر كانت منتشرة عند هؤلاء الاقوام، وفي التوراة تذكر باسم (أريحا) بمعنى مدينة النخيل، حيث تعرف بانتاج التمور. للمزيد أنظر: أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، المرجع السابق، ص 787؛ Charles Gates, The archaeology of urban life in the Ancient Near East and Egypt, Greece, and Rome, first pub, by Routledge, London, 2003, P18

(4) وهيب طنوس، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، وقائع الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية، جامعة حلب، في الفترة من 19.09.1981 إلى 24.09.1981، ص 17.

(5) Bright(John), A History of Israel, Printed By Offset In Great Britain, Published by SCM, London, 1966. P18

(6) Ibid, p34

(7) William F. Albright, Archaeology and the religion of Israel, John hopkins, Press, 1942, P 68.

نقلاً عن أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، المرجع السابق، ص 96؛ حسن الباشا، الميثولوجيا الكنعانية والاعتصام التوراتي، ط 1، دار الجليل للطبع والنشر، دمشق، سوريا، 1988، ص 10.

الكنعانيون كغيرهم من الشعوب السامية⁽¹⁾ - رغم تعمد محرروا التوراة على إقصاء الكنعانيين من الانتساب إلى سام بن نوح عليه السلام وذلك لأسباب دينية وسياسية - وفدوا إلى منطقة الهلال الخصيب قادمين من شبه الجزيرة العربية⁽²⁾، ولعل هذا ما كان يقصده المؤرخ اليوناني هيرودوت عندما تحدث عن الكنعانيين، على أنهم مهاجرون من أريتيريا سواء قصد بهذه العبارة الجنوب العربي وساحل الحبشة، أم منطقة الخليج في الشمال الشرقي للهضبة العربية، إذ نزلوا أولاً ببلاد العرب الصخرية (Arabia Petraea)⁽³⁾ شمال الحجاز ومنها دخلوا النقب ليحطوا رحالهم بسواحل البحر المتوسط الشرقية⁽⁴⁾ وربما ترافقت هجرة الكنعانيين مع هجرة الاموريين، حيث استقر الاموريون في الأقسام الداخلية من بلاد الشام، في حين استقر الكنعانيون في المناطق الساحلية منها، وقد دعت فلسطين "بأرض كنعان" نسبة إلى الكنعانيين، كما ويعد الفينيقيون الذين حطوا رحالهم على الشريط الساحلي، فرعاً من الكنعانيين⁽⁵⁾.

(1) السامية: وهو اللقب الذي كان المستشرق الألماني شلوتزر، أول من استخدمه عام 1781م، للإشارة إلى المتكلمين بإحدى اللغات السامية، بناءً على تشابه هذه اللغات الواضح، وظناً منه أن المتكلمين بها منحدرون من نسل سام بن نوح، كما جاء في شجرة الأنساب الواردة في التوراة (تك10: 21-31؛ 10: 11-26). أنظر: باقر (طه)، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق للنشر، الطبعة الأولى، بغداد، 2009م، ص83؛ ولمعرفة المزيد عن الساميين أنظر: شريف قوعيش، دور البحرية الفينيقية في ربط العلاقات الحضارية الباكرا بين الحوض الشرقي للمتوسط وغربه، رسالة ماجستير، في التاريخ القديم، جامعة وهران، 2015، ص، ص 42، 32.

(2) عبد الحميد أحمد أبو سلة، الكنعانيون والعبرانيون و صراع المسميات، المجلة العلمية لكلية التربية، مج1، عدد10، جامعة مصراتة، ليبيا، 2018، ص196.

(3) Arabia Petraea: ولعل هذه التسمية هي من إضافة العالم الجغرافي الشهير (بطليموس)، وتشمل كل من شبه جزيرة سيناء وما يتصل بها من فلسطين إلى الأردن للمزيد أنظر: بلقاسم رحمان، حضارة العرب القديمة، دط، مطبعة بغجة، قسنطينة، الجزائر، 2009، ص62؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج1، ط2، 1993، ص 164؛ لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكواع الحوالي، ط1، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، 1990، ص84 وما بعدها Diodor de sicile, Bibliothèque Historique de Ferdinand Hoefer, éd, Adolphe Delahays, Paris, 1851, LII, 49, par

(4) بيومي مهران، المرجع السابق، بنو إسرائيل، ج2، ص 479.

(5) رشاد محمود عبد المجيد بغداد، العلاقات بين الجزيرة العربية وفلسطين حتى الفتح الإسلامي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1987، ص44.

استقر الكنعانيون في المنطقة التي اعتبروها وطنهم البديل بعد الهجرة، واستطاعوا أن يؤسسوا مدناً ذات طابع كنعاني، من أهمها: (مدينة أريحا، التي تسمى "جيركو" Jericho) و"بيت شان" (Bet-Shan)⁽¹⁾، و"مجدو"⁽²⁾ (Megiddo) وغيرها من المدن التي كونت لنفسها أنظمة سياسية مستقلة عرفت بنظام دولة المدينة، أسسوا عليها حضارة راقية تبوّأت فيما بعد مكانة عالمية بما أنتجته من ابتكارات ولعل في مقدمتها ابتكارهم للكتابة (الأبجدية الكنعانية) التي ساعدت أمم الأرض أن تبتكر لنفسها أبجدياتها وتكتب بها تراثها⁽³⁾.

نظراً لطبيعة الكنعانيين القائمة على مبدأ التسامح، فإن أغلب الوافدين إلى أرض كنعان كانوا سرعان ما يذوبون في المجتمع الكنعاني، ويتقمصون أساليب الحضارة الكنعانية، وينهلون من نبعها، ولعل هذا ما ينطبق على الشعب "الفلسطيني" الذي استوطن الساحل الكنعاني في حدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد، على عكس جماعات العبرانيين الذين اكتفوا بإتباع سياسة التقوقع على الذات ورفض الاندماج مع غيرهم من الأمم رغم ضحالة ما يحملون من موروث حضاري.

⁽¹⁾ "بيت شان": مدينة كنعانية تقع غربي نهر الأردن. اسمها القديم "أفراثة"، واسمها الحالي "تل الحصن" بالقرب من "بيسان"؛ وفيها آثار متراكمة يعود أقدمها إلى الألف الرابع ق.م. وعند احتلال بني إسرائيل لأرض كنعان، كانت هذه المدينة من حصّة سبط يساكر في بادئ الأمر، ثم ألحقت بأمالك سبط منسى. أنظر سفر يوشع 17/11؛ سفر أخبار الأيام الأول 29/7؛ يوشع برأور، الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس اللاتينية، ت، عبد الحفيظ عبد الخالق البناء، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 2001، ص67.

⁽²⁾ مجدو: مدينة كنعانية تقع حالياً في "تل المتسلم" جنوب شرق حيفا. كشفت الحفريات الآثارية في تل المتسلم، عن عدة طبقات من الأماكن التي كانت أهلة بالسكان، يرجع تاريخ بعض منها إلى الألف الرابع ق.م؛ كما تمّ اكتشاف نقوش تعود إلى القرن الرابع عشر ق.م، حيث تُظهر هذه النقوش ثقافة الكنعانيين ومدنيتهم. وتم الكشف أيضاً عن سرداب تمّ شقّه في الصخر، ليصل إلى نبع ماء، حيث يُظهر ذلك مهارة الكنعانيين الهندسية. أنظر سفر القضاة 19/5، 27/1.

⁽³⁾ خزرل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2001، ص41.

• **اليبوسيون:** هم فرع من القبائل الكنعانية، التي كانت قد نزحت من جزيرة العرب، واستقرت في فلسطين منذ أوائل الإلف الثالثة قبل الميلاد، لذلك سميت المدينة باسمهم (يبوس)، وقد أصبحت هذه التسمية مرادفة لاورشاليم واورسالم⁽¹⁾ مدينة اليبوسيين⁽²⁾. ويبوس اسم جبل بالشام بواد التيم من دمشق⁽³⁾، وكان المصريون يطلقون عليها اسمها اليبوسي (يابيتي) وأحيانا يستخدمون اسمها الكنعاني (أورسالم)، (أور) بمعنى مدينة و (سالم) بمعنى السلام وهو في الاعتقاد اسم اله وثني لسكان فلسطين، وهو اله سلامة القوافل، وبالتالي فكلية (اورسالم) تعني مدينة السلام. هذا وقد ورد اسمها (أوروساليمو) في نقوش الإمبراطور الأشوري (سنحاريب)⁽⁴⁾ حوالي 700 ق.م، وفي عهد الاسكندر المقدوني سماها اليونانيون (هيروسوليم) وفي عهد الامبراطور الروماني (إيليو سهدريان) صار اسمها (إيليا كابيتولينا)، وظلت تعرف باسم (إيليا) حتى أوائل الفتح الإسلامي، كما ذكرت في نصوص أسفار الكتاب المقدس بإسم (القدس).⁽⁵⁾ أسس الكنعانيون ومنهم اليبوسيون حضارة كنعانية ذات طابع خاص، ورد ذكرها في رسائل تل العمارنة، وقد ظهر بينهم ملوك ذكرت مآثرهم في التاريخ، من أمثال (ملكي صادق) الذي يعود له الفضل في بناء مدينة (يبوس)⁽⁶⁾ في الألف الثالثة ق.م، والتي أصبحت عاصمة لليبوسيين، ومن ملوكها أيضا الذي ذكرته

⁽¹⁾ مدينة أورسالم (أورشاليم): مدينة كنعانية عربية، وأن المصادر اليهودية ذاتها تشهد بعروبتها، والعجيب أن تسمية أورشاليم التي يحاول الصهاينة اليوم عداها من الأسماء اليهودية، هي في الحقيقة كلمة كنعانية عربية أصيلة وردت في النصوص الكنعانية التي وجدت في مصر قبل ظهور اليهود بعدة قرون. أور تعني مدينة وسالم أو شالم، قيل هو إله السلام عند الكنعانيين، وقد ورد ذكرها عند الأكاديين الذين نزلوا العراق في نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد، كما ذكرت في لوحات تل العمارنة، و التي ترجع إلى عهد الفرعون أمونفيس (أمنحتب) الثالث (1411/ 1375)، ويتكرر اسم أور سالم في نقوش الإمبراطور الأشوري (سنحاريب) عام 700 ق.م حيث ورد اسمها (أوروساليمو)، وتحول الاسم عند اليونان بعد غزو الاسكندر المقدوني لها عام 330 ق.م إلى هيرو سوليم، أو (سوليم) للمزيد أنظر: حسن ظاظا، القدس مدينة الله ام مدينة داود، مطبعة جامعة الإسكندرية، القاهرة 1970، ص 8؛ محمد علي البار، القدس والمسجد الأقصى عبر التاريخ، ط2، دار الفقيه، القاهرة، 2013، ص 15، 16؛ أنور محمود زناتي، القدس بين إقرار النصوص التوراتية وكلمة التاريخ المنهجية، مجلة كان التاريخية، الالكترونية العدد 6، 2009، ص 59

⁽²⁾ سفر القضاة 10/19، 11

⁽³⁾ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، بيروت، 1979، ص 143.

⁽⁴⁾ سيد فرج راشد، القدس عربية إسلامية، ط2، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 1968، ص 28

⁽⁵⁾ سفر اشعيا 2/48، نحما 1/11.

⁽⁶⁾ ظفر الاسلام خان، المرجع السابق، ص 2، 3.

كتب التاريخ سالم اليبوسي الذي أخذت المدينة في عهده اسم اورسالم تقريبا عام 1479 ق.م⁽¹⁾

الفلسطينيون: الفلسطينيون من الشعوب التي استقرت في فلسطين في العصور القديمة، ومنحوا اسمهم للمنطقة التي استقروا فيها⁽²⁾، إن موضوع أصل الفلسطينيين⁽³⁾ يكتنفه الغموض والتعقيد، وعدم وجود الأدلة الكافية لنفيه أو إثباته، وقد تعددت آراء المؤرخين والعلماء حوله، ولكن يجمع الكل على أن الفرس/البليست⁽⁴⁾ هم أحد شعوب البحر⁽⁵⁾، ولكنهم لا يتفقون على أنهم هم الفيلبيست، وأن هذه المنطقة سميت باسم فلسطين تبعاً لهم، ويذهب الباحث السوري احمد داود إلى القول، أن أصل كلمة فلسطين أو فلسطين تعني في العربية القديمة، المحارب، المقاتل، وبالتالي فهي صفة لشعب ولا تعبر بأي حال من الأحوال عن الفلسطينيين المزعومين - حسب قوله - والذين وفدوا من البحر، وقد ورد ذكرهم في كتابات العديد من المؤرخين، والحقيقة أن سكان جنوب سوريا والذين يدعون بالفلسطينيين، هم في حقيقة الأمر جزء من سكانها الاصلاء، من العموريين والكنعانيين والفنيقيين⁽⁶⁾ ولم يعرفوا تسمية فلسطين والفلسطينيين طيلة فترة ما قبل الميلاد، وهذا كلام في حقيقة الأمر يجانب الحقيقة، إذ وللعودة للمصادر القديمة خاصة ما أورده هيرودوت في كتابه التواريخ في الفقرة الحادية والتسعين من الكتاب السابع، ما نصه: "وهذا الجانب، من الساحل سوريا، حيث استقر الفينيقيون القادمون من الخليج العربي في المنطقة التي تمتد جنوباً نحو مصر تعرف

(1) خالد محمد غازي، سيرة مدينة القدس، ط1، دار الهدى للنشر، القاهرة، 1998، ص 23.

(2) خالد الدسوقي، المرجع السابق، ص 207.

(3) عبد الفتاح مقلد، الكنعانيون وتاريخ فلسطين القديم، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2003، ص 47.

(4) Ianshaw And Robert Jameson, Dictionary of Archaeology, first publishers, Malden Massachusetts, U.S.A, 1999, P466.

(5) شعوب البحر: شعوب البحر هو الاسم الذي أطلقه المصريون القدماء للمجتمعات الهجرة البحرية الكبيرة إلى شواطئ البحر المتوسط في أواخر

القرن الـ 12 وأوائل القرن الـ 13 قبل الميلاد. في عهد رمسيس الثالث، اجتاحت حشود من شعوب البحر المملكة، وأوقفت على يد الجيوش المصرية واستقرت على طول الساحل الشرقي للمزيد أنظر:

Foucounau, J, Les Peuples de la mere et leur Histoire, Ed, L'harmattan, Paris, 2003, pp8, 11.

(6) أحمد داود، العرب والساميون وبنو إسرائيل واليهود، ط1، دار المستقبل، دمشق سوريا، 1991، ص 107.

كلها باسم فلسطين"⁽¹⁾، بعد أن كان الجزء الغربي فقط من بلاد كنعان هو موطن الفلسطينيين، فمنذ مطلع القرن الثاني عشر ق.م أصبحت جغرافية فلسطين تعني كل بلاد كنعان⁽²⁾.

أما فليب حتي فيذهب إلى القول بأن الفلسطينيين،(أنظر الملحق رقم 03). شعوب بحرية قدمت من منطقة بحر ايجه، ومن منطقة آسيا الصغرى، في شكل هجرات جماعية لم يعرف سببها، وان كانت في رأينا ومما يميل إليه الاعتقاد، أن هذه الهجرات تعود إلى الزلازل التي ضربت المنطقة في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أو ربما بسبب ضغط الإغريق⁽³⁾ الذين احتلوا جزيرة كريت، والتي أدت إلى نزوح جماعي لتلك الشعوب⁽⁴⁾، والتي واصلت سيرها حتى وصلت الساحل المصري، - بعد أن أسقطت الدولة الحيثية حوالي سنة 1200 ق.م -⁽⁵⁾ لكن واجهت مقاومة شديدة من المصريين في عهد الملك رمسيس الثالث، الذي سمح لها بالإقامة في ساحل سوريا الجنوبية، -الذي أصبح يسمى بإقليم فلسطين⁽⁶⁾ والممتد من غزة حتى جنوب يافا⁽⁷⁾ - ربما مرد ذلك لتكون هذه الشعوب درعا لمصر يحميها من أي هجمات محتملة من الشرق⁽⁸⁾، واستطاعوا أن يؤسسوا العديد من المدن، منها (غزة، عسقلان، جت، اشدود)⁽⁹⁾ بعد أن قضوا على سكانها، كما تذهب إليه أسفار التوراة⁽¹⁰⁾ واستطاع الفلسطينيون أن يندمجوا بسهولة مع الكنعانيين والعموريين، بحيث أصبح من غير

⁽¹⁾ Hérodote, Histoire, trad, Larcher, Avec des notes, de Bochart, Wessling, Scaliger, Etc., Charpentier, Libraire-éditeur, 17, Rue de Lille, 1850, Paris, L. VII, 91.

⁽²⁾ ثروت أنيس الأسيوطي، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين، دط، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1966، ص 123.

⁽³⁾ خالد محمد غازي، المرجع السابق، ص 22.

⁽⁴⁾ Ann E. Killebrew and Gunnar Lehmann, The Philistines And Other "Sea Peoples" in Text And Archaeology Society of Biblical Literature, Atlanta, Georgia, 2013, p 6.

⁽⁵⁾ أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981، ص 39.

⁽⁶⁾ سيد القمني، النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، ط 1، دت، ص 602.

⁽⁷⁾ احمد داود، تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحري، ط 3، دار الصفي، دمشق، 1997، ص 659.

⁽⁸⁾ نزار مصطفى كحلة، غزوات شعوب البحر، مجلة افاق ثقافية، العدد 4، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2017، ص 136.

⁽⁹⁾ بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج 2، المرجع السابق، هامش رقم 1، ص 543.

⁽¹⁰⁾ سفر التثنية 23/2.

الممكن التمييز بين الفلسطينيين والكنعانيين، إذ سرعان ما ذاب هذا العنصر الوافد واصطبغ بالصبغة الكنعانية⁽¹⁾ بسرعة في حوالي القرن الحادي عشر ق.م تقريبا، حيث اقتبسوا اللغة والثقافة الكنعانية⁽²⁾ في فترة لا تزيد عن 150 عاما تقريبا منذ وصولهم واستقرارهم بأرض فلسطين⁽³⁾.

بينما وبالعودة إلى نصوص التوراة نجد أن فلسطين ذكرت في كذا موضع، جاء في سفر التكوين: «ثم قام أبيمالكوكولي رئيس جيشه ورجعا إلى أرض فلسطين وغرس إبراهيم أثلا في بئر سبع ودعا هناك باسم الرب السرمدي وتغرب إبراهيم في أرض فلسطين أياماً كثيرة.»⁽⁴⁾ وأيضاً: «وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم فذهب إسحق إلى أبيمالك ملك فلسطين إلى جرار.»⁽⁵⁾ وكذلك الأمر بالنسبة لشعب فلسطين الفلسطينيين. فقد ورد هذا الاسم في العهد القديم أكثر من مرة، وفي نفس الفترة التي ذكر فيها اسم فلسطين كموقع. يقول الخطاب التوراتي عن اسحق عليه السلام: «فكان له مواش من الغنم ومواش من البقر وعبيد كثيرون. فحسده الفلسطينيون. وجميع الآبار التي حفرها عبيد أبيه في أيام إبراهيم طمها الفلسطينيون وملأوها تراباً»⁽⁶⁾.

يتكرر ذلك في موضع آخر في ما نصه، "فَعَادَ إِسْحَاقُ وَنَبَشَ آبَارَ الْمَاءِ الَّتِي حَفَرُوهَا فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ أَبِيهِ، وَطَمَّهَا الْفِلِسْطِينِيُّونَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ، وَدَعَاَهَا بِأَسْمَاءٍ كَالْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَاَهَا بِهَا أَبُوهُ."⁽⁷⁾

⁽¹⁾James. B.Pritchard, The Ancient Near East An Anthology Of Texts And Pictures, Princeton University Press, London, 1985, p185.

⁽²⁾كمال سغفان، اليهود تاريخ وعقيدة، ط1، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، 1981، ص16.

⁽³⁾Adolphe .Lods, Op.Cit,pp127,128.

⁽⁴⁾ سفر التكوين 32/21، 34.

⁽⁵⁾ سفر التكوين 16/26.

⁽⁶⁾ سفر التكوين 14/26، 15.

⁽⁷⁾ سفر التكوين، الإصحاح 26، الآية 18.

يتضح من ذلك أن الفلسطينيين، كانوا موجودين قبل خروج بني إسرائيل من مصر، بقيادة موسى عليه السلام بعدة قرون، وأنهم أصحاب الأرض الأصلاء، وليسوا دخلاء عليها. وفي نصوص أخرى من التوراة تصور خوف اليهود من شجاعة وبسالة الإنسان الفلسطيني، «وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة، لأن الله قال لنألا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر»⁽¹⁾.

يعد الفلسطينيون من بين الشعوب التي اصطدم بها العبرانيون بعد خروجهم من مصر، وكان النصر والهزيمة سجالات بين الطرفين خلال عصر القضاة، وكذلك أثناء عهد الملوك⁽²⁾ ولعل سر انتصارات الفلسطينيين مردها إلى معرفتهم بصهر الحديد الذي ادخل في صناعة أسلحتهم، إلى مجيء داود النبي الذي تمكن من معرفة صهر الحديد بتوفيق من الله سبحانه وتعالى، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ⁽³⁾.

العموريون⁽⁴⁾: من الموجات السامية العربية التي اعقبت هجرة اليبوسيين الى منطقة بلاد كنعان هجرة العموريين، وهذه هي الهجرة الثانية الكبرى من جزيرة العرب⁽⁵⁾، قامت بها الجماعات التي تسمت بالعموريين العمالقة⁽⁶⁾، في الوقت نفسه الذي هاجر فيه الكنعانيون وربما قبلهم، وقد استقر العموريون في بداية الامر في الشمال من سوريا، ثم اخذوا في

⁽¹⁾ سفر الخروج 17/13.

⁽²⁾ سفر صمويل الأول 5 / 1 الى 12.

⁽³⁾ سورة سبأ، الآية 10.

⁽⁴⁾ Trevore Bryce, Ancient Syria, A three Thousand Year History, First edit, Oxford University Press in the UK, 2014, pp 17,18.

⁽⁵⁾ محمد آل يوسف حسين، أصول العرب البابلية مبتدأ العاربة وخبر المستعربة دراسة تاريخية توضح الجذور البابلية للأمة العربية، ط1، دار الرافدين، بيروت، لبنان، 2013، ص52.

⁽⁶⁾ العمالقة: (هم بنو عمليق ويقال عملاق بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهم أمة عظيمة يضرب بهم المثل في الطول، حيث آتاهم الله بسطة في الجسم، تفرقت منهم أمم فكان منهم أهل المشرق، وأهل عمان والبحرين، والحجاز، وكان منهم ملوك العراق والجزيرة وجبابة الشام وفراعنة مصر). للمزيد أنظر: القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ج1، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1980، ص54؛ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر، ط1، ج1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1998، ص63.

التوسع والانتشار حتى وصلوا الى جنوب فلسطين⁽¹⁾. استطاع العموريون أن يحققوا انجازات حضارية هائلة في العراق، حيث اقتبسوا أساليب الحضارة من السومريين والاكاديين لذا فإن تاريخهم في هذه البلاد أكثر أهمية ووضوحاً من تاريخهم في سورية و فلسطين أطلق عليهم السومريون تسمية (مارتو)، أي بلاد الغرب بينما أطلق عليهم الاكديون اسم امورو التي تعني ارض مستقر الشمس أي جهة الغروب، كما ورد ذكرهم في النصوص المصرية في عهد الملك سيتي الأول 1291-1309 ق.م فعلى جدران معبد الكرنك نص يبرز إنتصارات الملك سيتي في بلاد (أمعور) والمقصود بها أمورو وقد اتخذ الاموريون من مدينة ماري⁽²⁾ عاصمة لهم، والتي تسمى اليوم بتل الحريري بالقرب من دير الزور بسوريا. وتكشف رسائل العمارنة التي اكتشفت في مصر عن وجود عدد من الدول العمورية في سورية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وكانت على ما يبدو تتبع سياسة ذكية للاستفادة من الصراع بين دولة مصر والدولة الحيثية للحفاظ على مصالحها واستقلال كيانها.

جاء سياق ذكرهم في اسفار العهد القديم⁽³⁾ أنهم من الامم والشعوب التي كانت تقيم في فلسطين قبل مجيء بني إسرائيل لهذه البلاد، حيث استقروا في ما يعرف حالياً بشرق الاردن في المناطق الجبلية بينما استقر الكنعانيون في مناطق السهول والاراضي المنخفضة وإذا كان من الصعب تحديد تاريخ دقيق لدخول العموريين إلى فلسطين فمن الممكن القول أنهم كانوا يقيمون فيها منذ الألف الثالث قبل الميلاد وذلك استناداً إلى الأدلة المستنبطة من نتائج

(1) الهام محمد هاشم الدجاني، قديمة وعروبة القدس عبر العصور، مركز الزيتونة للدراسات الفلسطينية، بحث مقدم لنيل جائزة القدس عاصمة الثقافة العربية، 2009، ص 8؛ فليب حتي تاريخ سوريا ولبنان، المرجع السابق، ص 75، 88.

(2) ماري: تقع ماري المعروفة حالياً باسم (تل الحريري) على بعد 11 كم الى الشمال الغربي من مدينة (البوكمال) على الضفة اليمنى من نهر الفرات، شهدت مدينة ماري فترتي ازدهار الاولى في الالف الثالث والثانية في النصف الاول من الالف الثانية قبل الميلاد، سقطت مدينة ماري في نهاية المرحلة الاولى بيد الملك الاكادي (شروكين) (2340/2284 ق.م، وتعرضت للدمار والتخريب ثم عادت للحياة من جديد مع وصول الاموريين الى سوريا في بداية الالف الثانية ق.م. للمزيد أنظر: خليل اقطيني، مملكة ماري من اعظم حضارات العالم القديم في حوض الفرات، مجلة كان التاريخية، العدد 4، 2009، ص 42-46؛ فليب حتي تاريخ سوريا ولبنان، المرجع السابق، ص 70-85؛ عدنان جندي، الفن العموري، دط، دت ط، ص 6؛ شريف قوعيش، دور البحرية الفينيقية في ربط العلاقات الحضارية الباكرا بين الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط وغريه، رسالة ماجستير، في التاريخ القديم، جامعة وهران، 2015، ص 61.

(3) سفر التكوين 14/7 و 13؛ سفر العدد 29/13؛ سفر التثنية 19/7 و 19/20 و 44؛ سفر يوشع 5/6؛ سفر القضاة 35/1 و 5/3؛ سفر صميل 14/7.

الحفائر الأثرية التي تشير إلى وجودهم في فلسطين في العهد الأوسط من العصر البرونزي الأول ويرى علماء الآثار الذين أشرفوا على عمليات التنقيب أن الدمار الواضح الذي حل بعدد من مدن الألف الثالث قبل الميلاد كانت نتيجة هجمات العموريين وتدفقهم إلى تلك البلاد، يضاف إلى ذلك أن عدداً من الأسماء العمورية كانت معروفة منذ الألف الثاني قبل الميلاد.

الرفائيون: من الأقوام الكنعانية التي كانت تستوطن وفقاً لرواية التوراة منطقة باشان شرق الأردن⁽¹⁾ قبل مجيء بني إسرائيل، بل قبل حتى وفود إبراهيم عليه السلام إلى بلاد كنعان، ورد ذكرهم في التوراة مع الفينيقيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والعموريين والجرجاشيين واليبوسيين.

الآراميون: ينتسب الآراميون إلى آرام⁽²⁾ بن سام بن نوح عليه السلام، لانعرف على وجه اليقين موطن الشعوب الآرامية، فقد تباينت الآراء وتشعبت حول هذا الموضوع، فهناك من يقول انهم من الموجة السامية⁽³⁾ التي انطلقت من جنوب بلاد النهرين باتجاه الفرات الأعلى⁽⁴⁾، وهناك من يرى انهم شعوب نزحت من المناطق الشمالية، عبر الحدود الغربية من الصحراء السورية، باتجاه مصر وبلاد كنعان، وهناك من يذهب إلى القول بانهم، من الشعوب الجزرية التي نزحت من شبه الجزيرة العربية⁽⁵⁾، ضمن إحدى الموجات التي تدفقت منها نحو بلاد الشرق القديم. وفي اسفار التوراة ذكر موطن الآراميين بارض بلاد المشرق⁽⁶⁾، والمقصود بارض بلاد المشرق، الصحراء الواقعة الى الشرق من فلسطين، وهي الصحراء

(1) صمويل الثاني 13/23؛ يوشع 8/15، 18، اشعيا 5/17.

(2) سفر التكوين 20/10، 21.

(3) Ianshaw And Robert Jameson, Dictionary of Archaeology, First Pub, Malden, Massachusetts, U.S.A, 1999, P 70.

(4) البير أبونا، الآراميون في التاريخ، ط1، دار المشرق الثقافية، دهوك، العراق، 2010، ص15.

(5) Herodote, Histoires, L II, ch8-17, ch75-82; LIII, ch, 2-12.; Strabo, The Geography, trans by, Horac Leonard Jones, Cambridge, 1917-1949, B xvi, CH, 4:21-27; Plinus Secundus, Natural history, ed, H, Rackham, Combridge, 1958, Bk VI, ch, 30-32.

(6) سفر التكوين 1/29.

السورية⁽¹⁾، ويرجع أصل الآراميين إلى الجنس السامي، وكانوا في بداية الأمر مجموعات من القبائل أطلق عليهم اسم السوتي⁽²⁾، تكوّن الآراميون من جملة عشائر وقبائل، منهم فرع عُرف باسم "الأخلامو"، والتي تعني الحلفاء⁽³⁾ وقد ورد ذكرهم في رسائل تل العمارنة، ومنهم فرع عُرف باسم "كلدو"، ومنهم الكلدانيون الذين أسسوا الإمبراطورية البابلية الأخيرة. كما ورد ذكرٌ لجماعات أخرى نُسبت إلى الآراميين سُميت بـ "الخبيرو" أو "الحبيرو" أو "العبيرو"، وقد تمت الإشارة إليهم في رسائل تل العمارنة في حدود القرن الرابع عشر ق.م، باسم "العفيرو"⁽⁴⁾، إذ يذهب الاعتقاد كما يشير إليه المؤرخ فليب حتي، على أنها اتحاد مجموعة قبائل أطلقها الاموريون على الآراميين المقيمين في شمال بلاد ما بين النهرين⁽⁵⁾ والاراميون كانوا خاضعين للعموريين في بداية عهدهم، لكن وفي مطلع عام 1500 ق.م⁽⁶⁾ استطاعوا أن يؤسسوا لأنفسهم ممالك خاصة بهم، في شمال ووسط سوريا، منها (مملكة آرام النهرين، مملكة دمشق، مملكة صويا... وغيرها، ومن المرجح أن هجرتهم قد انطلقت من شبه الجزيرة العربية في حدود 1500 ق.م⁽⁷⁾ بعد هجرة الاموريين الذين اجتاحتهم سوريا ومن ثم بلاد الرافدين في حدود 2200 ق.م⁽⁸⁾ لقد انتهى الدور السياسي للآراميين في بلاد كنعان، عندما بدأ الملك الآشوري "توكولتي نورتا الثاني" (899-884 ق.م) في القرن التاسع ق.م، التقدم باتجاههم. فأزيلت الممالك الآرامية تحت وطأة الضغوط الآشورية، حتى سقطت آخر معاقلهم في دمشق عام 732 ق.م. لكن انتهاء الدور السياسي الآرامي، لم ينه التاريخ الآرامي؛ فإنه

(1) خالد الدسوقي، المرجع السابق، ص 126.

(2) بولس عياد، الآراميون في مصر منذ بداية ظهورهم في القرن السابع ق.م حتى اختفائهم في ق 2 ق.م، دط، القاهرة، 1975، ص 7.

(3) محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج 2، المرجع السابق، ص 489.

(4) مجيد جاسم محمد احمد، علاقة بني إسرائيل بأرض كنعان في ضوء أسفار العهد القديم وأثرها في توجيه الفكر الصهيوني دراسة تاريخية تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، 2015، ص 89.

(5) فليب حتي، المرجع السابق، ص 175، 176.

(6) Eric Cline, the Ancient World Civilisations of the Near East and South West Asia, Vol 4, The George Washington University, 2007, P5.

(7) فراس سواح، تاريخ اورشاليم والبحث عن مملكة اليهود، ط 3، دار علاء للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2003، ص 117.

(8) Edward lipinski, The Aramaeans their Ancient History, Culture, Religion, ed, Leuven, Sterling Virginia, 2000, P35.

مع نهاية القرن الثامن ق.م، أصبحت اللغة الآرامية، لغة الشرق الأدنى، كما كانت الأكديّة في العصور القديمة؛ إذ حلت كتاباتهم محل الكتابة المسمارية، التي استمر استخدامها لسنوات طويلة في الشرق الأدنى القديم.⁽¹⁾

• **الآدوميون:** وينسب الآدوميون إلى ادوم وهو عيسى بن إسحاق بن إبراهيم الخليل وتطلق التوراة عادة ادومو على ذلك فهم يعتبرون من أقرب العناصر دما ولغة إلى آل يعقوب، وقد تركوا موطنهم في أقصى جنوب بلاد شرق الأردن وجنوب واد الحسا الذي ينساب إلى الجنوب من البحر الميت، وقد كانت عاصمتهم "سالع" ثم تغيرت إلى "ابتراء" والتي تحولت إلى عاصمة للأنباط بعد ادوم⁽²⁾ نسبة إلى أدوم⁽³⁾ وهو عيسو بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، وشقيقه التوأم هو يعقوب، أما موطنهم فقد كان في أقصى جنوب بلاد شرق الأردن والآدوميون من القبائل الآرامية التي سكنت جنوب الأردن وفلسطين في الفترة التي تأسست فيها الممالك الآرامية الشمالية في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م، وفي فترة حكم الملك داود لقبائل بني إسرائيل خضع الآدوميون في عهد ملكهم (هداد) الذي فر إلى مصر -لنفوذ مملكة العبرانيين-، حيث أكرم المصريون وفادته، إذ تروي نصوص الكتاب المقدس ما نصه: " أن هدّد هرب هو ورجال أدوميون من عبيد أبيه معه ليأتو مصر، وكان هدّد غلاما صغيرا، وقاموا من مديان وأتو إلى فاران، وأخذوا معهم رجالا من فاران وأتو إلى مصر، إلى فرعون ملك مصر، فأعطاه بيتا وعين له طعاما وأعطاه ارضا.." ⁽⁴⁾ والآدوميون من اقرب العناصر دما ولغة إلى بني إسرائيل،

(1) جودت السعيد، أوهام التاريخ اليهودي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1998، ص40.

(2) الحضارة المصرية في مصادر بلاد الشام وبلاد النهرين في عصر الانتقال الثالث،

SayedAbd-Alim,jornal of Faculty of Arts ad Humanits , Suez Cnal University, V4,2013,P7.

(3) أدوم: معنى هذا الاسم بالعبرية الأحمر، أطلقت هذه التسمية في العهد القديم، على عيسو أخي يعقوب البكر نظرا إلى لون بشرته وشعره، وهو الاسم الثاني الذي حمله عيسو شقيق يعقوب التوأم، ومن ذلك انتسب إليه الآدوميون، والآدوميون هم سكان منطقة جنوب شرق الأردن، وجنوب واد الحسا، قطنوها منذ نهاية الألف الثانية قبل الميلاد، وكان يطلق على هذا الاقليم، ارض الحسا. للمزيد أنظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص14؛ سفر التكوين 1/36، و 34/30/25 و 25/25 و 3/32 و 29/35 و 6/14 و 20/36، و 30.

(4) سفر الملوك، الإصحاح 11، الآية 17-18.

قبل أن يعتنق بنو إسرائيل الديانة التوحيدية في زمن النبي موسى عليه السلام⁽¹⁾. وفي القرن الثاني قبل الميلاد في عهد مملكة المكابيين اليهودية، استولى يوحنا المكابي عام 130 ق.م على المدن الادومية حبرون، بصرة، تيمان، عصيون جابر، وأخضعها لسلطته السياسية والدينية، من خلال نشر تعاليم الديانة اليهودية.⁽²⁾

• **المؤابيون:** المؤابيون من القبائل السامية التي سكنت الصحراء السورية، ووسط الاردن واتخذت من ذيبان عاصمة لها، ولقد استطاع المؤابيون في عهد ميشع أن يخلدوا انتصاراتهم العسكرية على المحتلين الغزاة الاسرائيليين، من خلال النقش الحجري الذي يعود تاريخه الى القرن التاسع قبل الميلاد⁽³⁾. ورد اسم مؤاب في العهد القديم إلى جانب العموريين في محطات عدة مما يوحي بوجود صلات بين الشعبين. ومؤاب وردت بصيغة اسم مذكر. حيث نقرأ في التوراة "فولدت الكبرى ابنا دعتة مواب، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم"⁽⁴⁾، ونجد بدل من استخدام بني مؤاب أشار إليهم ببني لوط أو شعيب، كما في سفر العدد (29:21) وسفر ارميا (46:48)، واستخدم أيضا إشارة إلى الأرض في سفر العدد (11:21) وسفر القضاة (3: 28-29) وسفر العدد (33:44) وسفر صموئيل الأول (3: 22)، ومما سبق يتبين أن اسم مؤاب يحمل دلالتين، دلالة جغرافية عند الحديث عن الأرض التي سكنها المؤابيون، ودلالة سياسية عند الحديث عن الممالك التي أنشأها المؤابيون مثل مملكة مؤاب ومملكة عمون ومملكة آدوم.

(1) إسرائيل ولفستون، تاريخ اللغات السامية، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر، 1929، ص104.

(2) محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، المرجع السابق، ص508.

(3) نقش ميشع: نقش حجري عثر عليه المبشر الألماني فريدريك أوغسطس كلاين بين أطلال مدينة ذيبان (ديبون) عام 1868م منحوت من حجر البازلت، ارتفاعه 92سم وبعرض لا يزيد عن 57سم نقش عليه نص واضح يتكون من أربعة وثلاثون سطرا بالكتابة الكنعانية القديمة، يزودنا بتقارير عن انجازات الملك ميشع خلال فترة حكمه، خلال منتصف ق9 ق.م ويتحدث عن خبر إقناء بني إسرائيل على يديه. أنظر: علاء مفضى المعاسفة، المؤابيون من خلال الآثار الكتابية ونتائج الحفريات الأثرية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن، 2001، ص57؛ إسرائيل ولفستون، المرجع السابق، ص106، 110.

(4) سفر التكوين 37/19.

أما عن حدود مملكة مؤاب تمتد من وادي الموجب شمالاً إلى الحسا جنوباً⁽¹⁾ ومن الغرب البحر الميت ونهر الأردن، ومن الشمال وادي شعيب ومن الشرق الصحراء وذلك حسب "مسلة ميشع" في الفترة ما بين القرن الثالث عشر قبل الميلاد ولغاية دخول الفرس إلى المنطقة في القرن السابع قبل الميلاد، وتشير لغتهم إلى أنهم من الشعوب الكنعانية، أما توقيت أقامتهم في مؤاب فتشير الآثار إلى أنه بين القرنين 14، 13 ق.م، في الوقت الذي بدأت القوى الإقليمية العظمى في التراجع ونخص بالذكر كل من مصر وإمبراطورية الحيثيين مما هيأ الفرصة للمؤابيين ووقعت بينهم وبين جيرانهم حروب كثيرة انتصروا في بعضها وهزموا في بعضها، أهمها صراعهم مع العموريين في شمال مملكتهم، وقد أوقع بهم الملك العموري سيحون هزيمة مذلة.

اتصفت علاقتهم بالإسرائيليين بالعداء المطلق بعد أن منع المؤابيون الإسرائيليين من المرور في أراضيهم بعد النزوح، ف وقعت بينهم حروب كثيرة انتصر في بدايتها الملك المؤابي عجلون وفرض الضرائب عليهم، لكنه اغتيل فتراجع المؤابيون إلى شرق الأردن، لكنهم عادوا لسيطرتهم على بعض نفوذهم، وهرب إليهم الملك الإسرائيلي داود فراراً من شأول، لكنه عاد وحاربهم ونجح في الاستيلاء على منطقة مؤاب، بعد وفاة سليمان ضعفت الدولة اليهودية فاستعاد المؤابيون استقلالهم ووسعوا حكمهم .

4- عقيدة الأرض المقدسة في الفكر اليهودي:

تتفق أغلب نصوص الكتاب المقدس عند اليهود حول فكرة محورية على أساسها أقام اليهود وجودهم على أرض فلسطين قديماً وإلى يومنا هذا، إذ استمد اليهود شرعيتهم على فكرة الوعد الإلهي، والعهد الذي قطعه لهما الله حسب اعتقادهم في إقامة وطن لهم بعد التشتت والضياع والتهيه.

إن اليهود يدعون أن حقوقهم في فلسطين ترتكز أساساً على ما جاء في التوراة، من وعود قطعها الله على إبراهيم ونسله من بعده، ﴿وَالْأَرْضُ الَّتِي أُعْطِيتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، لَكَ

(1) بيومي مهران بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص509

أُعْطِيهَا، وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِيَ الْأَرْضُ⁽¹⁾، { وَأَقِيمْ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لِأَكُونَ إِلَهًا لَكَ }⁽²⁾ { وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ } { وَأُعْطِيَ لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا وَأَكُونَ إِلَهُهُمْ }⁽³⁾

والوعد في ظاهره كما يريده التوراتيون أي كتبة التوراة، هو أن الرب وعدهم الأرض المقدسة⁽⁴⁾ لأنهم شعب الرب وأبنائه وأحباؤه، ولأنهم الشعب المختار⁽⁵⁾ المتميز، ولأن الرب هو رب إسرائيل دون سواها من البشر، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾. وتعالى الله سبحانه وتتنزه على ما يدعيه اليهود والنصارى حيث يرد الله سبحانه وتعالى على افتراءاتهم في قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾⁽⁶⁾ ويرى ألفريد جيروم أستاذ اللغة العربية بجامعة لندن "أن الوعد المقطوع لأسباط إبراهيم عليه السلام بأرض الميعاد الممتدة من نهر النيل إلى نهر الفرات، هو وعد قطعه الله لنسل إبراهيم⁽⁷⁾ قبل مولد إسماعيل وإسحاق عليهما وعلى إبراهيم السلام، وعلى ذلك فهو وعد غير مخصوص باليهود فقط، باعتبارهم من نسل إسحاق، بل خص به العرب الذين هم من نسل إسماعيل أيضا⁽⁸⁾، لأن الوعد الإلهي قد أعطاه الرب لإبراهيم ولنسله ولم يكن لإبراهيم

(1) سفر التكوين 12/35

(2) سفر التكوين، فقرة 7.

(3) سفر التكوين، فقرة 8.

(4) ليندة بوعافية، منهج الفاروقي في دراسة اليهودية، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص مقارنة الأديان، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010، ص 123.

(5) محمد علي الخولي، اليهود من كتابهم، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، 1998، ص 49.

(6) سورة المائدة، الآية 18.

(7) عبد الستار قاسم، إبراهيم عليه السلام والميثاق مع بني إسرائيل في التوراة والإنجيل والقرآن، ط1، الجمعية الفلسطينية للشؤون الدولية، القدس، فلسطين، 1991، ص 40.

(8) أنور محمد زنتاتي، القدس بين إقرار النصوص التوراتية وكلمة التاريخ المنهجية، مجلة كان التاريخية، العدد 6، 2009، متاحة على الخط:

https://kan.journals.ekb.eg/article_100249_8a7f209c162ef49027211085389a95a8.pdf

أولاد، أي لم ينجب إسماعيل وإسحاق، وعلى هذا فإن لفظة نسلك الواردة في النصين تشمل ولديه وذريتهما دون تفرقة، حيث أن لفظة نسلك وردت عامة ولم تقيد⁽¹⁾.

حتى وإن سلمنا بالوعد الإلهي المعطى لإبراهيم ولنسله من بعده فإن هذا الوعد كان معللاً بأسباب، وهي القيام بفرائض الرب وشرائعه وأوامره⁽²⁾، «لَمِنْ أَجْلِ أَنْ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَ لِقَوْلِي وَحَفِظَ مَا يُحْفَظُ لِي أَوْامِرِي وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي»⁽³⁾.

تعد نصوص القرآن الكريم في مسألة وراثة الأرض واضحة، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾⁽⁴⁾ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَتَقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾⁽⁵⁾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽⁶⁾ والوعد الذي قطعه الله سبحانه وتعالى لبني إسرائيل مقرون بشرط الإيمان والالتزام⁽⁷⁾ بتعاليم الله تعالى، يقول الله في محكم آياته: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾⁽⁸⁾ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾⁽⁹⁾ لقد بين القرآن الكريم بشكل صريح أن الله عز وجل قد كتب الأرض المقدسة لبني إسرائيل كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي

⁽¹⁾ اشلمو ساند، إختراع أرض إسرائيل، ت، أنطوان شلحت و أسعد زعبي، طبعة خاصة بالعالم العربي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2014، ص 94.

⁽²⁾ إبراهيم الحارثي، الصهيونية من بابل إلى بوش، دط، دار البشير للثقافة والعلوم، دت، ص 55.

⁽³⁾ سفر التكوين 26، فقرة 5.

⁽⁴⁾ سورة الأنبياء، الآية 105.

⁽⁵⁾ سورة الأعراف، الآية 127، 128.

⁽⁶⁾ إيلي حسن سعد الدين، مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا، ط1، دار الفكر، الأردن، عمان، 1984، ص 69 وما بعدها.

⁽⁷⁾ سورة البقرة، الآية 40، 41.

كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١﴾⁽¹⁾، وَأَنْ هَذِهِ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ
سَتَكُونُ مِنْ نَصِيبِهِمْ إِنْ هُمْ صَبَرُوا وَامْتَثَلُوا لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَوْزَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا
يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي
إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾⁽²⁾

كما تجدر الإشارة أن الأرض الموعود التي وعد بها آل إبراهيم أو آل إسحاق أو آل يعقوب حسب ما تدعيه كتب اليهود المقدسة، كانت أرض غربة لهم باعتبارها كانت مأهولة
بمن سكنها من الكنعانيين واليبوسيين، وهذا ما نقرأه في نصوص أسفار اليهود، {وتغرب
إبراهيم في أرض الفلسطينيين أيما كثيرة}⁽³⁾، {أنا غريب ونزيل عندكم أعطوني ملك قبر معكم
لأدفن ميتي من أمامي}⁽⁴⁾، {وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب، وسكن بين قادش
وشور، وتغرب في جزار}⁽⁵⁾، هذا ما ورد عن إبراهيم، وهناك نصوص توراتية أخرى تدل
على غربة نسل إبراهيم في الأراضي التي كانوا قد حلوا بها، ومنها ما تعلق ببيع يعقوب
نذكر. {وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه، في أرض كنعان}⁽⁶⁾، {فقال يعقوب لفرعون: أَيَّامُ
سِنِي غُرْبَتِي مِئَةٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً. قَلِيلَةٌ وَرَدِيَّةٌ كَانَتْ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِي، وَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى أَيَّامِ سِنِي
حَيَاةِ آبَائِي فِي أَيَّامِ غُرْبَتِهِمْ}⁽⁷⁾.

من خلال النصوص التوراتية يمكن أن نصل إلى الاستنتاجات التالية:

- إن أرض كنعان كانت بالنسبة للعبرانيين، منذ ظهورهم على مسرح الأحداث، أرض
غربتهم. أرض غير مُرحب بها وبالسكن فيها.

(1) سورة المائدة، الآية، 21.

(2) سورة الأعراف، الآية، 137.

(3) سفر التكوين 21، فقرة 34.

(4) سفر التكوين 23، فقرة 4.

(5) سفر التكوين 20، فقرة 1.

(6) سفر التكوين 37، فقرة 1.

(7) سفر التكوين 47، فقرة 9.

- كانت علاقة العبرانيين بأرض كنعان، علاقة ذات مغزى مزدوج تتمثل بالهجرة والنزوح، ولم تكن لهم أرض استقرار وسكن دائم.
- إن الآباء العبرانيين إبراهيم وإسحاق ويعقوب، لم يمتلك أي منهم شيئاً من أرض كنعان، وإن ما نجده في سفر التكوين من وعود إلهية بذلك، إنما هو من صنع محرري التوراة، الذين لم يُراعوا الدقة فيما خلفوه من كتابات. فالواقع التاريخي ينفي حدوث تلك الملكية في أي وقت من الأوقات، الأمر الذي يفرض على محرري العهد القديم نفي حدوث أي وعد إلهي بتملك الأرض، إذ لو حدث مثل ذلك حسب النصوص التي ذكروها، لكان من المفترض أن تتحقق.
- إن العلاقة بين هذه الجماعة والأرض، ليست علاقة طبيعية. فقد تم إعداد هذه الجماعة خارج أرض كنعان، وكان أصل مولدهم في آرام النهرين، وليس في كنعان، وأكثر من ذلك أن التوراة مُنحت في الصحراء ولم تُمنح في أرض كنعان.
- أن فكرة "أرض الميعاد"⁽¹⁾، إنما كانت من صنع محرري العهد القديم الذين قاموا بتضمينها في هذا الكتاب، بدوافع يمكن أن يُقال عنها بأنها دوافع شخصية، مدعين بأنها وعود إلهية من الرب "يهوه" لشعبه المختار بامتلاك أرض كنعان وهذا ما يدفعنا للتساؤل لو كانت أرض كنعان أرض ميعاد لبني إسرائيل لماذا لم يُدفن النبي موسى في هذه الأرض وهو الأولى، لا سيما وأن على يديه تلقى بنو إسرائيل شريعتهم التي كانت، وفقاً لمحرري العهد القديم، تنظر إلى تلك الأرض بأنها "أرض الميعاد"؟.

(1) أحمد ربيع أحمد يوسف، أرض الميعاد بين الحقيقة والمغالطة مناقشة للنصوص التوراتية، دط، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، دت، ص406.

ونقرأ أيضاً: {وفيما هم عند ييوس والنهار قد انحدر جداً، قال الغلام لسيده: نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه فنبيت فيها، فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة، حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا} (1).

5- حدود أرض الميعاد المذكورة في الوعد التوراتي والقرآن الكريم:

أ/ في القرآن: وردت حدود الأرض الموعودة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه.

الوجه الأول: أنها أرض الجنة وفقاً لنص الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (2)، وقيل هي أرض مصر التي نزل فيها بنو إسرائيل، في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝﴾ (3) وقد عبر عنها القرآن الكريم بالجنة لوفرة خيراتها (4).

الوجه الثاني: هو أن الله سبحانه وتعالى وعد المؤمنين بأحقية الاستخلاف في الأرض في الحياة الدنيا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝﴾ (5)، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝﴾ (6) ونقرأ في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُكَسِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي

(1) سفر القضاة 19، فقرة 11، 13.

(2) سورة الزمر، 74.

(3) سورة الشعراء، الآية 57، 59.

(4) نور مهدي كاظم الساعدي، وراثة الأرض في القرآن الكريم والكتب السماوية، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، مجلس كلية الفقه، جامعة الكوفة،

العراق، 2012، ص 98.

(5) سورة النور، الآية 55.

(6) سورة الأعراف، الآية 128.

فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١﴾⁽¹⁾ فالأرض الأولى المذكورة في نص الآية لا شك أنها أرض مصر بينما الأرض الثاني من نص الآية هي أرض بلاد الشام التي استقروا بها ذلك لأن التمكين الأعظم كان في بلاد الشام التي بهم المقام فيها⁽²⁾ بعد هلاك فرعون وجنده.

الوجه الثالث: الأرض المقصودة بالتوريث هي أرض بلاد الشام والمعبر عنها بالأرض المقدسة، يرثها الصالحون من بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١١﴾﴾⁽³⁾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾⁽⁴⁾ والملاحظ من نص الآية الكريمة أن أمر الله سبحانه وتعالى لقوم موسى بدخول الأرض المقدسة لا يعني بالضرورة إحكام سيطرتهم على كل بلاد الشام وهذا ما لم يتحقق لبني إسرائيل في تاريخهم القديم، وتقرير نصوص القرآن الكريم واضحة في ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فْكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾⁽⁴⁾ وطالما أن بني إسرائيل حادوا عن منهج الله سبحانه وتعالى وأشركوا بالله وفسقوا في الأرض فإن أمر الله سبحانه وتعالى لبني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة التي كتبها لهم ليست كل بلاد الشام، وإنما هي قرية من قرى فلسطين⁽⁵⁾ سكنها بنو إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ

⁽¹⁾ سورة القصص، الآية 5، 6.

⁽²⁾ محمد أبو زيد أبو زيد، أرض الميعاد نظرة قرآنية في العهود التوراتية، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، عدد 85، دمشق، سوريا، 2002، ص 34.

⁽³⁾ سورة المائدة، الآية 21، 22.

⁽⁴⁾ سورة البقرة، الآية 58.

⁽⁵⁾ أبو زيد أبو زيد، المرجع السابق، ص 38.

لَفِيْفًا ﴿١٣﴾^(١)، وبالتالي فإن أمر الله سبحانه وتعالى لبني إسرائيل السكن في الأرض المقدسة ليس هو بالضرورة كل الأرض وجميعها.

والظاهر من نصوص الآيات التي ذكرت مسألة وراثة الأرض أنها تبشّر المؤمنين الصالحين بوراثه عموم الأرض من مشارقها إلى مغاربها دون اقتصارها على منطقة بذاتها^(٢).

ب/ في الكتاب المقدس: تختلف رؤية العهد القديم عن رؤية العهد الجديد حول فكرة حدود أرض الميعاد^(٣) التي عهد بها الله حسب زعم اليهود والنصارى، وذلك انطلاقاً من نصوص الأسفار التي تناولت هذا الموضوع.

ب1/ حدود أرض الميعاد في العهد القديم:

ذكرت الأرض المقدسة وحدودها التي وعد بها الرب إبراهيم ونسله من بعده، في عدة أسفار نذكر ما جاء منها في قوله: "كان الكنعانيون حينئذ في الأرض وظهر الرب لإبراهيم وقال لنسلك أعطي هذه الأرض"^(٤)، وقوله: "ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً لأن جميع الأرض التي ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد"^(٥). وفي هذا النص تبدو حدود الأرض الموعودة بمقدار مد بصر إبراهيم^(٦)، بينما نجد في نص آخر أن مساحة الأرض وحدودها أكبر من ذلك بكثير، في قوله: "في ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"^(٧). وفي العهد الموسوي اتسعت أرض الميراث لتشمل أراضي شعوب أخرى، كالحيتيين والأموريين

(١) سورة الإسراء الآية 104.

(٢) ناصر مكارم شيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج 10، ط 1، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، العراق، دت، ص 254.

(٣) عبد الستار قاسم، المرجع السابق، ص 45.

(٤) سفر التكوين 12، فقرة 7، 8.

(٥) سفر التكوين 13، فقرة 14، 15.

(٦) عبد الله بن ناصر القحطاني، سفر يوشع دراسة عقديّة نقدية، رسالة ماجستير في العقيدة، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة

العربية السعودية، 1436هـ، ص 377.

(٧) سفر التكوين 15، فقرة 18.

والقرزيين والحويين واليبوسيين⁽¹⁾، وذلك في قول الرب " في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات القينيين والقرزيين والقدمونيين والحيثيين والفرزيين والرفائيين والاموريين والكنعانيين والجرشاشيين واليبوسيين"⁽²⁾. وفي نص آخر نقرأ " وقال الرب لموسى: اصعد من هنا أنت والشعب إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً: لنسلك أعطيها، وأنا أرسل أمامك ملاكاً، وأطرد الكنعانيين والاموريين والحيثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً"⁽³⁾، حيث أتى ذكر الوعد لموسى في بداية نزول الوحي عليه على جبل حوريب.⁽⁴⁾

من خلال ما سبق عرضه من نصوص العهد القديم يمكن الوقوف عند ثلاث صور لحدود الأرض المقدسة عند اليهود:

الصورة الأولى: أن حدودها من نهر النيل إلى نهر الفرات.

الصورة الثانية: أن حدودها هي كل أرض كنعان بما فيها فلسطين.

الصورة الثالثة: أن حدودها على ما قع عليه بصر إبراهيم عليه السلام⁽⁵⁾.

ب2/ حدود أرض الميعاد في العهد الجديد:

تختلف نظرة العهد الجديد على ما جاء في نصوص العهد القديم حول فكرة حدود أرض الميعاد، إذ تتنظر نصوص العهد الجديد إلى حدود أرض الميعاد نظرة لاهوتية، وهذه الأرض تتجسد في مملكة الله التي لا حدود لها والتي وعد بها الله سبحانه وتعالى المؤمنين بوراثتها، وهذا ما جاء في نصوص العهد الجديد كما تدعيه على لسان عيسى عليه السلام "

⁽¹⁾ عماد علي عبد السميع حسين، الأسلام واليهودية دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، ص 544.

⁽²⁾ سفر التكوين 15، فقرة 19، 21.

⁽³⁾ سفر الخروج 33، فقرة 1، 3.

⁽⁴⁾ جبل حوريب: اسم جبل يطلق عليه أيضاً جبل سيناء، ومنه نزل الوحي على سيدنا موسى عليه السلام، حيث تلقى موسى الوصايا العشر. للمزيد أنظر قاموس الكتاب المقدس، ص 498.

⁽⁵⁾ أنور مهدي كاظم الساعدي، المرجع السابق، ص 101.

طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض⁽¹⁾، بشرط إقامة السلام والعدل، وهذه النظرة هي التي تتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁽²⁾، وبالتالي فإن سنة الاستخلاف في الأرض مرهونة بتحقق شرط الإيمان بالله تعالى، و من هنا نستطيع أن نقول أن الوعد بوراثة الأرض هو وعد مشروط، والقضية الشرطية تكون معبرة عن إرادة الإنسان واختياره، فالاختيار لوجود علاقة بين الشرط وهو الاختيار وفعل الإنسان وأن السنة الإلهية هي الجزاء بالتمكين والاستخلاف في الأرض⁽³⁾، وهي سنن عامة تشمل جميع الأمم والبشر⁽⁴⁾.

مما سبق ذكره نستطيع أن نقول بأن الوعد الإلهي في القرآن ونصوص العهد الجديد، تعطي لنا حقيقتين: سننية الوعد بوراثة الأرض من جهة، كونه قانونا إلهيا وحتمية وقوعه من جهة ثانية.

(1) إنجيل متى 5، الآية 5.

(2) سورة النور، الآية 55.

(3) عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1993، ص23.

(4) نور مهدي كاظم الساعدي، المرجع السابق، ص 110.

□ الفصل الأول:

اليهود منذ ظهور موسى
عليه السلام حتى قيام
الملكية الإسرائيلية

1- بنو إسرائيل في مصر:

تتصل أهم أحداث التاريخ المصري بوجود بني إسرائيل في أرض مصر وهذا الوجود الذي تزامن مع أول هجرة لبني إسرائيل في عهد نبي الله يوسف عليه السلام، أصغر أبناء يعقوب عليه السلام، وقد قص علينا القرآن الكريم حياة النبي يوسف بكل تفاصيلها، وما واجهه من محن وبلايا، إلا أن إرادة الله سبحانه وتعالى شاءت له أن يتغلب على تلك المحن والمصائب بل ويتبوأ مراكز سامية في قصور ملوك مصر هذه المكانة التي ساهمت في تدفق هجرات بني إسرائيل إلى مصر، وقد وصف القرآن الكريم ذلك في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (1) وطبقا لوصف القرآن الكريم فإن بني إسرائيل الذين أقاموا بسلاام في مصر فقدوا في نهاية الأمر وضعهم ومركزهم في المجتمع المصري ثم تحولوا بمرور الزمن إلى عبيد، إلى أن ظهر موسى عليه السلام على مسرح الأحداث والذي سعى إلى تحرير قومه من ذل العبودية، وهي حقيقة سطرتهها مكابرة ملوك الفراعنة، قال الله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَنْوْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ (2) ولترسيخ نظام العبودية واستمراره اهدت سلطة الفراعنة إلى سياسة قائمة على التحكم في التركيبة الديمغرافية لبني إسرائيل (3)، وذلك من خلال الحد من نسبة الذكور، لأن تزايد أعدادهم سيشكل خطرا على بقاء المصريين أنفسهم، وقد عرض القرآن هذا الوضع في الآيات التي خاطب الله فيها بني إسرائيل، ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (4)، ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (5). ولما هدد فرعون موسى عليه السلام وبني إسرائيل بالبطش والفتك قال موسى لقومه: ﴿قَالَ مُوسَى

(1) سورة يوسف، الآية 99.

(2) سورة المؤمنون، الآية 47.

(3) ربيع عبد الرؤوف الزواوي، اليهود المفسدون في الأرض تاريخهم الأسود مخططاتهم نفوذهم، المستقبل للإسلام، د.ط، دار الإيمان للنشر، الإسكندرية، مصر، 2002، ص 7؛ هارون يحي، موسى عليه السلام حياته وجهاده كما يصورها القرآن الكريم، د.ط، دت، دن، د سنة، ن، ص 10، 12.

(4) سورة البقرة، الآية 49.

(5) سورة الأعراف، الآية 140.

لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾^(١)، فكان جوابهم يعبر عن هزيمة نفوسهم بسبب طول الاضطهاد والذل الذي
تعرضوا له، وقالوا: ﴿أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾^(٢) فأمر الله سبحانه وتعالى
قوم موسى عليه السلام بإقامة الصلاة والصبر على ما تعرضوا له من أذى ﴿وَأَوْحِينَا إِلَى
مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعِلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)

عاش بنو إسرائيل في أمن ورخاء وكرامة في أرض مصر، في عهد حكم الهكسوس^(٤)
وربما وجدوا الترحاب باعتبارهم نازحون يطلبون الاستقرار^(٥). ومما يدل على أن بني إسرائيل
وفدوا إلى مصر في عهد حكم الهكسوس، التعبير القرآني ودلالة المصطلحات الواردة فيه، إذ
العصر الذي عاش فيه يوسف عليه السلام يفترض أن يكون هو عصر حكم الهكسوس
لمصر أين كان حكامها يطلق عليهم مصطلح (الملوك)، وذلك في الآية: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي
أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾^(٦) في حين لقّب الحاكم الذي عاصر موسى عليه السلام بـ
(فرعون) وذلك في نص الآية: ﴿تَثَلَّوْا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٧).

(١) سورة الأعراف الآية 128.

(٢) سورة الأعراف، الآية 129.

(٣) سورة يونس، الآية 87.

(٤) الهكسوس: قبائل وجماعات قديمة كانت تسكن على ما يعتقد فلسطين والمناطق القريبة منها، واستقروا في مصر في القرن الثامن عشر قبل
الميلاد، واستولوا على السلطة في مصر تدريجياً وبقيت تحت نفوذهم حتى عام 1570 ق.م، أدخلوا إلى مصر لأول مرة الحصان والعربات التي
تجرها الخيول، كما أقاموا القلاع والحصون... وكان يطلق على الهكسوس اسم الملوك الرعاة. التعبير اليوناني "هك" بمعنى ملك و"سوس" بمعنى
راعي أي الملوك الرعاة. للمزيد أنظر جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى العصر الفارسي، ت، حسن كمال، مكتبة مدبولي،
القاهرة، مصر، 1990، ص 141.

(٥) حبيب سعيد، أديان العالم، دط، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، دت، القاهرة، ص 163.

(٦) سورة يوسف، الآية 43.

(٧) سورة القصص، الآية 3.

مع مرور الزمن تكاثر بنو إسرائيل في مصر وزاد عددهم، ولم يستمر رغد العيش لهم إذ ساءت أحوالهم وأوضاعهم أثناء حكم الرعامسة⁽¹⁾ الذين عملوا على استعبادهم⁽²⁾ واضطهادهم، وقد قص علينا القرآن الكريم صور معاناة بنو إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ﴾⁽³⁾، وفي هذه الآيات وصف دقيق لحال بني إسرائيل وهم تحت حكم الفراعنة⁽⁴⁾ واستمر حال بنو إسرائيل على هذا الهوان إلى أن بعث الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمُلَأَتْهُ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽⁵⁾ وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذِرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْأَهْلِيَّةَ قَالَ سَنَقْتُلُنَ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾⁽⁶⁾ وازداد العذاب والاضطهاد لهم، ببعث موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه، والحكمة الإلهية التي أرادها الله من بعث موسى عليه السلام، هي ما ابتدر به رب العزة بقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾⁽⁷⁾ سكن بنو إسرائيل إلى الشمال الغربي من البحر الأحمر وخليج السويس، غير بعيد عن واد الطميلات وذلك في المنطقة المسماة في التوراة بأرض جاسان فقد ورد اسم (جاسان)⁽⁸⁾ في التوراة على أنها أرض خصبة تقع شرق الدلتا المصرية بالقرب من الحدود، وهي المنطقة

(1) تلك الحقبة التاريخية الشهيرة التي تشمل عصر الأسرتين التاسعة عشرة والعشرون من تاريخ مصر القديمة، في الفترة من 1308 إلى 1087 قبل الميلاد تقريبا، والذي أطلق عليه تلك التسمية نظرا لتولى أحد عشر ملكا يحملون اسم رمسيس عرش مصر. أنظر ابراهيم رزقان وآخرون، مصر والشرق القديم، دط، دار مصر للطباعة، دت، القاهرة، ص188.

(2) عصام الدين حنفي ناصيف، موسى وفرعون بين الأسطورة والتاريخية، ط1، دار العالم الجديد، القاهرة، 1975، ص6.

(3) سورة البقرة، الآية 49.

(4) عباس فضل حسين، القصص القرآني إبحاره ونفحاته، ط2، دار الفرقان، عمان الأردن، 1992، ص306.

(5) سورة الأعراف، الآية 103.

(6) سورة الأعراف، الآية 127.

(7) سورة القصص، الآية 5، 6.

(8) فتحي محمد الزعبي، المرجع السابق، ص123.

التي سمحت السلطات المصرية لبني إسرائيل بالإقامة فيها عند نزوحهم إلى مصر، ويعتقد أن يوسف النبي التقى أبويه وإخوته في هذه المنطقة⁽¹⁾ عند قدومهم من بلاد كنعان إلى مصر.⁽²⁾

2- موسى عليه السلام مولده ونشأته:

هو موسى بن عمران بن قاهث⁽³⁾ بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام⁽⁴⁾، واسم موسى في اللغة المصرية القديمة مكون من مقطعين: "مو" يقصد بها الماء⁽⁵⁾ و"شا" بمعنى الشجر، وسمي بهذا الاسم لأنه وجد حيث ألقته أمه في النهر⁽⁶⁾ ولد موسى عليه السلام في السنة التي يذبح فيها المواليد الذكور⁽⁷⁾ من بني إسرائيل، في حين ولد أخوه هارون في العام الذي لا يذبح فيه الذكور.

يرى بعض المؤرخين أن موسى عليه السلام ولد في عهد رمسيس الثاني (1290-1224)⁽⁸⁾، حيث تميز عصره بالخوف والرعب الذي فرضه على بني إسرائيل، ومن خلال سياق القرآن الكريم فإن أم موسى عليه السلام لما خافت عليه أوحى الله عز وجل - وحي إلهام وإرشاد - إليها بأن ترضعه وتلقيه في اليم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَلَقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾⁽⁹⁾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ۖ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۖ أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ

(1) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، الدار التونسية للنشر، 1984، ص491.

(2) سفر التكوين46، فقرة 28، 29.

(3) الطبري أبو جعفر ابن جرير، تاريخ الملوك والأمم، ج1، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص 224.

(4) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، قصص الأنبياء، تحقيق، محمد أحمد عبد العزيز، ط5، مكتبة دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1996، ص258.

(5) سفر الخروج 10/2.

(6) عصام الدين حنفي ناصيف، المرجع السابق، ص38.

(7) هشام أبو حاكم، تبيان الحدود بين تاريخ بني إسرائيل وتاريخ اليهود في العصور القديمة، ط1، دار اليازوردي، عمان، الأردن، 2015، ص

46.

(8) فراس سواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ط3، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، 1997، ص198.

(9) سورة القصص، الآية7.

مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٧﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَكَلَّمْتُ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴿٣٨﴾ وَاصْطَبَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٣٩﴾^(١) ويذكر القرآن الكريم أنه من شدة الخوف الذي انتاب أم موسى كادت لتخبر بأمر الوليد فتتطرق بأنه ابنها إلا أن الله سبحانه وتعالى ربط على قلبها وأنزل عليها الطمأنينة والسكينة، وسخر له أخته التي كانت تتبع أثره وهو في اليم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ﴾^(٢) وكان من حكمة الله سبحانه وتعالى أن حرم المراضع على موسى ليتحقق وعد الله سبحانه وتعالى برده إلى أمه، ويخصها الفرعون بإرضاعه وتثال الخطوة داخل القصر ناهيك عن الامتيازات التي كن تتمتع بها المرضعات داخل القصر^(٣)، وكون أن الله سبحانه وتعالى خص موسى وشمله بالرعاية لإعداد للنبوة والرسالة التي تنتظره، وإلا كيف نفسر نشأة موسى عليه السلام في بيت فرعون وما وجده من الرعاية، حيث شملت رعاية القصر بالتعليم فتعلم القراءة والكتابة والحساب، وفنون الحكم والقيادة العسكرية والحربية، "فتهذب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدرا في الأقوال والأعمال"^(٤) وكل ذلك كان باللغة المصرية القديمة^(٥)، وبفضل من الله سبحانه وتعالى، ومهما يكن فلسنا نعرف من حياة موسى منذ مولده حتى صدر شبابه إلا الشيء اليسير من الأخبار في ظل سكوت المصادر الرئيسية خاصة القرآن الكريم والتوراة، لكن في أغلب الظن أن موسى عليه السلام تنبأ مكانة هامة داخل القصر الفرعوني، حيث أسديت له وظيفة كاتباً في بلاط الفرعون، حيث كانت وظيفة الكاتب في مصر مدخلا لأرفع المناصب وأسمى

(١) سورة طه، الآية ٣٧، ٤١.

(٢) سورة طه، الآية ٤٠.

(٣) عبد العزيز صالح، الأسرة في المجتمع المصري القديم، دط، دار القلم، القاهرة، ١٩٦١، ص ٤٤.

(٤) أعمال الرسل ٧، الآية ٢٢.

(٥) عادل حسين الرحامنة، خروج بني إسرائيل من مصر والمجتمعات المعاصرة له في غربي الشرق الأدنى القديم دراسة تاريخية، رسالة دكتوراه في التاريخ القديم، مج ١، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٨، ص، ١٥٦.

الدرجات⁽¹⁾، ولعل هذا ما يخبرنا به المؤرخ اليهودي (Josephus Flavius)⁽²⁾ (يوسيفوس فلافيوس) من أن موسى عليه السلام تبوأ منصب قائد الجيش في عهد الفرعون رمسيس الثاني⁽³⁾، وإن كنا لا نميل بتصديق هذه القصة كون أن موسى كان ابنا بالتبني داخل القصر الفرعوني، وبالتالي توليه منصبا حساسا في مستوى قيادة الجيش أمرا ليس بالشيء الهين أو المستهان به، ولا يناله إلا صفوة الناس والموثوق بهم في ولائهم، وهي العقيدة الراسخة في المؤسسات العسكرية منذ القديم إلى يوم الناس هذا.

3- دعوة موسى فرعون للإيمان:

قال تعالى: ﴿وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين حقيق علي أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل قال إن كنت جئت بآية فات بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم﴾⁽⁴⁾

تدخلت إرادة الله سبحانه وتعالى في تأييد دعوة موسى عليه السلام وإقامة الحجة على فرعون وقومه، فأرسل الله عز وجل على قوم فرعون أصنافا من العذاب والابتلاءات والمحن لعلمهم يتوبون ويؤمنون بموسى عليه السلام، ولكن الله عز وجل كتب الشقاء على فرعون وقومه لما كفروا بدعوة موسى، يقول الله عز وجل في محكم آياته ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾⁽⁵⁾ ومن الآيات التي وردت في القرآن الكريم والتي أخبر بها الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص

(1) أحمد عبد الحميد يوسف، مصر في القرآن والسنة، طبعة خاصة، دار الشروق، القاهرة، 2001، 117.

(2) يوسيفيوس: اسم الكامل تيتيوس فلافيوس جوزيفيوس (titus Flavius Josephus 100 ق.م - 37 ق.م باللغة العربية يسمى يوسف بن ماتاتياهو، كهنوتي أرستقراطي، مؤرخ يهودي من مقاطعة يهودا الرومانية، عاصر الحرب الرومانية اليهودية، له العديد من المؤلفات. للمزيد أنظر flavius josephus, Life of Josephus, trad, Stev, M, library of congress, Brill, U.S.A, 2001, IX.

(3) Whinston. W, The Life and Works of Josephus, Book ii, chap. xi, Philadelphia, 1957, p 77.

(4) سورة الأعراف، الآية 104، 112.

(5) سورة القمر، الآية 41، 42.

من الثمرات لعلهم يذكرون فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطّيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين⁽¹⁾ ولقد وردت في التوراة الإشارة إلى هذه الآيات في سفر الخروج من الإصحاح السابع إلى الإصحاح الثاني عشر ولقد أطلقت التوراة على هذه الآيات اسم (الضربات) ومما جاء فيها: " ثم قال الرب لموسى قل لهارون خذ عصاك ومدّ يدك على مياه المصريين على أنهارهم وعلى سواقيهم وعلى أجامهم وعلى كل مجتمعات مياههم لتصير دما في كل أرض مصر في الأخشاب والأحجار . ففعل هكذا موسى وهارون كما أمر الرب . رفع العصا وضرب الماء الذي في النهر أمام عيني فرعون وأمام عيون عبده . فتحول كل الماء الذي في النهر دما . ومات السمك الذي في النهر ، وأنتن النهر فلم يقدر المصريون أن يشربوا ماء في النهر . وكان الدم في كل أرض مصر "⁽²⁾.

كثيرة هي المعجزات التي أيد بها الله عز وجل موسى عليه السلام والتي حفلت بها آيات القرآن الكريم، وذكرتها أيضا نصوص التوراة، والتي لا يسع المجال لذكرها كلها، رغم أن فرعون وقومه كانوا يدركون تماما أن تلك الآيات التي أيد بها الله عز وجل رسوله كافية لإيمانهم، ولكنهم جحدوا بها كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة

(1) سورة الأعراف، الآية 130، 136.

(2) سفر الخروج، 7، فقرة 19، 21.

المفسدين⁽¹⁾ ولما رأى فرعون معجزات رب العالمين التي أيد بها الله سبحانه وتعالى نبيه موسى وافق على طلب موسى بأن يرسل معه بني إسرائيل مقابل أن يرفع عنه وعن قومه ما لحق بهم من آيات العذاب⁽²⁾. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يا موسى أدع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرّجس لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بني إسرائيل﴾⁽³⁾، لكن هيهات لأن الأمر بات مفصولاً من رب العالمين..

4- خروج بني إسرائيل من مصر:

لقد حظيت قصة خروج بني إسرائيل من مصر باهتمام خاص في الديانة اليهودية؛ فهي تشير إلى الاهتمام الإلهي ببني إسرائيل، ومساعدته لهم في الخلاص من عبودية الفراعنة، وقد خصص محررو العهد القديم هذا الحدث بالسفر الثاني من أسفار التوراة، وهو سفر الخروج، بالإضافة إلى ذكره في مواضع أخرى من أسفار العهد القديم، هذا ويرجع عدم وجود أي نبأ صريح خارج إطار الكتاب المقدس عن قصة خروج بني إسرائيل من مصر وغزو بلاد كنعان، إلى أن هذه الأحداث لم تكن ذات وزن دولي، تجعل الشعوب تسجيلها في مصادرها⁽⁴⁾، كما اختلف الباحثون في العديد من النقاط المتعلقة بمسألة خروج العبرانيين من مصر، وخصوصاً تاريخ خروجهم⁽⁵⁾ والمسلك أو الطريق الذي سلكوه، وعددهم عندما خرجوا وعموماً هذه مسائل فيها تجاذبات كثيرة لكنها في عمومها لا تلغي أو تنفي مسألة الخروج في حد ذاتها لأنها مسألة عقدية وردت في نصوص الكتاب المقدس كما في آيات القرآن الكريم، وإن كان بعض المؤرخين ينفون أصلاً هذه المسألة من أساسها ويعتبرون خروج بني إسرائيل

(1) سورة النمل، الآية 13، 14.

(2) ربيع عبد الرؤوف الزواوي، المرجع السابق، ص 8.

(3) سورة الأعراف، الآية 134.

(4) رشاد الشامي، رؤى إسرائيلية في إشكاليات التاريخ والفكر الديني اليهودي، ط1، الدار الثقافي للنشر، القاهرة، 2007، ص 16؛ إبراهيم ملمات، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والمكتشفات الأثرية، المرجع السابق، ص 126.

(5) Albright.W.f , The Biblical period from Abraham to Ezra , New York, 1963, P20.

من مصر وتيهيم في صحراء سيناء ضرب من الخيال، ففي هذا السياق يقول: (نيلز بيتر ليمكه) (Niels Peter Lemeche) "إن خروج بني إسرائيل من مصر تحول منذ زمن طويل من كونه تاريخاً إلى كونه قصة خيالية، فهو لم يحدث كما لم يحدث الاستيلاء على الأرض بالقوة." (1)

لم يفلح النبي موسى وأخيه هارون في استرضاء فرعون، ولا حتى في إقناعه بالسماح لبني إسرائيل بالخروج، ورفع الأذى والعذاب عنهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِibهمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعَ الْهَدَى﴾ (2).

اشتكى بنو إسرائيل لموسى معاناتهم من اضطهاد فرعون قبل وبعد مجيئه إليهم، فنصحهم بالصبر والتوكل على الله جل وعلا عسى أن يهلك عدوهم ويستخلفهم مكانه في أرض مصر، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ﴿قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (3)، كان صعباً تصديق هذا بينما هم تحت آلة الاضطهاد الفرعوني، لذا لم يثق معظمهم بموسى لم يؤمنوا له، قال جل وعلا: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (4).

لذلك لم يعد لبني إسرائيل ومن تبعهم من المصريين المتهودين البقاء في مصر من سبيل، وقد ضاق موسى ذرعاً بما وصل إليه حال بني إسرائيل تحت نير عبودية الفراعنة،

(1) عصام سخيني، فلسطين والفلسطينيون، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 2003، ص45.

(2) سورة طه، الآية47.

(3) سورة الأعراف، الآية 128، 129.

(4) سورة يونس، 83.

حيث توجه بالدعاء والتوسل إلى الله سبحانه وتعالى، إذ يقول الله تعالى: ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليظلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾⁽¹⁾. وإذا كان بعض بني إسرائيل قد عاشوا على الرعب والخوف والاضطهاد من قبل الفراعنة في مصر، فإن ذلك لا ينفي من وجود جماعة أخرى من بني إسرائيل لقيت كل التبجيل والتفضيل، والتي آثرت البقاء في مصر على الخروج مع موسى عليه السلام، وهي في غالب الظن من كبار الموظفين وأصحاب رؤوس الأموال، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وعاتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتتوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾⁽²⁾.

لذا أمر الله سبحانه وتعالى موسى بالخروج من مصر، يقول الله تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون فأرسل فرعون في المدائن حاشرين إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وأنا لجميع حذرون﴾⁽³⁾. على عكس ما ذهبت إليه التوراة التي تدعي بأن فرعون مصر وافق⁽⁴⁾ على خروج بني إسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام، حيث نقرأ ما نصه: {قَوْمُوا اخْرُجُوا مِنْ بَيْنِ شَعْبِي أَنْتُمْ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ جَمِيعًا، وَادْهَبُوا اعْبُدُوا الرَّبَّ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ. خُذُوا غَنَمَكُمْ أَيْضًا وَبَقَرَكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ وَادْهَبُوا. وَبَارِكُونِي أَيْضًا} ⁽⁵⁾.

هذا وإن الطريق الذي سلكه موسى عليه السلام ومن معه من بني إسرائيل، من مصر إلى بلاد كنعان من المواضيع التي مازالت مجالاً للبحث، نظرا لعدم توفر المصادر والوثائق المدونة، والمصادر والمخلفات المادية الأثرية، عدا المصادر الدينية كالقرآن والتوراة، وحتى

(1) سورة يونس، الآية 88.

(2) سورة القصص، الآية 76.

(3) سورة الشعراء، الآية 52، 56.

(4) هشام أبو حاكم، المرجع السابق، ص 61.

(5) سفر الخروج 12، فقرة 31، 32.

وإن ذكرت فيها، فهي ذكرت فقط في معرض الحدث، إذ لا ترتسم للقارئ صورة حية وواضحة عنها، ناهيك عن التباين والاختلاف الواضح في التوراة بين المدونيين، والزمان والعهد الذي كتبت فيه هذه الأسفار، ومن الأسباب الرئيسية في عدم إمكانية تحديد طريق الخروج تحديدا دقيقا، أن أسماء الأماكن التي مروا بها قد تغيرت، حتى أنه لم يكد يبقى مكان معروف باسمه القديم⁽¹⁾، والأسماء الحديثة لبعضها اليوم وإن كانت متشابهة في نطقها، فليس بالضرورة أن تكون هي ذاتها التي ورد ذكرها في القديم⁽²⁾.

تقول التوراة { وارتحلوا من سكوت⁽³⁾ ونزلوا في إيثام⁽⁴⁾ التي في طرف البرية }⁽⁵⁾ ثم ارتحلوا من إيثام ورجعوا على فم الحيروث التي قبالة بعل صفون ونزلوا أمام مجدل⁽⁶⁾

{وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودٍ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلًا فِي عَمُودٍ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لَكِي يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلًا. {لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلًا مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ }⁽⁷⁾، ونقرأ في نص آخر ما نصه { وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة، لأن الله قال لنلأ يندم الشعب في طريق برية بحر سوف. وصعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصر، وأخذ موسى عظام يوسف معه لأنه كان قد استحفل بني إسرائيل بحلف قائلا إن الله سيفتدكم فتصعدون عظامي من

(1) نعم بك شقير، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، ط1، دار الجليل، بيروت، لبنان، 1991، ص449.

(2) عادل حسين محمد الرحامنة، خروج بني إسرائيل من مصر والمجتمعات المعاصرة له غربي الشرق الأدنى القديم، دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مج1، مكة المكرمة، ص، 326؛

Wright , G.E Route of Exdous, in the interpreter's Dictionary of the bible , Vol2, Edt, by Buttrick, G.A Abingdon Press, New York, Nachville , 1962 , P197.

(3) سكوت: لفظ عبري قديم (سوخيت) وتعني الخيام أو المظلات، ويراد به الأماكن المعدة للاستراحات المؤقتة على طريق المسافرين، والموقع المشار إليه يقع في الأكثر بين صان الحجر (صوعن) المذكورة في التوراة، وبين الصالحية القريبة التي تتبع محافظة الشرقية بمصر اليوم . للمزيد أنظر: لورناس أوليفانت، أرض جلعاد ورحلات في لبنان وسوريا والأردن، ت، أحمد عويدي العبادي، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص200؛ أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، المرجع السابق، ص475.

(4) غطاس عبد الملك الخشبة، رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج، دط، دار الهلال، القاهرة، دت، ص194.

(5) سفر العدد، فقرة 6.

(6) سفر العدد، فقرة 7.

(7) سفر الخروج13، فقرة 21، 22.

هنا معكم⁽¹⁾، فعدم هداية الله للعبرانيين إلى طريق الفلسطينيين كما ورد في النص التوراتي، كون أن هذا الطريق هو شديد الحراسة من قبل القوات المصرية، وبالتالي تجنب إمكانية حدوث مصادمة بين الطرفين، إذ حرصت السلطات المصرية على تأمين الحدود الشرقية (شرق الدلتا) التي كانت عرضة لغارات البدو من حين لآخر، لذا اختار موسى عليه السلام الطريق الأبعد عن عيون المراقبة، علما بأنه قد خبر هذا الطريق لما خرج من مصر في وقت سابق تجاه مدين⁽²⁾.

لما علم فرعون بخروج بني إسرائيل جن جنونه وأمر بملاحقتهم، يقول الله تعالى: ﴿فَأَتَّبَعُوهُمْ مَشْرِقِينَ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ﴾ ولكن يقين موسى بالله سبحانه وتعالى كان واضحا من خلال نص الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾⁽³⁾ وقال تعالى: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عِدُوكُمْ وَيَسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾، وتتدخل إرادة الله سبحانه وتعالى لما أوحى إلى موسى ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁵⁾، ﴿فَاضْرِبْ لَهُم مَّحْجِلًا لِّبَحْرِ يُبْسَا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى﴾⁽⁶⁾، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُم الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾⁽⁷⁾ وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ. وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخِرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾⁽⁸⁾.

(1) سفر الخروج 13، فقرة 17، 19؛ للمزيد حول مسار خروج بني إسرائيل. أنظر: سفر العدد، فقرة من 1-49.

(2) أحمد عبد الحميد يوسف، المرجع السابق، ص 129.

(3) سورة الشعراء، الآية 62.

(4) سورة الأعراف، الآية 129.

(5) سورة الشعراء، الآية 63.

(6) سورة طه، الآية 77.

(7) سورة البقرة، الآية 50.

(8) سورة الشعراء، الآية 63، 65.

5- أسباب خروج بني إسرائيل من مصر:

لا شك أن خروج بني إسرائيل من مصر كان بوحى من الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام، مصداقا لقول الحق تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾⁽¹⁾ وهذه هي النظرة الإسلامية التي أقرها القرآن الكريم، بينما التوراة لا تتفق مع ما يعتقده المسلمون، نظرا لما لحق بها من تبديل وتحريف في نصوصها، لذلك يمكن أن نلمس العديد من الأسباب التي ورد ذكرها في أسفار اليهود، ومن ذلك ما ورد في النص التالي: { فقال الربّ إنني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخّريهم. إنني علمت أوجاعهم. فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة}. ففي هذا النص نلمس عناية الله سبحانه وتعالى في التدخل في إنقاذ شعب بني إسرائيل مما لاقوه من إذلال وعبودية على أيدي المصريين، وفي نص آخر نقراً { وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالوا لفرعون هكذا يقول الربّ إله إسرائيل أطلق شعبي ليعيدوا لي في البرية. فقال فرعون من هو الربّ حتى أسمع لقوله فأطلق إسرائيل. لا أعرف الربّ وإسرائيل لا أطلقه. فقالا إله العبرانيين قد التقانا. فنذهب ثلاثة أيام في البرية ونذبح للربّ إلهنا. لئلا يصيبنا بالوباء أو بالسيف. فقال لهما ملك مصر لماذا يا موسى وهارون تبطلان الشعب من أعماله. اذهبا إلى أثقالكما}⁽²⁾. والمتتبع لنصوص التوراة يلمس التناقض الصريح في مضامينها، فهي تصور الخروج تارة وكأنه إضراب عن العمل وتمرد العمال العبرانيين على رؤسائهم من المصريين، بل إنها لتتحدث عن تكاسل هؤلاء العمال عن الأشغال الموكلة إليهم، كونهم كانوا يشكلون رصيда هائلا من الأيدي العاملة الرخيصة، وما كان

(1) سورة الشعراء الآية 52.

(2) سفر الخروج 5، فقرة 1-4.

المصريون يرغبون في تركهم يخرجون من البلاد في عهد رمسيس الثاني⁽¹⁾ (1290-1224 ق.م الذي يفترض أنه فرعون الخروج⁽²⁾ في غالب الضن- رغم وجود آراء أخرى تذهب إلى أن الملك مرنبتاح⁽³⁾ هو الفرعون الذي أقترن به تاريخ خروج بني إسرائيل، فمذ العثور على اسم إسرائيل على لوحة انتصاراته أعتقد الكثيرون أن الخروج حدث في عهده، ولكن هذا الرأي لم يجد سنداً من التاريخ، كما ذكرت أسماء للعديد من الفراعنة الذين اقترنت أسماؤهم بحدث الخروج، كالفرعون تحتمس الثالث، وبعضهم يرى أنه ابنه أمنحوتب الثاني، بل ومنهم من يرى أن ظاهرة الخروج حدثت في عهد الهكسوس. - وأي كان، أن كل ما نستطيع أن نؤكد أنه لا يوجد أي سند أثري مادي يحدد اسم فرعون الخروج أو حتى الزمن الذي حدث فيه الخروج⁽⁴⁾ على وجه الدقة، وسيظل هذا الموضوع مفتوح للمناقشة- فطلب العبرانيين الخروج من مصر من خلال هذا النص⁽⁵⁾، كان بغرض إقامة شعائر التقرب إلى إلههم، حيث يذبحون له الذبائح والقربان، من أجل انتقاء شر الأوبئة⁽⁶⁾ أو الموت بحد السيوف على أيدي أعدائهم⁽⁷⁾، إلا أن موقف الفرعون كان الرفض، كما اتهم بني إسرائيل بالتكاسل في أداء أعمالهم، وهذا ما يشير إليه النص التالي: { فإنهم متكاسلون لذلك يصرخون قائلين نذهب ونذبح لإلهنا. لثقل العمل على القوم حتى يشتغلوا به ولا يلتفتوا إلى

(1) رمسيس الثاني ابن سيتي الأول يحتمل أنه فرعون الخروج الذي اظهد العبرانيين حكم مصر قرابة سبعة وستين عاما، تبنى خلال فترة حكمه مشاريع انشائية معمارية ضخمة مازالت بقاياها قائمة حتى اليوم، منها معبد أبي سنبل الهائل بتمائيله الضخمة التي تمثله على واجهة المعبد، وشيده نحتاً في جبل صخري على مشارف حدود مصر مع السودان لتحذير الغزاة النوبيين من التقدم إلى حدود مصر. للمزيد أنظر: أندرو كولينز كريس أوجليفي هيرالد، توت عنخ آمون مؤامرة الخروج، ت، رفعت السيد علي، ط1، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005 ص224. ؛ أحمد فخري، مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام332ق م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2012، ص271.

(2) جون أ. هامرتن، تاريخ العالم، مج2، ت، ادارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت، ص107.

(3) ول واريلر ديورانت، قصة الحضارة، ج2، مج1، ت، محمد بدران، دط، دت، ص324.

(4) عواطف بنت أديب بن علي سلامة، أهل مدين دراسة للخصائص والعلاقات 1100-1350 ق.م، دط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2001، ص544.

(5) أحمد فخري، المرجع السابق، ص283.

(6) نزيه الشوفي، كشف الحقائق التاريخية التلفيق التوراتي ولوعي الوثني، ط2، مزيدة ومنقحة، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات، دمشق، 1998، ص139.

(7) عادل حسين محمد الرحامنة، المرجع السابق، ص318.

كلام الكذب⁽¹⁾ ولعل هذه الحيلة التي دبرها بنو إسرائيل لإقناع فرعون مصر بالخروج، خاصة وأن طلبهم مشروع كونه يقوم على إقامة طقوس دينية لا يعاقب عليها القانون⁽²⁾.

هناك من يرى أن خروج بني إسرائيل من مصر، كان بعلم ورغبة السلطة المصرية⁽³⁾، وذلك قصد انتقاء شر وباء الطاعون الذي انتشر بين الإسرائيليين⁽⁴⁾، وبذلك يكون خروجهم قد تم بالإكراه كما ترويهِ نصوص التوراة، إذ نقرا في سفر الخروج: { وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر، خبز ملة فطيرا، إذ كان لم يختمر، لأنهم طردوا من مصر ولم يقدرُوا أن يتأخروا، فلم يصنعوا لأنفسهم زادا⁽⁵⁾ }، وهو نفس ما ذهب إليه المؤرخ المصري "مانيثو"⁽⁶⁾ الذي كتب تاريخه حوالي 280 ق.م الذي يرجع الهكسوس إلى أصول يهودية، وبناء على ذلك فإن خروج بني إسرائيل من مصر ليس إلا طرد للهكسوس من مصر حوالي عام 1575 ق.م، وهذا ما نقله عنه المؤرخ اليهودي "يوسيفوس"، وإن كنا نشك في هذه المعلومات التي أوردها "يوسيفوس" عن "مانيثو" ذلك أن النص الأصلي الذي كتبه "مانيثو" في عام 280 ق.م قد فقد على إثر حريق الإسكندرية عام 48 ق.م ولم يبق منه إلا شذرات مختصرة ومبتورة، وكل ما وصل إلى أيدينا ليس إلا مقتطفات من ذلك التاريخ نقلها المؤرخ اليهودي يوسيفوس اسماء "الرد على أبيون" مدافعا فيه عن اليهود ضد ما كتبه أبيون الكاتب السكندري والذي رمى فيه اليهود بكل شائنة ونقيصة فحاول يوسيفوس أن يمجد بني جنسه

(1) سفر الخروج 5، فقرة 8، 9.

(2) Sarna, N, M, Exploring Exodus The Heritage of Biblical Israel, Schocken Books, New York, 1986, PP. 55, 66.

(3) نزيه الشوفي، التليفق الصهيوني وإغتيال التاريخ كشف الحقائق التاريخية، ج2، دط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003، ص147.

(4) محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج1، المرجع السابق، ص320.

(5) سفر الخروج 12، فقرة 39.

(6) مانيثو: مؤرخ وكاهن مصري عاش في القرن الثالث ق.م، يعد مانيتون من أعظم المؤرخين الذين أنجبهم مصر القديمة، كان كاهنا مصرياً في معبد بسيمونود بمحافظة الغربية بمصر، اشتهر بعلمه ومعرفته لتاريخ مصر ولغتها وكلن ملما باللغة اليونانية، وقد أراد بطليموس الثاني حوالي 280 ق.م أن يستفيد من علمه وذلك بتكليفه بكتابة تاريخ مصر، وقد استقى معلوماته من المعابد ومكاتب الحكومة. للمزيد أنظر: محمد كمال صدقي، معجم المصطلحات الأثرية، ط1، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1988، ص240.

فقال أن الهكسوس هم اليهود ونقل كثيرا من كتاب مانيتون مما اعتقد أنه يؤيد حجته وبالتالي لا يمكن الاطمئنان إلى ما نقله "يوسيفوس" عن "مانيثون" ما دام النص الكامل مفقوداً⁽¹⁾.

كما أن هناك أسباباً سياسية هددت أمن وسلامة مصر، مما دفعت بالمصريين، إلى اضطهاد بني إسرائيل، وبالتالي خروجهم من مصر، خاصة بعد اتهام المصريين لبني إسرائيل بالخيانة، وبأن لهم دور كبير في الانقلابات الدينية التي حدثت في مصر آنذاك، ومنها الانقلاب الذي قام به أخناتون (1380-1350 ق.م)؛ علماً بأن مساندة بني إسرائيل لتلك الانقلابات أو لتلك الثورات، على حد رأيهم، إنما كان بسبب، فقدانهم لبعض الامتيازات التي حصلوا عليها أيام يوسف (عليه السلام)⁽²⁾. والباحث لا يتفق مع هذا الرأي لأسباب عدة منها، أن العبودية التي أتهم بها المصريون، لم تكن موجودة بالصورة التي عكسها محررو التوراة؛ كما أننا لا نعلم بوجود دور سياسي لبني إسرائيل في تلك الفترة تمكنهم من التخطيط لانقلابات، فكما تذكر التوراة أن بني إسرائيل كانوا مسخرين في أعمال البناء {فَبَنَوْا لِفِرْعَوْنَ مَدِينَتَيْنِ مَخَازِنَ: فِثُومَ، وَرَعْمَسِيسَ}⁽³⁾، ولم يكن دورهم ليتعدى ذلك الأمر؛ ناهيك بالطبع عن عدم وجود ما يؤكد تواجد بني إسرائيل في مصر في عهد إخناتون، أو ما يثبت الفترة التي تم فيها خروج بني إسرائيل من مصر، أكانت في زمن "إخناتون" أم قبله، أو بعده؟⁽⁴⁾.

ويتضح مما سبق، أن سبب الخروج وهو الخلاص من العبودية، والدافع وهو دخول أرض كنعان يتناقض كلٌّ منهما مع الآخر؛ بمعنى أنه إذا لم تكن هناك عبودية وسخرة، لما

(1) عادل حسين محمد الرحامنة، المرجع السابق، ص 373.

(2) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، هل لإسرائيل حف تاريخي في فلسطين، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص 90.

(3) رعمسيس: هي مدينة في مصر، رعمسيس اسم مصري قديم معناه "ابن الإله وهذه المنطقة اسمها (جاسان) وهي المنطقة التي سكنها بنو إسرائيل بأمر من فرعون رعمسيس الثاني، وعلى الأرجح هي مدينة المخازن التي بناها العبرانيون، أما موقعها الآن فهو مدينة صالح جبرأو صان الحجر. ينظر: عبد المالك بطرس وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ط2، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، د.ت ص 406؛ سفر الخروج 1، فقرة 6.

(4) مجيد جاسم احمد محمد، المرجع السابق، ص 135؛ محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ج1، دط، الدار القومية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 76.

حدث الخروج من أرض مصر، وبالتالي ما كان هناك فكرة أرض الأجداد، بناءً على وعد إلهي، كما يروج له محررو العهد القديم، وهو ما ترفضه الأدلة التاريخية وما يرفضه المنطق، إذ لو كان هدف الخارجين من مصر هو التوجه إلى أرض كنعان حقاً، فبماذا نفسر مكوثهم أربعين سنة في التيه، رغم صعوبة الحياة فيها، دون أن يتجهوا مباشرةً إلى كنعان.

هذا ونلمس أن بني إسرائيل، كانوا يعارضون فكرة الخروج أصلاً، سواء كان ذلك بأمر من فرعون مصر أو من خلال دعوة نبي الله موسى عليه السلام، ويمكن أن نلمس ذلك من خلال تذمرهم من موسى عليه السلام وهم في صحراء سيناء إذ تقول التوراة: { ما ذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر، أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر، قائلين كف عنا فنخدم المصريين }⁽¹⁾، وفي نص آخر نقرأ { وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشعب. فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع.. }⁽²⁾.

لقد أراد محررو العهد القديم أن يصبغوا حادثة الخروج بصبغة قومية دينية مقدسة، فقد أعطوا خروج بني إسرائيل من مصر، صفة القومية، وبداية للإحساس بالشعور التاريخي⁽³⁾ كما أنهم ربطوا الخروج بوعد إلهي لدخول أرض كنعان والذي خص به الله بني إسرائيل، ومن ثم فقد أصبح العهد في عصر موسى عهد جماعة وليس عهداً فردياً كما كان في عصر الآباء، وصارت جماعة بني إسرائيل تُعرف بـ "جماعة العهد"؛ كما اختلف مفهوم العهد في عصر موسى عن العهود في عصر الآباء، حيث صار عهداً بين طرفين هما، الإله، وجماعة بني إسرائيل، علماً بأن هذا العهد لم يكن تقضياً، بل إلقاء واجبات على

(1) سفر الخروج 14، فقرة 11، 12.

(2) سفر الخروج 16، فقرة 3، 4.

(3) محمد خليفة حسن احمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، د ط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998

الجماعة التي عليها الالتزام بهذه الواجبات حتى يقوم الرب بتنفيذ التزامه تجاه هذه الجماعة، فالعهد صار له شروط، ولم يُعدّ عهداً من جانب طرف واحد كما كان في عصر الآباء⁽¹⁾.

بعيداً عن التفاصيل التاريخية المتعلقة بعصر موسى، فإن البداية الحقيقية لما يسمى بالديانة الموسوية أو ديانة بني إسرائيل، إنما تعود إلى فترة وجود بني إسرائيل في شبه جزيرة سيناء، بعد خروجهم من مصر⁽²⁾، ولو عقدنا مقارنة بين "ديانة بني إسرائيل وديانة الآباء العبرانيين لوجدنا أن ديانة الآباء لم تعرف بناءً عقدياً وتشريعياً منظماً أو متكاملًا، بل إنها كانت خالية من الجوانب التشريعية، في حين نجد أن هذا الوضع قد تغير في أثناء خروج بني إسرائيل من مصر، حيث تعتبر هذه الفترة البداية الحقيقية لوضع أسس عناصر الديانة الإسرائيلية التي أصبحت فيما بعد الإرث الأول للديانة اليهودية، وهي تعتبر بحق أهم مرحلة في هذا التطور الديني لأنها الفترة التي تم فيها الاعتماد على الوحي المكتوب كمصدر أساسي للعقيدة والشريعة⁽³⁾.

6- بنو إسرائيل في سيناء:

تدخلت عناية الله سبحانه وتعالى في نجاة موسى عليه السلام وقومه من فرعون وجنوده وأصبحوا في سيناء تيهًا، وعلى إثر وصولهم إلى سيناء ومدين، تصاهروا وتعاقدوا مع أهل المنطقة، ونتج عن هذا التآلف ما يسميه فقهاء التوراة بالحلف القبلي، وهو حلف قبلي جمع بين قبائل العبرانيين مع القبائل التي كانت تسكن المنطقة⁽⁴⁾ حيث بدأ فصل جديد

(1) مجيد جاسم احمد محمد، المرجع السابق، ص185.

(2) المرجع نفسه، ص121.

(3) محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، المرجع السابق، ص181.

(3) Baron(Salo Wittmayer), A Social And Religious History Of The Jews, Vol.1, Ancient Times, Part1, Columbia University Press, New York, 1952, p6.

(4) Bowman,R.A , Arameans,Aramic and the Bible, Journal of Near Eastern Studies,VII, Published by: The University of Chicago Press,1948, PP83 ,97.

إسماعيل راجي الفاروقي، أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ط2، دار التضامن للطباعة، القاهرة، 1988، طباعة، القاهرة، ص37.

من فصول حياة بني إسرائيل، يختلف تماماً عن حياتهم في مصر، وهي العقوبة التي أقرّها الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل جزاء مخالفتهم أوامر الله تعالى حين رفضوا دخول الأرض المقدّسة التي كتب الله لهم، - في قوله تعالى: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم﴾⁽¹⁾، قال الله تعالى: على لسانهم ﴿قالوا يا موسى لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾⁽²⁾ ونكصوا على أعقابهم بعد أن نجّاهم الله من فرعون، فدعا موسى عليه السلام ربه أن يفرق بينه وبين القوم الفاسقين، قال الله تعالى: ﴿قال ربي اني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فإنها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾⁽³⁾. ويحدثنا القرآن الكريم عن النعم التي أنعم الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل قبل دخولهم الأرض المقدسة، وذلك لما فيه من التحفيز والتشجيع لهم وحثهم على القتال، ومن أجل أن يوقظ الإحساس بفضل الله عليهم في نفوسهم⁽⁴⁾، ومن هذه النعم ما ذكره الله سبحانه وتعالى على لسان موسى عليه السلام ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قومي أذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وأتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين﴾⁽⁵⁾. بينما نقرأ في نصوص التوراة عندما تحدثت عن النعم التي منّ بها الله تعالى على بني إسرائيل أنه جاءت على سبيل التوبيخ والذمّ لبني إسرائيل الذين جبنوا ولم يدخلوا الأرض التي كتبها لهم، {الرّب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم حسب كل ما فعل معكم في مصر أمام أعينكم وفي البرية، حيث رأيت كيف حملك الرّب إلهك كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق التي سلكتموها حتى جيئتم إلى هذا المكان. ولكن في هذا الأمر لستم واثقين بالرّب إلهكم السائر

(1) سورة المائدة، الآية 21.

(2) سورة المائدة، الآية 24.

(3) سورة المائدة، الآية 25، 26.

(4) نضال عباس دويكات، تيه بني إسرائيل بين القرآن والتوراة دراسة مقارنة، دط، د. دار النشر، 1429هـ، ص12.

(5) سورة المائدة، الآية 25.

أمامكم في الطريق ليلتمس لكم مكانا لنزولكم في نار ليلا ليركم الطريق التي تسيرون فيها⁽¹⁾.

7- الأمر بدخول الأرض المقدسة وإعراض بني إسرائيل:

{ وقال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصدته من مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً: لنسلك أعطيها وأنا أرسل أمامك ملاكا وأطرد الكنعانيين والأموريين والحيثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبنا وعسلاً⁽²⁾، بعد أن تاب الله عز وجل عن بني إسرائيل لما اقترفوا من ذنب جراء كفرهم وشركهم بعبادة العجل، مستغلين غيبة موسى النبي عليه السلام، بقول الله سبحانه وتعالى في محكم آياته: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَتَعْبُدُونِ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾⁽³⁾. ناقض بنو إسرائيل ميثاق الله عز وجل بعبادتهم للأوثان، وهذا ما جاء في أسفارهم { ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم واصنع لنا آلهة تسيير أماننا فقال لهم هارون أنزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيتكم وبناتكم وآتوني بها فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكة فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصدتكم من أرض مصر⁽⁴⁾، ونلمس هنا التناقضات في قصص التوراة التي نصت على أن هارون عليه السلام هو من صنع العجل الذهبي لبني إسرائيل، وهو الذي أمرهم بعبادته، وذلك عندما تأخر موسى عليه السلام في الرجوع إليهم

(1) سفر التثنية 1، فقرة 30، 34.

(2) سفر الخروج 1، فقرة 1، 3.

(3) سورة البقرة، الآية 80.

(4) سفر الخروج 32، فقرة 1، 6.

بعد لقاء ربه على جبل الطور، وكان قد وعدهم بالرجوع إليهم بعد ثلاثين ليلة، ولكن الله سبحانه وتعالى قد زاد عليها عشرة فأتىها سبحانه أربعين ليلة؛ وذلك اختصاراً لبني إسرائيل وهو أعلم سبحانه بما سيفعلون كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽¹⁾، ولعل هذا الطلب لم يكن غريباً عن بني إسرائيل في أن يطلبوا من هارون (ص) هذا الطلب، فليس ببعيد من نجاتهم من فرعون وجنده وبعد أن شاهدوا بأعينهم المعجزات التي خص بها الله سبحانه وتعالى موسى، لم يتعظوا وتمادوا في غيهم وانحرفهم العقدي وتشبعهم بالوثنيات التي عاشوها في مصر، حيث طلبوا من موسى أن يصنع لهم آلهة كالتي كان يعبدها أهل القرى التي مروا عليها بعد خروجهم من مصر، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّءٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾. وبالتالي فقصة العجل التي نسبتها التوراة لهارون عارية عن الصحة تماماً، وهي من فعل رجل من بني إسرائيل يدعي السامري كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَغْوَيْنَاكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌّ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ

(1) سورة الأعراف، الآية 142.

(2) سورة الأعراف، الآية 138، 140.

وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى
قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي قَالَ يَبْنَؤُنَّ أُمَّ لَا تَأْخُذْ
بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي قَالَ فَمَا
خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا
وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ
تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ
مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١﴾.

جدد الله سبحانه وتعالى الوعد بدخول الأرض المقدسة لبني إسرائيل إلا أنهم نقضوا
العهد مرة أخرى، محتجين بعدم القدرة على القتال رغم تأكيد الرب لهم بالنصر والاشتراك
معهم في قتال سكان الأرض الموعودة وطردهم منها، وفي هذا الوعد نلاحظ تقلص جغرافية
الأرض الموعودة والتي أصبحت تشمل فلسطين فقط، بعد أن كانت تشمل مساحة أشمل من
الفرات إلى النيل، وهذا النص الذي أعطي بموجبه موسى أرض فلسطين يتناقض تماما مع
نص الوعد الذي أعطي بموجبه إبراهيم الأرض المقدسة، والتي تشمل مساحة أوسع من نهر
النيل إلى نهر الفرات، وفي هذا دلالة واضحة على أن هذه الوعود لا علاقة لها بالوحي
الإلهي، وإنما هي من خيال محرري التوراة ومن عقلية أقل ما يقال عنها أنها تتسم بالغباء
والتناقض. (2)

(1) سورة طه، الآية 83، 99.

(2) صالح الرقيب، ليس لليهود حق ديني في فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية، مج6، العدد1، 1998، ص10.

8- غزو يوشع بن نون أرض كنعان بين رؤية العهد القديم ورؤية علم الآثار:

يعد نبي الله يوشع بن نون⁽¹⁾ أحد أهم أنبياء بني إسرائيل، وذلك لارتباط مبعثه بأرض الميعاد تلك الأرض التي وعد بها الله تعالى الموحدين من بني إسرائيل.

• يوشع اسمه ونسبه:

اعتمد ابن خلدون على نسبه في التوراة فقال: هو يوشع بن نون بن أليشا مع بن عميهون بن بارص بن لعدان بن تاحن بن تالح بن أراشف بن رافح بن بريعا بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب⁽²⁾ يطلق أهل الكتاب اسم يوشع على نبي الله يوشع بن نون، ويذكر سفر العدد بأن نبي الله موسى عليه السلام غير اسمه من هوشع إلى يوشع⁽³⁾، وهو من سبط إفرايم بن يوسف، بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وكان خادما أميناً لموسى النبي (ص)، وقيل اسم يوشع بالعبرية معناه " الله هو خلاصي " ويعني أيضا " الرب يعطي انتصارا ". عهد إليه موسى بقيادة بني إسرائيل بعد وفاته⁽⁴⁾.

ورد في الرواية اليهودية أن الربّ حين أخبر موسى عليه السلام بدنو أجله، طلب موسى عليه السلام من الرب تعيين خليفة ليقود بني إسرائيل حتى لا يكونوا كالغنم التي لا راعي لها⁽⁵⁾، وهو عليه السلام متفق على نبوته عند أهل الإسلام وكذلك عند جميع طوائف أهل الكتاب.

(1) محمد حسن الحداد، أنبياء بني إسرائيل وعلاقتهم بيهود اليوم، دراسة تاريخية من منظور إسلامي، حوايات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب جامعة القاهرة، 2011، ص58.

(2) عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص367.

(3) سفر العدد13، فقرة 16.

(4) يوسف الدبس، تاريخ سوريا، ج2، دط، دار نظير عبود، دت، ص170.

(5) سفر العدد27، فقرة 17.

• يوشع يغزو أرض كنعان:

أمر الله يشوع أن يبدأ المعركة قائلاً: {موسى عليه السلام عبدي قد مات فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لبني إسرائيل. كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى عليه السلام} (1)، بدأ يوشع يظهر في الأفق بعد أن عينه موسى ممثلاً لسبطه أفرايم مع الإثنى عشر نقيباً الذين أرسلوا ممثلين للأسباط جميعاً، لكي يتجسسوا على أرض كنعان (2)، ويتبينوا ما فيها من نقاط قوة ونقاط ضعف (3). ما إن تسلم يوشع قيادة بني إسرائيل خلفاً لموسى، وبعد مباركة الكاهن (أليعازر) (4) هذه القيادة، حتى بدأ يعدّهم لعبور الأردن باتجاه أرض كنعان (5)، - فنادى في بني إسرائيل من خلال رؤساء العشائر والقبائل (سكوتيم) - . للاستعداد والتجهز لملاقاة أعدائهم في "أرض الميعاد" (6) أرض الميراث، ثُمَّ كَلَّمَ يَشُوعُ الرُّؤُوسِيَّيْنَ وَالْجَادِيَّيْنَ وَنِصْفَ سِبْطِ مَنَسَّى قَائِلاً:

{اذْكُرُوا الْكَلَامَ الَّذِي أَمَرَكُم بِهِ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ قَائِلاً: الرَّبُّ إِلَهُكُم قَدْ أَرَاكُمْ وَأَعْطَاكُمْ هَذِهِ الْأَرْضَ. نِسَاؤُكُمْ وَأَطْفَالُكُمْ وَمَوَاشِيَكُمْ تَلَبُّثُ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَعْطَاكُمْ مُوسَى فِي عَبْرِ الْأُرْدُنِّ، وَأَنْتُمْ تَعْبُرُونَ مُتَجَهِّزِينَ أَمَامَ إِخْوَتِكُمْ، كُلُّ الْأَبْطَالِ ذَوِي الْبَأْسِ، وَتُعِينُونَهُمْ حَتَّى يُرِيحَ الرَّبُّ إِخْوَتَكُمْ مِثْلَكُمْ، وَيَمْتَلِكُوا هُمْ أَيْضًا الْأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيهِمُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ. ثُمَّ تَرْجِعُونَ إِلَى

(1) سفر يوشع 1، الآية 1.

(2) Flavius Josephus, the Antiquities of the Jews, Book v, chap 1, §2, Transl by William Whiston, London, 1737.

(3) بيومي مهران، بنو إسرائيل منذ دخولهم فلسطين حتى الشتات الروماني 135م، دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، القاهرة، 1999، ص 549.

(4) أليعازر: اسم عبري معناه "الله قد أعان"، وهو اسم ابن هارون الثالث ورئيس اللاويين وكبير كهنتهم. للمزيد أنظر: سفر العدد 3، فقرة 2، عبد عمر رشيد بارشيد، موسى وهارون في الأسفار الخمسة، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة، المملكة العربية السعودية، 1426هـ، ص 77.

(5) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ط3، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2003، ص 42.

(6) رجاء عبد الحميد عرابي، سفر التاريخ اليهودي - اليهود تاريخهم عقائدهم فرقهم نشاطهم سلوكياتهم الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2004، ص 181.

أَرْضِ مِيرَاتِكُمْ وَتَمْتَلِكُونَهَا، الَّتِي أُعْطَاكُمْ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي عَبْرِ الْأُرْدُنِّ نَحْوَ شُرُوقِ الشَّمْسِ⁽¹⁾.

استفاد بنو إسرائيل من طول الفترة التي قضاها أيام التيه في أرض سيناء؛ نتيجة طول ضياع وتشرد في صحراء مقفرة؛ ونتيجة ظهور جيل جديد -بعد انقراض جيل جبل على الجبن والخنوع والعبودية-، تملأ نفسه الشجاعة والإقدام متمرس على فنون القتال⁽²⁾ والاشتباك، وأيا ما كان الأمر فقد بدأ يوشع يخطط لغزو كنعان⁽³⁾، بحيث كانت أولى محطاته هو غزو أريحا⁽⁴⁾، لقد كانت (أريحا) المنفذ الأول لأرض فلسطين، كما أن حصونها كانت منيعة، وكانت مدينة كبيرة حتى قال ابن خلدون⁽⁵⁾ عنها أنها قاعدة الشام، وكانت من أحصن المدائن سورا وأعلاها قصورا وأكثرها أهلا.

طبقا للرواية التوراتية المشكوك في مصداقيتها فإن يوشع بعث برجلين في مهمة استطلاعية على بلاد كنعان {فَأَرْسَلَ يَشُوعُ بَنُ نُونٍ مِنْ شِطِّيمَ رَجُلَيْنِ جَاسُوسَيْنِ سِرًّا، قَائِلًا: اذْهَبَا انْظُرَا الْأَرْضَ وَأَرِيحَا. فَذَهَبَا وَدَخَلَا بَيْتَ امْرَأَةٍ رَانِيَةٍ اسْمُهَا رَاحَابُ وَاضْطَجَعَا هُنَاكَ فَقِيلَ لِمَلِكِ أَرِيحَا: هُوَ ذَا قَدْ دَخَلَ إِلَى هُنَا اللَّيْلَةَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَتَجَسَّسَا الْأَرْضَ⁽⁶⁾}. لا ندري لماذا وصفت التوراة هذه المرأة رحاب بهذا الوصف القبيح؟ وما هو المغزى من التأكيد في التوراة المحرفة على هذه الصفة الزنا؟! وهي التي قدمت لهم أعظم خدمة ! هل لأن الزنا صفة مدح لديهم، ولتبرير هذا العمل المشين في المجتمعات، خصوصا إذا عرفت أنها تزوجت بنبي الله (يشوع) كما زعموا ! وأنها أم الأنبياء أيضا !! فهل

(1) سفر يوشع، الآية 12، 13، 14، 15.

(2) احمد سوسة، مفصل تاريخ العرب واليهود في التاريخ، ط1، الوراق للنشر، الأردن، 2014، ص557

(3) أبكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1967، ص278.

(4) أريحا: أصل تسمية أريحا يعود إلى الأصل السامي، وأريحا عند الكنعانيين تعني القمر والكلمة مشتقة من فعل (يرحو) وفي لغة جنوبي الجزيرة العربية تعني شهر أو قمر، وأريحا في السريانية وتعني الرائحة أو الأريج. للمزيد أنظر: بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص552.

(5) عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، المصدر السابق، ص369.

(6) سفر يوشع، الآية 1، 2.

الأنبياء يتزوجون من (الزواني)؟! حاشاهم من ذلك، فكيف إذا عرفنا أن لديهم شخصيات نسائية أخرى في (التوراة) لهن القدر الرفيع وهن من الزواني مثل: استير - يهوديت وغيرهن.⁽¹⁾

لمّا تمكن يشوع من معرفة طبيعة أرض كنعان، أمر ببدء حملة احتلال أريحا⁽²⁾، لكن كان عليه أولاً عبور نهر الأردن كخطوة أولى حتمية لبدء الهجوم، فسار الكهنة في مقدمة الجموع المغيرة، حاملين معهم تابوت العهد⁽³⁾، طبقاً لتوجيهات يشوع. وعندما وصلوا إلى النهر، دخلوا المياه باندفاع متيقنين بحصول معجزة؛ وهذا ما حدث، ففي اللحظة التي وطأت فيها أقدامهم مياه النهر، وقفت المياه وكأن سداً غير مرئي قد فصل بين هذه الجموع وبين مياه النهر، وبقي الكهنة⁽⁴⁾ في منتصف النهر إلى أن عبر "الشعب" كله⁽⁵⁾. وهذا ما حدثتنا عنه نصوص اسفار العهد القديم، "وَقَفَّتِ الْمِيَاهُ الْمُنْحَدِرَةُ مِنْ فَوْقُ وَقَامَتْ نَدًّا وَاحِدًا بَعِيدًا جِدًّا عَنْ «أَدَامَ» الْمَدِينَةِ الَّتِي إِلَى جَانِبِ صَرْتَانِ وَالْمُنْحَدِرَةُ إِلَى بَحْرِ الْعَرَبَةِ «بَحْرِ الْمِلْحِ» انْقَطَعَتْ تَمَامًا وَعَبَرَ الشَّعْبُ مُقَابِلَ أَرِيحَا. فَوَقَفَ الْكَهَنَةُ حَامِلُو تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسْطِ الْأُرْدُنِّ رَاسِخِينَ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ عَابِرُونَ عَلَى الْيَابِسَةِ حَتَّى انْتَهَى جَمِيعُ الشَّعْبِ مِنْ عُبُورِ الْأُرْدُنِّ"⁽⁶⁾

(1) حسين بن علي الزومي، الفتوحات في عهد يوشع بن نون عليه السلام، دراسة تاريخية نقدية، مجلة الراسخون، مج1، العدد1، ص 14، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2015.

(2) ياسين سويد، التاريخ العسكري لبني إسرائيل، ج1، ط3، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2007، ص161

(3) تابوت العهد: ويعرف أيضاً بتابوت الشهادة، وهو عبارة عن صندوق يحتوي على ألواح من الحجر نقش عليها الوصايا العشر التي نزلت على موسى النبي(ص). للمزيد أنظر: محمد صالح توفيق، التابوت في لغة العرب دراسة تأصيلية دلالية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، عدد13، 1415هـ، ص321 وما يليها؛ سفر الخروج25، فقرة 10، 16؛ محمد بن بسطام الخوشابي، عرائس القرآن ونفائس الفرقان وفرادس الجنان، -قصص الأنبياء-، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص180.

(4) مجيد جاسم احمد محمد، المرجع السابق، ص 153.

(5) سفر يوشع، 4، فقرة 1، 9.

(6) سفر يوشع، الإصحاح3، فقرة 16، 17.

خيم يشوع في موقع الجبل في تخم مدينة أريحا الشرقي، وخاطب الشعب قائلاً: {غداً تعلمون بأنكم قائلين على اليابسة عبر إسرائيل هذا الأردن، لأن الرب إلهكم قد يبس مياه الأردن أمامكم حتى عبرتم، كما فعل الرب إلهكم ببحر سوف الذي يبسه من أمامنا حتى عبرنا. لكي تعلم جميع شعوب الأرض يد الرب أنها قوية}⁽¹⁾، استمرت كرامات التأييد الرباني -كما ترويه نصوص التوراة- وواصل الجموع المرافقة ليشوع إلى أن وصلوا إلى أسوار مدينة أريحا الحصينة وبدؤوا ينفخون بالأبواق وتابوت العهد سائر وراءهم لمدة سبعة أيام متتالية. اجْتَازَ السَّبْعَةُ الْكَهَنَةُ حَامِلِينَ أَبْوَاقَ الْهَتَافِ السَّبْعَةِ أَمَامَ الرَّبِّ وَضَرَبُوا بِالْأَبْوَاقِ. وَتَأَبَّوْثَ عَهْدُ الرَّبِّ سَائِرٌ وَرَاءَهُمْ، فَهَتَفَ الشَّعْبُ وَضَرَبُوا بِالْأَبْوَاقِ. وَكَانَ حِينَ سَمِعَ الشَّعْبُ صَوْتَ الْبُوقِ أَنَّ الشَّعْبَ هَتَفَ هَتَافًا عَظِيمًا فَسَقَطَ السُّورُ فِي مَكَانِهِ وَصَعِدَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ⁽²⁾.

مما أسفر عن الاستيلاء على هذه المدينة وقتل جميع من فيها من رجال ونساء وشيوخ وأطفال⁽³⁾، علاوة على حرق الأبقار والأغنام والحمير وتدمير المدينة بشكل كامل⁽⁴⁾.

لا يمكن في ظل هذا التدافع الهائل الوارد في نصوص التوراة أن يجعلنا في موضع تصديق ما نسب لبني إسرائيل أيام يوشع في غزوهم أريحا، إذ هل يعقل أن تتهاوى أسوار أريحا هذا إذا سلمنا جدلاً أنه يوجد أسوار بمستوى علو معين يمكن أن تحمي المدينة في عهد يوشع، وأن تتهاوى تلك الأسوار بمجرد النفق في الأبواق مهما بلغ عدد الذين صرخوا ولو جاوزوا الملايين، فلا يمكن أن يؤثر بسور مدينة أو أن يزيحوا حجراً واحداً.

في الوقت الذي يؤكد فيه علماء الآثار أن المدينة كانت ما تزال أنقاضاً في العصر الذي ظهر فيه يشوع بن نون على رأس تحالف قبلي على مقربة من موقع أريحا، وهذا

(1) سفر يوشع، 4، الآية 24.

(2) سفر يوشع، الإصحاح 6، الآية من 1 إلى 27.

(3) شلومو ساند، اختراع أرض إسرائيل، ت، أنطوان شلحت، أسعد زغبى، ط، خاصة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2014، ص 96.

(4) محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص 135.

يخالف ما هو متواتر في المرويات التوراتية عن دخول المدينة الكنعانية، واستباحتها مما يدخل على الأغلب في إطار الأدب الملحمي الذي كتب في مرحلة لاحقة، إذ لا يعقل أن يكون سفك الدماء من جانب سكان الأقاليم المهزومة بهذا الشكل وبهذه البشاعة وكأن القوم قد استسلموا وسلموا أنفسهم لقتالهم دون مقاومة تذكر، كما أن عبور نهر الأردن ومواجهة مقاومة العماليق لم تثبته الأبحاث والتنقيبات الأثرية، لأن منطقة شرق الأردن لم تكن آهلة بالسكان في زمن الغزو المفترض. ومن بين المدن التي استولى عليها يوشع "بيت إيل" و"عاي" و"لخيش" و"عجلون" و"حبرون"⁽¹⁾، وكان أن رافق الحملات العسكرية التي شنّها يشوع على تلك المدن، ظهور المعجزات التي صنعها الرب ليشوع ومنها: "حجارة البرد"، و"ثبات الشمس وتوقف القمر"، التي قتلت عدداً أكبر من الذين قتلهم بنو إسرائيل، وهو ما حصل حسب ما ترويّه نصوص التوراة في حرب يشوع مع ملوك "أورشليم، وخبزون، ويزموت، ولخيش، وعجلون"⁽²⁾.

قد ورد في السنة النبوية ذكر لفتح أريحا، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم {غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يعرف سقوفها، ولا آخر اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليهم فجمع الغنائم فجاءت -يعني النار- لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلواً، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول فليبايعني قبيلتك

(1) احمد سوسة، المرجع السابق، ص 559.

(2) سفر يوشع 10، الآية 1، 10.

فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا⁽¹⁾.

ورد ذكر هذا الفتح في القرآن الكريم أيضاً: في قوله سبحانه ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾⁽²⁾ وقد جاء في تفسيرها: أنه "لما دخل بهم باب المدينة أمروا أن يدخلوها ركعاً متواضعين شاكرين لله عز وجل على ما من عليهم من الفتح العظيم الذي كان الله وعدهم إياه، وإن يقولوا حال دخولهم حطة أي حطّ عنا خطايانا التي سلفت. وهنا يمكن أن نقف عند التباين بين نصوص التوراة في مسألة غزو بلاد كنعان التي تسبغ هالة من النفخ في الأحداث وتضخيمها وتصويرها بأسلوب أسطوري خارق للعادة، وبين نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية التي أعطت للحدث بعده العقائدي الذي يدخل في إطار التأييد الرباني للأنبياء والرسل الموكول لهم نشر دعوة الله سبحانه وتعالى.

ثمّ كان التحرك الثاني ليشوع بعد احتلاله مدينة أريحا، اتجأه نحو مدينة "عاي"، التي بدأ الإعداد لاحتلالها، فأرسل يشوع ثلاثة آلاف رجل فقط لاحتلالها، إلا أن أهل هذه المدينة خرجوا عليهم وهزمهم وقتلوا منهم الكثيرين⁽³⁾، الأمر الذي دفع يشوع إلى إرسال جيش عظيم بلغ "الثلاثين ألف محارب"، حسب ما ذهب إليه سفر يوشع، وإن كان العدد مبالغ فيه، مما أدى إلى مقتل ملكها وصلبه على باب المدينة، علاوة على قتل سكان هذه المدينة الذين بلغ عددهم اثني عشر ألفاً، وهم جميع أهل عاي، وحرقت المدينة، بعد الاستيلاء على جميع ما

⁽¹⁾ رواه البخاري في (الصحيح) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (أحلت لكم الغنائم) 394/2.

⁽²⁾ سورة الأعراف، الآية 161، 162.

⁽³⁾ سفر يوشع، الآية 8، 3، 8.

فيها من الأموال والمواشي⁽¹⁾. ومن الجدير بالذكر، أن رواية سفر يوشع لأعداد القتلى من الكنعانيين في كل من أريحا وعاي، هو وصف مبالغ فيه⁽²⁾؛ - وإن كنا نصدق سياسة بني إسرائيل اليوم القائمة على سياسة إبادة الفلسطينيين التي انتهجتها وتنتهجها عصابات ألفت التمتع بسفك دماء الشيوخ والأطفال والنساء كعصابات "الهجانا" و"الأرغون"⁽³⁾ - فقد وصف "ديورانت" هذا الإسراف في تقتيل الكنعانيين بالقول: "لسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والاستمتاع به. ومثل هذه السهولة في تعداد القتلى، لا نجده إلا في تاريخ الآشوريين"؛ مضيفاً، "أن يشوع كان على النقيض من موسى الذي اتصف بالصبر والأناة، وحكم حكماً سلمياً"⁽⁴⁾، كما أن يشوع بن نون قد جرد الحركة من مصر بقيادة موسى من سياقها الديني وألبسها ثوب الغزو والاحتلال؛ فقد لجأ إلى التجسس وإلى الاستعانة بالعاشرات لاستطلاع أخبار الأرض التي يتهيأ لغزوها، بدءاً من "أريحا" وفقاً لما ورد في نصوص أسفار التوراة دائماً.

وهو نفس ما ذهب إليه المؤرخ الفرنسي "غوستاف لوبون"⁽⁵⁾ وذلك من خلال تعليقه على وحشية بني إسرائيل، التي لا أثر للرحمة فيها، وما على القارئ ليقنع بذلك، إلا أن يتصفح نصوص أخبار الملوك التي تدلنا على أن ملوكهم كانوا يأمرهم بحرق جميع

(1) سفر يوشع، الآية 8، 18، 29.

(2) اسماعيل راجي الفاروقي، المرجع السابق، ص 43.

(3) الأرغون أو اتسل: هي منظمة صهيونية شبه عسكرية وجدت في الفترة السابقة لإعلان قيام دولة الكيان الصهيوني في فلسطين عندما كانت خاضعة للإنتداب البريطاني في الفترة ما بين (1939-1948) يعزى لها العديد من الأنشطة الإرهابية في فلسطين. للمزيد أنظر: أحمد لطفي عبد السلام، جذور العنف والعنصرية في الفكر الديني اليهودي وامتداده إلى الدولة الإسرائيلية، دط، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، 2001، ص ص 165، 166.

(4) ول وإيريل ديورانت، قصة الحضارة، ت، محمد بدران، ج 2، مج 1، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، دت، ص 327.

(5) غوستاف لوبون (7 مايو 1841 - 13 ديسمبر 1931) كان طبيب ومؤرخ فرنسي، عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا، كتب في علم الآثار وعلم الأنثروبولوجيا، وعني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره: حضارة العرب وحضارات الهند و"باريس 1884" و"الحضارة المصرية" و"حضارة العرب في الأندلس" و"سر تقدم الأمم" و"روح الاجتماع" الذي كان انجازه الأول. هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. لم يسر غوستاف لوبون على نهج معظم مؤرخي أوروبا، حيث اعتقد بوجود فضلٍ للحضارة الإسلامية على العالم الغربي.. أنظر: غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، ت، هاشم صالح، ط 1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 1991، ص ص 13، 14.

المغلوبين وسلخ جلودهم ووشرهم بالمنشار⁽¹⁾، وكان الذبح المنظم يعقب كل فتح مهما قل، وكان الأهالي الأصليون يوقفون فيحكم عليهم بالقتل دفعة واحدة، فيبادون باسم يهوه من غير نظر إلى الجنس ولا إلى السن، وكان التحريق والسلب يلزمان سفك الدماء⁽²⁾. ومن جهة أخرى يمكن أن نقف عند مفارقة أخرى في سياق هذه الأحداث والمتمثلة في الافتراءات والأكاذيب التي توردها نصوص التوراة في حق من بعثهم الله فيهم رسلا وأنبياء، والمطلع على التوراة الحالية المقدسة عندهم يرى أن اليهود لم يراعوا لأنبياء الله حرمة، ولا يعتقدون فيهم العصمة، بل كانوا يرمونهم بعظائم الأمور، من الصفات القبيحة والخصال الشنيعة، ويوشع عليه السلام لحقه من قدح اليهود له ما لحق أنبياء بني إسرائيل، بل أكابر أنبيائهم كيعقوب وموسى عليهما السلام.

لا شك أن نجاح بني إسرائيل في احتلال بعض أجزاء فلسطين، لم يكن إلا نتيجة التشرذم والانقسام الذي كانت تعيشه العشائر الكنعانية⁽³⁾، فقد كانت البلاد منقسمة على نفسها تتصارع فيما بينها⁽⁴⁾، بحيث بات لكل مدينة من مدن كنعان ملك يحكمها⁽⁵⁾ حيث يصف سفر يوشع أن الاموريين وحدهم كان لديهم خمسة ملوك، { فأرسل أدوني صادق ملك أورشليم إلى هوهام ملك حبرون وفرام ملك يرموت ويافع ملك لخيش ودبير ملك عجلون ويقول إصعدوا إليّ وأعينوني فنضرب جبعون لأنها صالحت يوشع وبني إسرائيل فاجتمع ملوك الاموريين الخمسة ملك أورشليم وملك حبرون وملك يرموت وملك لخيش وملك عجلون وصعدوا هم وكل جيوشهم ونزلوا على جبعون حاربوها }⁽⁶⁾

(1) سفر أخبار الأيام الأول 20، الآية 3.

(2) غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ت، عادل زعيتير، ط1، مكتبة النافذة، القاهرة، ص70.

(3) إبراهيم يوسف عبدي، الآثار الفلسطينية إثبات لعروبة فلسطين تاريخ جغرافيا وحضارة، ط1، 2016، ص226

(4) كمال سغفان، المرجع السابق، ص14.

(5) أنمار أحمد محمد، نبي الله يوشع بن نون في ثنايا أسفار العهد القديم، مجلة الجامعة الإسلامية، عدد23، دت، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص13.

(6) سفر يوشع10، الآية 3-5.

وتكتمل رواية سفر يشوع، بدخول بني إسرائيل أرض كنعان وتقسيم الأرض على الأسباط الإثني عشر، وقد احتوت الإصحاحات من الثالث عشر إلى التاسع عشر من هذا السفر، أسماء المدن والحدود التي كان من المفترض أن تكون من نصيب كل سبط من هذه الأسباط، وفقاً للتقسيم الذي حدده موسى من قبل. (أنظر الملحق رقم 04).

9- رؤية علم الآثار لغزو بني إسرائيل أرض كنعان:

أن المتتبع لتاريخ ظهور واستمرار بني إسرائيل في أرض كنعان، ليكون لا محال مجبرا على استنتاج الشواهد النصوصية، من خلال النصوص التقليدية التي وردت في أسفار "العدد" و"يوشع" والقضاة وغيرها من أسفار الكتاب المقدس وهي تكاد تشكل مادة رئيسية في قراءة وفهم تاريخ بني إسرائيل في بلاد كنعان وفلسطين، وتحضى بمصداقية واسعة على الأقل داخل الثقافة اليهودية والمسيحية نظرا لقداسة نصوصها، - في ظل قلة الشواهد والمدونات التاريخية المسجلة في المصادر الكلاسيكية-، غير أن البحث في هذه النصوص وتحليلها أصبحت تتعارض مع المكتشفات الأثرية اليوم في ظل ظهور رواد لعلم الآثار من أمثال العلامة كيث وايتلام، أستاذ العلوم الكتابية في قسم الدراسات اللاهوتية بجامعة سترلنغ بالمملكة المتحدة، الذي عكف على مراجعة المؤلفات التي تعاملت مع تاريخ فلسطين القديم، وأدرك في حينها مدى توغل الخطاب الإستشراقي في الكتابات عن تاريخ فلسطين، وعالم الآثار الإسرائيلي إسرائيل فنكلشتاين.⁽¹⁾ الذي شكك بوجود أي صلة لليهود بالقدس ، كما نفى فنكلشتاين أن يكون هناك شواهد تاريخية أو أثرية تدعم بعض القصص الواردة في التوراة، بما في ذلك قصص الخروج والته في سيناء وانتصار يوشع بن نون على كنعان، كما نفى

(1) إسرائيل فنكلشتاين رئيس قسم الآثار في جامعة تل أبيب في فلسطين المحتلة، من أصل ألماني حصل على الماجستير عام 1978، ثم الدكتوراه عام 1983 في علم الآثار من جامعة تل أبيب، شغل منصب مدير للعديد من أعمال التنقيب في مناطق مختلفة من فلسطين منذ 1971، ألف العديد من الكتب في علم الآثار، فضلا عن العديد من المقالات المنشورة في دوريات مختلفة. للمزيد أنظر: إسرائيل فنكلشتاين، نيل إشير سلبيرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ت، سعد رستم، دط، صفحات للدراسات والنشر، دت، ص 437.

أن يكون هناك أي غزو عسكري قاس لبلاد كنعان، وإن كنا لا نستأنس كثيرا لما جاء به هذا العالم الأثري، إذ ليس من المعقول أن عدم وجود أدلة أثرية تتوافق مع نصوص التوراة اعتبرنا هذه الأخيرة ما هي إلا أساطير، رغم إيماننا أن نصوص التوراة اعتراها التحريف والتبديل والصورة التي رسمها العهد القديم لغزو بني إسرائيل لأرض كنعان، لا يقبلها عدد من الباحثين وعلماء الآثار، ويعتبرونها غير صحيحة، فقد كشف علم الآثار عن تناقض مثير بين المعلومات التي يقدمها العهد القديم وبين الحالة الحقيقية التي كانت عليها كنعان في زمن الغزو المفترض.

بالتالي هناك سؤال هام يفرض نفسه في هذا السياق والمتعلق بمدى موثوقية المادة التاريخية الواردة في كتابات العهد القديم، عن احتلال بلاد فلسطين، خاصة ما جاء منها في سفر يوشع، هل هي معلومات تعكس أحداثا تاريخية حقيقية؟ وإن كانت كذلك ما هي الآثار الدالة عنها والتي أقرها وقرأها علم الآثار الحديث اليوم.

لا يراودنا الشك إذا قلنا أن ما جاء في سفر يوشع من مبالغة في وصف أخبار غزو بني إسرائيل لأرض فلسطين ما هو إلا ضرب من الخيال وقصص سردية أسطورية، هي من نسيج خيال محرري هذا السفر يوشع وذلك للأسباب التالية:

- أن يوشع عليه السلام قد خصه الله سبحانه وتعالى بالرسالة كغيره من الرسل الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى إلى الأمم والشعوب لنشر السلم والعدل بين الناس وإحقاق الحق، وبالتالي لا يعقل أن تتسم أعمال النبي يوشع بالقتل وسفك الدماء والتكيل⁽¹⁾ بالأعداء على حد ما نسب إليه في سفر يوشع، ولعل في بعد الشقة ما بين الأحداث وتسجيلها ما يشفع في ذلك، إذ الخلط والمغالاة والتفاخر بما ارتكب من مجازر لم يكن لها من أساس

(1) أنمار أحمد محمد، المرجع السابق، ص 16.

إلا في أذهان مؤلفيها الذين شهدوا بربرية الآشوريين والبابليين، فخيل لهم أثناء كتابة أسفارهم، أن أسلافهم مارسوا نفس السياسة القائمة على القهر والإذلال⁽¹⁾.

• لا يعقل أن يتم إنجاز مثل هكذا انتصارات في بلاد كنعان في زمن يوشع خصوصا إذا علمنا أن موسى عليه السلام ارتحل من هذه الدنيا وقد ترك بني إسرائيل أمة قد أنهكتها سنوات الضياع والتهيه في سيناء، وبالتالي، فكيف يمكنهم وفي خلال مدة زمنية قصيرة من أن يكونوا في مثل هذا العدد والعدة التي وصفهم بها سفر يوشع، وهذا ما دفع العالم الأثري الإسرائيلي "ملمات" للتساؤل "كيف استطاع بنو إسرائيل أن يحتلوا فلسطين عسكريا؟ إن الأمر يثير الدهشة والاستغراب حقا، فكيف تمكنت أسباط بني إسرائيل الصاعدين من البرية مفتقدين إلى الخبرة والدراية العسكرية اللازمة لهم، ويعانون من نقص المواد والعتاد اللازمين، أن يتغلبوا على أعدائهم الكنعانيين أصحاب التاريخ العسكري الطويل والمعرفة التكنولوجية الراقية والمتطورة، الذين يشيدون القلاع المحصنة"⁽²⁾.

• أن التدمير الذي حصل لبعض المدن الكنعانية والذي نسب إلى يوشع، لم يكن إلا نتيجة لعوامل أخرى كالزلازل التي ضربت المنطقة في وقت سابق والتي أدت إلى تدمير بعض المدن الكنعانية بما فيها أريحا⁽³⁾، أما فكرة تهوي جدران المدينة نتيجة النفخ بالأبواق، والدوران بتابوت العهد حول المدينة ما هو إلا حيلة من حيل كتبة سفر يوشع في إيجاد قصة بطولية تشد همم بني إسرائيل وتثبت فيهم روح الحنين والنخوة والتغني بالأمجاد⁽⁴⁾. ناهيك على أن التدمير الذي حصل لبعض المدن الفلسطينية، ربما بالفعل قد وافق بعضه عهد يوشع وبعضه قبل ذلك بعدة قرون.

(1) بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص566.

(2) إبراهيم ملومات، حاييم تدمور، المرجع السابق، المرجع السابق، ص148.

(3) إمانويل فليكوفاكي، عصور في فوضى، ج2، ت، أحمد عمر شاهين وآخرون، ط1، العروبة للدراسات والأبحاث، القاهرة، 2002، ص39.

(4) هشام محمد أبو حاكم، الأساطير المؤسسة للتاريخ الإسرائيلي القديم، ط1، دار الجليل، عمان، الأردن، 2006، ص154.

هذا وقد شغلت الإجابة على سؤال كيفية دخول الإسرائيليين إلى أرض كنعان الباحثين منذ القرن التاسع عشر، حين تأسست المدارس والمعاهد الأثرية الأوروبية والأمريكية بهدف إثبات صحة ما جاء في التوراة من أحداث تاريخية عن وجود بني إسرائيل في بلاد كنعان وفلسطين، وحتى يستقيم الأمر لهم اتخذوا من البقايا الأثرية وسيلة، وربطوا بينها وبين الحدث التوراتي. وقد تطور هذا المنهج عبر السنوات من خلال وضع مجموعة من النظريات، لكنها على إطلاقها وفي نظرنا لم تخلع عباءة التوراة في تفسير وتحليل تاريخ بني إسرائيل. وفي ما يلي هذه بعض النظريات التي ساقها نخبة من العلماء الأثريين والتي تباينت فرضياتها واختلفت آراؤها.

- النظرية التوراتية التقليدية:

صاحب هذه النظرية هو الأمريكي وليم فوكسويل البرايت (William Foxwell Albright) (1) وقد ساندته مجموعة من الباحثين وعلى رأسهم جورج ايرنست رايت (Georg Ernest Yigael Yadin) و (ملمات) وغيرهم، والذي قام في الثلاثينيات من القرن الماضي بالتنقيب في موقع "تل بيت مرسم" الواقع بالقرب من مدينة الخليل، وانطلق من فرضية مؤيدة للرواية التي قدمها التراث الديني في سفر يشوع حول وجود غزو واحتلال خارجيين لأرض كنعان؛ حيث رأى "أولبرايت أن هناك تغيراً مفاجئاً قد حدث في أرض كنعان خلال العصر البرونزي المتأخر (1150-550 ق.م)، نتيجة عوامل خارجية، أي نتيجة غزو لتلك الأرض (2)، إذ بنا تصوره على فكرة وجود حملة عسكرية إسرائيلية قضت على التجمعات السكانية للفلسطينيين (3)، حيث وبخروج الإسرائيليين من مصر بقيادة موسى وأخاه

(1) فروهاجن، هانس، فلسطين والشرق الأوسط بين الكتاب المقدس وعلم الآثار، ت، سمير طاهر، ط1، الكتب خان للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2017، ص99.

(2) فراس سواح، آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، المرجع السابق، ص83.

(3) كيث ويتلام، إختلاق إسرائيل القديمة، ت، سحر الهندي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص124.

هارون، وبعد أن تاهوا مدة أربعين سنة في الصحراء، استطاعوا الدخول إلى أرض كنعان واحتلال مجموعة من مدنها بالقوة، خلال العصر الحديدي الأول (حوالي 1200-1000 قبل الميلاد)، كما برر (وليام فوكسويل ألبرايت)⁽¹⁾ فكرة إبادة الشعوب المحلية أصحاب الأرض (الكنعانيين)⁽²⁾ ذوي المستوى المتدني من التمدن -على حد قوله- لتحل محلها شعوب تتمتع بصفات ومؤهلات أخلاقية متحضرة (يعني بني إسرائيل)⁽³⁾، وفي الحقيقة أن أطروحة (ألبرايت) تعبر بكل صدق عن عنصرية سافرة تحط من قيمة الإنسان الكنعاني⁽⁴⁾، مما يؤدي إلى فكرة قبول إبادة هذه الشعوب.

وهذا ما أقرته نصوصهم الدينية إذ تقول: " فأخذ يوشع كل الأرض حسب كل ما كلم به الرب موسى وأعطاه يوشع ملكا لإسرائيل حسب فرقهم وأسابطهم واستراحت الأرض من الحرب"⁽⁵⁾.

يتضح مما سبق، أن الصورة المشرقة للحضارات السامية القديمة، لم يعترف بها علماء التوراة التقليديين، بل إنهم يدعون أن هذه الحضارات كانت فاسدة على الرغم من إبداعاتها التي تجاهلوها تماماً، وفي مقابل ذلك، نسبوا إلى ديانة بني إسرائيل كل تطور أخلاقي وفكري وحضاري، علماً بأن هذه الديانة، قد ارتكزت في معظمها على ديانة الشعوب القديمة، لاسيما الديانة الكنعانية القديمة⁽⁶⁾، ونمت من روافدها، إذا ما استثنينا منها عقيدة التوحيد؛ ومما يؤخذ على نظرية "أولبرايت" ورفاقه أنها اعتمدت فقط على روايات سفر يشوع دون

(1) إسرائيل فنكلشتاين، نيل إشير سليبرمان، المرجع السابق، ص 388.

(2) دونالد ريدفورد، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة، ت، بيومي قنديل، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2015، ص 402.

(3) المرجع نفسه، ص 128.

(4) بشار خليف، العبرانيون في تاريخ المشرق العربي، القديم مقاربات أركيولوجية تاريخية نفسية، دط، دت، ص 57.

(5) سفر يشوع 11، الآية 23.

(6) إسماعيل ناصر الصمادي، التأريخ التوراتي المزيف بين إسرائيل الكنعانية وإسرائيل العبرية والصهيونية، ط1، دار علاء سوريا، دمشق، 2005، ص 311.

الأخذ بالروايات الأخرى التي كانت لها رؤية مخالفة لرؤية سفر يشوع، ومنها رواية سفر القضاة.⁽¹⁾ كما أن محرري سفر يشوع كانوا يسردون قصة بدون إطار تاريخي، إذ نلمس أنه لم تكن بين أيديهم معلومات دقيقة وواضحة عن تلك الحقبة من التاريخ التي اختاروها لإحداثهم، كما أن تدوين العهد القديم قد تم في عصور متأخرة عن مروياته وأحداثه، حيث ذهب في هذا السياق نيلز لمكة (N.Lemeche) معلقاً عن من يؤيدون هذه النظرية فيقول: "عندما يكتب المؤرخون التوراتيون عن الغزو الإسرائيلي لبلاد كنعان لا تكون رواياتهم مصدراً موثقاً عن تلك الأحداث، بل انعكاساً للكيفية التي كان فيها الكتاب الذين عاشوا أكثر من خمسمائة سنة ينظرون إلى الماضي."⁽²⁾

إذا عدنا لعلم الآثار فإن معاول الآثاريين لهذه الحقبة من الزمن لم تستطع تقديم إفادات علمية عن الفترة الانتقالية بين عصر البرونز الأخير والعصر الحديدي تنبئ عن طرود أقوام جديدة على بلاد كنعان حملت معها موروث حضاري مغاير للثقافة والحضارة الكنعانية التي كانت قائمة إذ ذاك⁽³⁾. كما نفت أبحاثهم أن يكون التدمير والحرق الذي لحق بالمدن الفلسطينية التي سقطت تباعاً حسب رواية سفر يشوع أن حدثت في أيام الغزو المفترض ليوشع، وحتى وإن حدث هذا التدمير فإن تاريخه كان سابقاً للوجود الإسرائيلي⁽⁴⁾ في بلاد كنعان، ومن المحتمل أن يكون من جراء غزوات شعوب البحر⁽⁵⁾ التي حلت بالمنطقة في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، فمدينة أريحا لم تكن موجودة في زمن يوشع، إذ تميل رؤية علماء الآثار⁽⁶⁾ أنها تكون قد دمرت على أحسن تقدير في القرن السادس عشر قبل

(1) مجيد جاسم احمد محمد، المرجع السابق، ص 160.

(2) كيث ويتلام، توماس طومسون، وآخرون، الجديد في تاريخ فلسطين القديمة، ت، عدنان حسن وزياد منى، ط1، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2004، ص 132.

(3) جون .أ. هامرتن، المرجع السابق، ص 106.

(4) ابراهيم ملمات، حاييم تدمور، المرجع السابق، ص 142.

(5) فراس سواح، آرام دشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، المرجع السابق، ص 94.

(6) دعاء الشريف، التوراة تثبت أن فلسطين أرض عربية، ط1، دار أبعاد، 2016، ص 381.

الميلاد، ونفس الحال بالنسبة لمدينة عاي المدينة الثانية التي استهدفها يوشع في غزوه، إذ كانت عبارة عن أطلال منذ عام 2300 ق.م ولم تشهد حركة تعمير بعد⁽¹⁾.

إذا سلمنا بصحة النصوص حول دخول يوشع لأراضي الكنعانيين والتي تم اقتسامها بين أسباطهم، فإن الأرض التي تم اقتسامها، لا تعادل ربع الأراضي التي ادعواها ولا تقارن بتلك الحدود⁽²⁾ التي ذكروها في أسفارهم، كما هو مَدُون في سفر العدد { وكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: أَوْصِي بَنِي إِسْرَائِيل وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ أَرْضَ كَنْعَانَ، هَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي تَقَعُ لَكُمْ نَصِيبًا، أَرْضُ كَنْعَانَ بِتَخُومِهَا، تَكُونُ لَكُمْ نَاحِيَةَ الْجَنُوبِ مِنْ بَرِيَّةٍ عَلَى جَانِبِ أَدُومَ، وَيَكُونُ لَكُمْ تَخَمُ الْجَنُوبِ مِنْ طَرَفِ بَحْرِ الْمَلْحِ إِلَى الشَّرْقِ، وَيَدُورُ لَكُمْ التَّخَمُ مِنْ جَنُوبِ عَقْبَةِ عَقْرِيمَ، وَيَعْبُرُ إِلَى صِينَ وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ مِنْ جَنُوبِ قَادِشَ بَرِينِيْعَ، وَيَخْرُجُ إِلَى حَصْرٍ أَدَارَ، وَيَعْبُرُ إِلَى عَصْمُونَ، ثُمَّ يَدُورُ التَّخَمُ مِنْ عَصْمُونَ إِلَى وَادِي مِصْرَ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ الْبَحْرِ }⁽³⁾. ومن خلال قراءتنا لهذا النص، لم يثبت بالدليل الأثري حول تحقق اكتساح بني إسرائيل لكل هذه الأراضي، لا في عهد موسى عليه السلام، ولا في عهد يوشع، ولا في أي عهد من عهود بني إسرائيل، وهذا ما يؤكد بشار خليف في كتابه العبرانيون في تاريخ المشرق العربي القديم، إذ يقول: " لا أظن بأننا نستطيع القول على أن الغزاة الإسرائيليين قد سيطروا على المناطق الهضبية والجليل بعد معارك عسكرية خاطفة وأن الشواهد الأثرية غير مقنعة وتتعارض في معظمها مع المرويات التوراتية إلى درجة لا يستطع معها أنصار نظرية الفتح العسكري إقناعنا بها إلا بواسطة الإيمان الأعمى"⁽⁴⁾.

(1) كيث ويتلام، توماس طومسون، وآخرون، الجديد في تاريخ فلسطين القديمة، المرجع السابق، ص 183.

(2) عبد الوهاب عبد السلام طويلة، المرجع السابق، ص 155.

(3) سفر العدد، فقرة 1-4.

(4) بشار خليف، العبرانيون في تاريخ المشرق، المرجع السابق، ص 62.

- نظرية التسلل السلمي:

في مقابل نظرية الغزو التي تبناها "أولبرايت" ورفاقه، طور عالم ألماني يدعى "البرخت آلت" (1) (*Albrecht Alt*) فرضية مغايرة جداً؛ فقد قلّل "آلت" من مصداقية سفر يوشع باعتباره تاريخاً واقعياً، بسبب قناعته بأن قصص العهد القديم قد تم جمعها بعد قرون من وقوع الأحداث المروية، لذا يكن قراءتها على أنها أسطورة وطنية بطولية، وفي الوقت الذي قلل فيه "آلت" من مصداقية القصة التي يرويها سفر يشوع، كان مستعداً لقبول قصة أخرى يرويها العهد القديم في الإصحاح الأول من سفر القضاة؛ حيث لاحظ "آلت" من خلال أعماله الأثرية في أنحاء شتى من فلسطين مع بداية القرن العشرين، أن استيطان البدو في مناطق النقب وصحراء يهوذا يشبه إلى حد ما الاستيطان القديم لبني إسرائيل في أرض كنعان، الذي وصفه الإصحاح الأول من سفر القضاة؛ وبناءً على الحالة الموصوفة في هذا السفر، صاغ نظريته المعروفة باسم "نظرية التسرب أو التسلل السلمي" (2).

بعد سفر يوشع الذي يصف اقتحام القبائل الإسرائيلية أرض كنعان واستيلائها على أرض فلسطين كاملة، نجد سفر القضاة يعطينا صورة مغايرة تماماً عن تلك القبائل المنتصرة (3)، وطبقاً لهذه النظرية، كان بنو إسرائيل بدواً رعاة تجولوا بشكل دوري بقطعانهم بين مناطق السهل في شرق كنعان في فصل الشتاء، ومرتفعات غرب كنعان في فصل الصيف، إذ أن هاتين المنطقتين تم وصفهما في مصادر مصرية قديمة، بأنهما كانتا مأهولتين بشكل متناثر، وأن تضاريسهما كانت وعرة، وأنه كانت هناك أرض حرة كثيرة للزراعة. لذلك اعتقد "آلت"، بأنه في نهاية العصر البرونزي المتأخر (550-1150 ق.م) (4)

(1) فروهاجن، هانس، المرجع السابق، ص 96.

(2) إسرائيل فنكشتاين، نيل إشير سلبلمان، المرجع السابق، ص 388.

(3) فراس سواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ط3، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، 1997، ص 201.

(4) مجيد جاسم احمد محمد، المرجع السابق، ص 161.

بدأت بعض مجموعات البدو الرعاة بمزاولة زراعة موسمية قرب مراعيها الصيفية في مرتفعات كنعان، وبدأت على إثر ذلك عملية التوطن الدائم؛ كما وقد اقترح "آلت"، بأن نمو أعداد المستوطنين الجدد، وزيادة احتياجاتهم للأرض والماء، كان سبباً في حدوث المشاكل مع جيرانهم الكنعانيين، التي أدت في نهاية الأمر إلى الصراع المذكور في الإصحاح الأول من سفر القضاة، بين بني إسرائيل من جهة، وسكان الأرض الأصليين من جهة أخرى.⁽¹⁾ وخلافاً للكنعانيين المستقرين في الأرض كان بنو إسرائيل ما قبل الاستيطان قبائل رعوية متنقلة أو نصف قبلية تبحث عن الأرض، توغلوا انسجاماً مع حركتهم الطبيعية في الهجرة تدريجياً في المناطق الجبلية الكنعانية قليلة السكان⁽²⁾، كانت تلك المجموعات القبلية تهاجر سنوياً، متنقلة بين المراعي الشتوية في سهوب شرق فلسطين، والمراعي الصيفية في تلالها الوسطى⁽³⁾. وإذا أخذنا بوجهة نظر فنكلشتاين القائلة بأن المرتفعات الوسطى لفلسطين (أفرايم ومنسي) قد انتعشت بالمستوطنات الجديدة مع بداية العصر الحديدي الأول، فإننا نضطر لقبول فكرة الأصول الرعوية لا الزراعية لهذه المستوطنات وهو ما تؤيده المصادر النقوشية المصرية في العصر البرونزي المتأخر حول وجود مجموعات كبيرة من الرعاة وقطاع الطرق⁽⁴⁾.

الاستنتاج الضمني لهذه النظرية، أن تسَلَّ بني إسرائيل في كنعان لم يكن عملاً من أعمال السلب، ولكن كان استيلاءً على أرضٍ خالية من السكان ؛ وأن صراع الشعوب الكنعانية مع قبائل بني إسرائيل إنما كان في فترات لاحقة شهدت توسعاً إقليمياً لتلك القبائل، كما أن هذا التسلل السلمي لم يكن بين عشية وضحاها بل استمر لأزمنة طويلة وفي فترات

(1) إسرائيل فنكلشتاين، نيل إشير سلبيرمان، المرجع السابق، ص 391.

(2) الأب مايكل برير، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني، ت، أحمد الجمل، ط2، قدمس للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2004، ص325.

(3) هشام أبو حاكمة، المرجع السابق، ص87.

(4) خزعل الماجدي، تاريخ القدس القديم منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الإحتلال الروماني، ط1، المؤسسة العربية للنشر، لبنان، 2005، ص167.

متفاوتة دون أن يغيّر من الواقع السكاني للمنطقة، بحيث استطاع علماء الآثار، أن يثبتوا ذلك من خلال استمرار الموروث الحضاري الكنعاني الصرف، في كل أطواره وبشكل مستمر، إذ اندمجت العناصر الوافدة⁽¹⁾ وذابت مع كل ما حملته معها من ثقافات وتقاليد⁽²⁾، وقد أشارت نصوص أسفارهم إلى ذلك ففسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحيويين واليبوسيين واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنينهم وعبدوا آلهتهم⁽³⁾ ولعل هذا ما ذهب إليه عالمة الآثار (كينيون) عندما قالت: " لا نستطيع تلمّس أي أثر للمعتقد التوراتي خلال الفترة المفترضة لتوطن العبرانيين في المناطق الهضبية الفلسطينية (1000-1200) ق.م فالنصوص الكتابية مفقودة تماما، وكذلك الشواهد الأركيولوجية، فهل يعقل أن شعبا كثير العدد قد حلّ في الهضاب الفلسطينية مدة قرنين من الزمن وبنى لنفسه مملكة دامت قرابة القرن وضمت معظم المناطق الفلسطينية لم يترك لنا أثرا واحدا يدل على ثقافته الدينية؟"⁽⁴⁾ وتضيف في موضع آخر مفندة المقولة التوراتية لمرحلة يوشع التوراتية دون أن تكون حاسمة في تفنيد الإدعاء التوراتي بشكل جلي، " إن إحدى الصعوبات الرئيسية في تحديد توقيت دقيق لدخول الإسرائيليين إلى فلسطين هي عدم وجود أي إشارة أثرية تسمح لنا بالقول بأن هناك برهانا ماديا عن وصول شعب جديد"⁽⁵⁾.

(1) ليلي حسن سعد الدين، المرجع السابق، ص33.

(2) فراس سواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص201.

(3) سفر القضاة3، فقرة 1-7.

(4) فراس سواح، تاريخ اورشليم والبحث عن مملكة اليهود، المرجع السابق، ص84.

(5) إسماعيل ناصر الصمادي، المرجع السابق، ص318.

أما الباحث بيار روسي⁽¹⁾ فيقول: "إنّ علينا أن نعرف قبل كل شيء أن التاريخ المصنوع للعبرانيين خارج النصوص التوراتية، هو الصمت الكلي المطبق فلا العمارة ولا الكتابات النقوشية على الآثار، ولا القوانين والدساتير تكشف أثراً للعبرانيين"⁽²⁾.

ويقول المؤرخ اليهودي (إيدن) " لقد اختلقت الدراسات التوراتية كيان إسرائيل، في الوقت الذي تجاهلت التاريخ الفلسطيني بشكله المتكامل"⁽³⁾.

في المقابل يقر المؤرخ الانجليزي جيفرز بأن الكنعانيين قد استوطنوا فلسطين منذ عصور ما قبل التاريخ، وكنعانيو فلسطين والساحل السوري كانوا في الأساس إحدى الموجات التي تدفقت من الصحراء العربية، إن امتلاك الكنعانيين والفلسطينيين لهذه الأرض قد بدأ منذ خمسة آلاف سنة خلت"⁽⁴⁾.

يبدو أن "آلت" بنظريته هذه، قد قلب موازين التراث الديني اليهودي رأساً على عقب، حيث نظر إلى الاستيلاء على مدن كنعان، على أنه الحلقة الأخيرة في مسيرة متواصلة من التسلل السلمي لبني إسرائيل إلى حدود الأرض، معتبراً ذلك بأنه حالة عادية وطبيعية لدورات المراعي الموسمية⁽⁵⁾. كما عدّ آلت الخلفية الجغرافية والتاريخية لقصص الآباء الأولين كلها من نسيج الخيال، وأن جذور بني إسرائيل السابقة على الاستيطان كانت خارج فلسطين⁽⁶⁾ وهذا يعني أن عملية غزو كنعان، كانت عملية بطيئة وغير متكاملة، وأنها تمت بواسطة

(1) بيار روسي، كاتب ومؤرخ فرنسي، ولد في جزيرة كورسيكا عام 1920، درّس تاريخ الأدب اليوناني واللاتيني في الجامعات الفرنسية، له العديد من المؤلفات منها ما ترجم إلى اللغة العربية مثل كتاب " مدينة أوزيس أو تاريخ العرب الحقيقي " وكتابه " مفاتيح الحرب " وغيرها. للمزيد أنظر: نزيه الشوفي، المرجع السابق، ص 5.

(2) إسماعيل ناصر الصمادي، المرجع السابق، ص 319.

(3) Aden.C. Review of The Emergence of Early Israel in Historicol. Perspective. By,R.B. Coote and K. W, Whittlam and the Archaeology of The Israelite Settlement,By,I.Finkelstein,American Journal of Archaeology,1989, P292.

(4) ج.م.ن. جفريز، فلسطين إليكم الحقيقة، ج 1، ت، أحمد خليل الحاج، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مصر، 1971، ص 35.

(5) مجيد جاسم، المرجع السابق، ص 161.

(6) الأب مايكل برير، المرجع السابق، ص 325.

أجيال متعاقبة. ولعل ما يؤيد هذه النظرية ما تم اكتشافه في بعض النصوص المصرية القديمة؛ فقد وصفت ورقة بردي يعود تاريخها إلى حدود القرن الثالث عشر ق.م، أن مرتفعات وتلال كنعان كانت منطقة مشجرة وعرة ترتادها مجموعات من البدو الرحل عرفوا باسم الشاسو⁽¹⁾ واسمهم يُوحى بأصلهم لمستوطنات الشاسو في جنوب الضفة الغربية في سهول مؤاب وشمال إيدوم و لبونا جنوبي عمان وسمعات الشمعيون وهي قبيلة من قبائل القينيين - كما ورد في سفر أخبار الأيام الأول⁽²⁾.

وكان الاعتقاد السائد لدى أنصار هذه النظرية أنهم على الأرجح من القبائل الإسرائيلية⁽³⁾، ومنهم من يعتبرهم من الشعوب العربية الكنعانية التي جاءت من الجزيرة العربية وسكنت فلسطين وبلاد الشام منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد واستثمروا تلك المنطقة وعمروها حتى القرن العاشر قبل الميلاد⁽⁴⁾.

حظيت نظرية التسرب السلمي لقبول وتأييد من قبل بعض الأثريين من أمثال العالم الأثري فنكلشتاين الذي انحاز إلى ما دعت إليه هذه النظرية خصوصاً أن منطلقاتها الفكرية قامت على دراسة الواقع الاقتصادي والاجتماعي لبلاد كنعان، وتتلاءم أيضاً مع القصص

(1) " الشاسو " جاء ذكرهم في تاريخ مصر القديم بأنهم قبائل بدوية كنعانية سكنت الصحراء الواقعة جنوب بلاد كنعان منذ الأزل، بالتحديد في بئر سبع والمناطق المحيطة بها؛ ويعود نسلهم إلى العمالة، وجدهم عمليق بن لاود بن سام بن نوح، أطلق عليهم المؤرخون اليونان اسم "الهكسوس" وقد اصطدم المصريون مع القبائل الرحل منذ فترة حكم الفرعون أمنحوتب الثاني (القرن 15 ق.م) وأطلقوا عليهم شاسو وهو اسم يعني رعاة الماشية الرحل أو البدو، وقد جاءوا من شرق الأردن ومن ثم انتشروا في جنوب ووسط كنعان. للمزيد أنظر: دونالد ريدفورد، المرجع السابق، 415، 416؛ زيدان عبد الكافي كفاي، فلسطين بين التوراة والآثار في العصر الحديدي الأول، 1200-1000 ق.م، بحث مقدم للمؤتمر الدولي حول الآثار والسياحة، جامعة النجاح، نابلس في الفترة (10-11/2017)، ص 20.

(2) سفر أخبار الأيام الأول، 2، الآية 55.

(3) إسرائيل فنكلشتاين، المرجع السابق، ص 391.

(4) بركات محمد عبد الغني إمام، حكم هيرودس الكبير على فلسطين (40-04) ق.م، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، فلسطين، 2013، ص 2.

التي يوردها سفر القضاة، التي كانت أكثر تاريخية، كما يقول، من قصص المعارك الملحمية لسفر يشوع⁽¹⁾.

في أوائل الخمسينات من القرن العشرين اعتقد "يوحنان أهاروني، أحد المؤيدين لـ "آلت"، أنه وجد دليلاً قاطعاً في منطقة الجليل، ذات المرتفعات، وذات الأشجار الكثيفة، على أن تلك المنطقة كانت خلال العصر البرونزي المتأخر (550-1150 ق.م) فارغة تقريباً من المستوطنات الكنعانية⁽²⁾، وأنه في فترة العصر الحديدي الأول (1150-900 ق.م)، تم تأسيس أعداد كبيرة من المستوطنات الصغيرة المعزولة؛ حيث ربط "أهاروني" سكان تلك المستوطنات ببني إسرائيل، وتحديداً قبيلتي "نفتالي" و"أشير"، الذين أشارت إليهم المواقع الجغرافية في سفر يشوع⁽³⁾ أنهم استقروا في المناطق الجبلية للجليل؛ ويُفهم من ذلك، أن بني إسرائيل قد استوطنوا فقط في الجزء الجبلي من أرض كنعان، في أماكن لم يكن فيها إلاّ مستوطنات صغيرة، أما الوديان الخصبة والمدن الكبيرة فقد بقى فيها الكنعانيون، الذين لم يستطع بنو إسرائيل من محاربتهم كونهم مسلحين بالعجلات الحديدية. وهذا ما نقرأه في نصوص التوراة، في كل من سفر يشوع وسفر القضاة

{ لَا يَكْفِينَا الْجَبَلُ. وَلِجَمِيعِ الْكَنْعَانِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي أَرْضِ الْوَادِي مَرْكَبَاتُ حَدِيدٍ. لِلَّذِينَ فِي بَيْتِ شَانَ وَقُرَاهَا، وَلِلَّذِينَ فِي وَادِي يَزْرَعِيلَ }

{فَكَلَّمَ يَشُوعُ بَيْتَ يَوْسُفَ، أَفْرَايِمَ وَمَنْسَى، قَائِلًا: «أَنْتَ شَعْبٌ عَظِيمٌ وَلَكَ قُوَّةٌ عَظِيمَةٌ، لَا تَكُونُ لَكَ قُرْعَةٌ وَاحِدَةٌ».

(1) إسرائيل فنكلشتاين، المرجع السابق، ص 391.

(2) مجيد جاسم، المرجع السابق، ص 163؛ أحمد أرحيم هبو، معالم حضارة الساميين وتاريخهم في سوريا وبلاد الرافدين، ط1، دار القلم العربي، سوريا، 2003، ص 173.

(3) سفر يشوع، 19، 20.

{بَلْ يَكُونُ لَكَ الْجَبَلُ لَأَنَّهُ وَعَرْ، فَتَقَطَّعُهُ وَتَكُونُ لَكَ مَخَارِجُهُ. فَتَطْرُدُ الْكَنْعَانِيِّينَ لِأَنَّ لَهُمْ مَرْكَبَاتٍ حَدِيدٍ لِأَنَّهُمْ أَشَدَّاءُ}{(1)}.

{فَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ، لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ تِسْعُ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَهُوَ ضَائِقٌ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِشِدَّةٍ، عِشْرِينَ سَنَةً}{(2)}.

الأمر الذي أجبر بني إسرائيل إلى الاستيطان بجوارهم دون أية حروب. وهذه كانت عملية استيطان نموذجية لأشباه الرّحل من القبائل البدوية في بلاد متحضرة.

نظرية ثورة الفلاحين: صاحب هذه النظرية هو جورج مين دينهول (George.Mendenhall) وتقوم هذه النظرية على رؤية سوسيولوجية قائمة على مبدأ الصراع بين أهل البداوة وأهل المدينة، حيث رفض رفضاً مطلقاً ما جاءت به نظرية الغزو العسكري (لألبريت) ونظرية التسرب السلمي لآلت، فالأغلبية الساحقة للإسرائيليين، كانت في نظره مجموعات محلية رفضت الأنظمة الاجتماعية والسياسية لکنعان، في العصر البرونزي المتأخر⁽³⁾، حيث يعتقد أنه لم يكن هناك غزو لفلسطين بأعداد هائلة، إذ الذي حصل ما هو إلا ثورة فلاحين ضد شبكة مترابطة من دول المدينة الكنعانية⁽⁴⁾، ضد أوضاعهم المعيشية خلال نهاية العصر البرونزي المتأخر (حوالي 1200 قبل الميلاد)، ويقول في هذا السياق: " ليس هناك غزو لفلسطين بأعداد لها أهمية إحصائية في بداية نظام القبائل الإثنى عشرة في إسرائيل، ولم يكن هناك ترحيل جذري للسكان، بل كان هناك فقط استبدال ضروري للحكام المحليين التابعين للملوك باسم الملوك. ومجمل القول أنه لم يكن أي غزو حقيقي لفلسطين، بل إن الذي حصل بدلاً من ذلك يمكن أن نسمي من وجهة نظر

(1) سفر يوشع 17، الآية 16، 18.

(2) سفر القضاة 4، فقرة 3؛ أنظر كذلك سفر لقضاة 4، فقرة 13، وسفر القضاة 1، فقرة 19.

(3) كيث ويتلام، اختلاق إسرائيل القديمة، المرجع السابق، ص 154.

(4) إسرائيل فنكشتاين، نيل إشير سلبيرمان، المرجع السابق، ص 395.

المؤرخ العلماني المهتم فقط بالعملية السياسية الاجتماعية ثورة فلاحين ضد شبكة مترابطة من دول المدينة الكنعانية⁽¹⁾. وتقوم هذه النظرية على ثلاث فرضيات:

أ/ أن إسرائيل لم تنشأ كعنصر متميز عرقياً خارج حدود كنعان، بل هي جزء من النسيج الاجتماعي للمنطقة ككل، وأن الإسرائيليين ليسوا رعاة متسللين بل هم كيان بشري مستقر انتقل من مرحلة الرعي والتنقل، إلى مرحلة امتهان الزراعة، حيث خلق هوية سياسية هي "إسرائيل"⁽²⁾..

ب/ إن الإسرائيليين لم يكونوا رعاة متنقلين غير مستقرين ولم يتسللوا خفية إلى بلاد كنعان.

ج/ تشكيل كيان إسرائيل جاء بسبب جور وظلم النظام السياسي (نظام دولة المدينة) ومساوئ النظام الاقتصادي والاجتماعي، القائم على أسس طبقية إذ ذاك في المدن الكنعانية. وتبعاً لاعتقاد "ميندنهول"، كان "العبيرو" الذين اعتبرهم من جماعة بني إسرائيل، خارج هذا المخطط الطبقي، رغم أنهم كانوا يقيمون في تلك الأرض وقد انسحبوا من النظام الحضري الريفي من أجل العمل كمرتزقة، لمن يقدم لهم أجراً أعلى⁽³⁾، وحول ظهور الإسرائيليين إلى الساحة بأرض كنعان ينفي حدوث أي هجوم شامل على أرض كنعان من قبل الإسرائيليين أدى إلى طرد أصحاب الأرض، وحدث تغيير ديموغرافي كلي فيها، ويجادل بأن ما حدث لم يخرج عن كونه ثورة للفلاحين في المدن ضد أوضاعهم المعيشية خلال نهاية العصر البرونزي المتأخر (حوالي 1200 قبل الميلاد). ومن المعلوم أن المدن الكنعانية كانت خلال هذه المرحلة في صراع دائم فيما بينها، بشهادة رسائل تل العمارنة، مما أدى إلى تراجع الطبقة الاجتماعية الدنيا. أدت هذه الصراعات إلى تدهور الأحوال المعيشية،

(1) هشام أبو حاكم، المرجع السابق، ص 92.

(2) دونالد ريدفورد، المرجع السابق، ص 402.

(3) مجيد جاسم محمد أحمد، المرجع السابق، ص 154، 155.

فتوحدت من بينها مجموعة من القبائل، لكن ليس على أساس عرقي، بل ربط بينها دين واحد جديد، هو عبادة الإله "يهوه"⁽¹⁾، هذا المعتقد الجديد ساهم بشكل أو بآخر في الدعوة للمساواة وتحقيق العدالة ونبذ الاستغلال، مما زاد من التقاف الناس حول العقيدة الجديدة، وبداية تراجع سلطة نظام دولة المدينة في المدن الكنعانية الذي تميز نظامها الديني، بتعدد الآلهة التي لم تحقق مبدأ الاستقرار الروحي.

على الرغم مما حازته هذه النظرية من اهتمام الباحثين، إلا أنها لم تعط الدليل الكاف على ما قدمه أنصارها من فرضيات؛ إذ لا يوجد ما يثبت أو ينفي أن اتحاد قبائل بني إسرائيل، كان على أرض كنعان في تلك الفترة التي شهدت دخولهم الأرض، وليس هناك ما يبرهن على أن المكونات الرئيسة لذلك الاتحاد (أي القبائل الإسرائيلية)، كانت قائمة باستمرار على أرض كنعان، إذ أن كل ما يمكن معرفته على نحو يقيني يتلخص، بأنه في وقت ما، خلال الربع الرابع من القرن الثالث عشر ق.م، عرفت مصر جماعة تسمى "إسرائيل"، كانت تحتل جزءاً من أرض كنعان.

ولعل الرأي القائل، بأن اقتصاد بني إسرائيل كان قائماً على الزراعة عوضاً عن الرعي، يُعد في رأي معظم الباحثين رأي زائف؛ فقد سبق أن ذكرنا في حدود هذه الدراسة، أن نشاط بني إسرائيل عبر تاريخهم الطويل، كان يقوم بصفة أساسية على الرعي، إذ كانوا بدواً يعيشون على الترحال، لكن ما أن دخلوا أرض كنعان في هذه الحقبة من تاريخهم حتى دخلوا في طور التحول إلى حياة الاستقرار.

من خلال مختلف النظريات التي سبق التطرق لها حول موضوع خروج بني إسرائيل من مصر واستقرارهم مؤقتاً في صحراء سيناء، ودخولهم أرض كنعان ومن خلال التباين المفصوح في نصوص أسفار بني إسرائيل خاصة ما ورد في كل من سفر يوشع وسفر

(1) زيدان عبد الكافي كفاقي، المرجع السابق، ص 28.

القضاة حول أحداث الخروج، واستقرار بني إسرائيل في أرض كنعان، والتي اقل ما يقال عنها، أنها ما هي إلا عبارة عن قصص أسطورية وجدت منذ أقدم العصور في المنطقة تناولتها أيدي بارعة مغرضة، صاغتها بالشكل المناسب لأغراضها ومن ثم أخرجتها وكأنها وقائع ثابتة. ومن هنا يمكن أن نخلص إلى ما يلي:

1- إن الجماعة المهاجرة من مصر إلى أرض كنعان، لم تكن كما حاول محررو العهد القديم أن يظهروها، بأنها من نسل رجل واحد، وإنما كانت تضم بالحقيقة مجاميع أخرى من الفارين، الذين نُسبوا إلى بني إسرائيل.

2- إن علاقة بني إسرائيل بأرض كنعان أيام يشوع والقضاة، لم تتعد قيامهم بعمليات احتلال لبعض أجزائها، وتمكنهم من العيش وسط شعوبها على هيئة قبائل متفرقة⁽¹⁾؛ بما يعني، أنه لم يكن هناك "احتلال" بالمعنى الواسع الذي تحمله هذه الكلمة، إذ لم يستطع بنو إسرائيل في أي دور من أدوارهم، من أن يفرضوا سيطرتهم على جميع بلاد كنعان، حيث بقيت كثير من المدن، بحسب العهد القديم نفسه، في يد سكانها الأصليين.

3- إن تقايم الأوضاع في بلاد الشرق القديم في مستهل القرن الثاني عشر قبل الميلاد، خصوص بقدوم قبائل شعوب البحر وانتشار الفوضى في مصر خاصة بعد وفاة رمسيس الثاني، مما أجبر السلطات المصرية⁽²⁾ على التضييق على قبائل العبرانيين التي وجدت في أرض سيناء مستقرا مؤقتا لهم للتحضير لدخول بلاد كنعان⁽³⁾.

4- إن أرض كنعان كان يسكنها العديد من الشعوب التي استقرت قبل مجيء بني إسرائيل إليها من مصر، وقد ظهرت قوة وسطوة وسيطرة بعض تلك الشعوب على بني

(1) إبراهيم فؤاد عباس، الآثار الفلسطينية إثبات لعروبة فلسطين تاريخا وجغرافيا وحضارة، ط1، مؤسسة الدار للنشر والتوزيع، غزة، فلسطين، 2016، ص46.

(2) سليمان ناجي، اليهود عبر التاريخ، ط1، دارقنينة، 2007، ص68.

(3) مجيد جاسم احمد محمد، المرجع السابق، ص177.

إسرائيل بصورة جلية في ثانيا العهد القديم، ومن هذه الشعوب كان "الفلسطينيون" بصورة خاصة.

5- إن بني إسرائيل تأثروا كثيراً بشعوب أرض كنعان، وخاصة الكنعانيون، إذ لم يستطع هؤلاء البدو من مقاومة، مقومات الحضارة الكنعانية الموهلة في القدم، ولا مقاومة الوقوع تحت تأثيرها على كافة المستويات: الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية.

منذ بداية العصر البرونزي الأخير (1200-1500) كان الإهتمام المصري بمنطقة الشرق القديم بالغ الأهمية، وقد تميز هذا العصر بالسيطرة المصرية الكاملة على فلسطين، وذلك كون أن فلسطين تعد من المناطق الحيوية لأمن مصر من جهة الشرق، وللحفاظ على تأمين الطرق التجارية التي تربط مصر بأقاليم الشرق القديم، التي كانت تغدق على مصر بما جادت به اراضيها من منتوجات متنوعة، من الحبوب والزيوت والعطور والأخشاب والنحاس والأحجار الكريمة والتحف وبعض أنواع الأسلحة⁽¹⁾ لهذا قام ملوك الفراعنة بغزو فلسطين عدة مرات، ووصلوا إلى شمالي سوريا، ولعل معركة مجدو (تل المتسلم) من أعظم المعارك التي التحم فيها الجيش المصري مع جيوش تحالف المدن الكنعانية والمدن السورية في عهد تحتمس الثالث (1447-1501)، والتي كانت فيها الغلبة للجيش المصري، وبعد هذا الانتصار استطاع تحتمس الثالث السيطرة على معظم المناطق الساحلية الفلسطينية. كما كانت حملته على مجدو فاتحة لحملات أخرى بلغ عددها ستة عشر حملة رسخ فيها النفوذ المصري في سوريا، كما شعر الحوريون والحيثيون بالحاجة لصداقة مصر لا لمعاداتها، ووجد تحتمس الثالث بعد هذه الحروب أن الحاجة باتت ضرورية لإنشاء حصن

(1) هشام أبو حاكمة، المرجع السابق، ص25.

(حصن طيبة) وذلك قصد تربية أمراء فلسطين والشام منذ طفولتهم على الولاء لمصر حتى يكونوا حكام المستقبل، وربما كان (عبدى حيبا) حاكم القدس في عهد إخناتون أحد هؤلاء.⁽¹⁾

بعد وفاة تحتمس الثالث، تولى حكم مصر من بعده أمنحوتب الثاني (1420-1448) ق.م حيث قام بثلاث حملات على بلدان آسيا، كانت آخرها خاصة بأرض كنعان، ومن بعده جاء تحتمس الرابع (1411-1420) ق.م وكان يلقب بفاتح أرض خارو وهو الاسم الشائع لفلسطين عند الفراعنة، ويعتبر تحتمس الرابع آخر الفراعنة في هذه الفترة الذين قادوا حملات عسكرية إلى أرض فلسطين، وقد حكم من بعده ملوكا كان أكثرهم يكتفي بإدارة أرض كنعان عن بعد، وبقي الأمر كذلك حتى نهاية حكم الفرعون مرنفتاح (1215-1225) ق.م، أخذت بعده السيطرة المصرية على أرض كنعان في الاضمحلال لمدة قرن من الزمان تقريبا، حيث ظهرت في هذه الفترة القوة الآشورية كقوة صاعدة تفرض سيطرتها على المنطقة.⁽²⁾

(1) خزعل الماجدي، تاريخ القدس القديم منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الإحتلال الروماني، المرجع السابق، ص25.

(2) المرجع نفسه، ص25.

الفصل الثاني:

قيام الملكية الإسرائيلية
وبداية التأسيس للكيان
الإسرائيلي

1- المملكة اليهودية الموحدة:

توفي يوشع بن نون عليه السلام في حدود عام 1157 ق.م، بعد أن قاد بني إسرائيل إلى أرض المقدس، وبوفاته فقد أسباط بني إسرائيل زمام القيادة الحكيمة، وتفرق شملهم، وسادت الفوضى بينهم في أرض كنعان، وتخلوا عن ديانة التوحيد وانغمسوا في الوثنيات⁽¹⁾، متأثرين بعبادات الكنعانيين وطقوسهم الدينية، كما ورد في سفر القضاة: "وَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنَي الرَّبِّ، وَعَبَدُوا الْبُعْلِيمَ وَالْعَشْتَارُوثَ وَالْإِلَهَةَ أَرَامَ وَالْإِلَهَةَ صِيدُونَ وَالْإِلَهَةَ مُوَابَ وَالْإِلَهَةَ بَنِي عَمُّونَ وَالْإِلَهَةَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَتَرَكُوا الرَّبَّ وَلَمْ يَعْبُدُوهُ."⁽²⁾، يقول الله عز وجل في محكم آياته: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.⁽³⁾

تولى قيادة اليهود بعد يوشع زعماء عرفوا "بالقضاة"⁽⁴⁾ وعرف عصرهم بـ"عصر القضاة"⁽⁵⁾، وكانت سلطة القضاة تستمد شرعيتها من رضى ربهم "يهوى"⁽⁶⁾ عنهم وتأيده لهم، لذا سميت فترتهم بفترة الرضا الرباني⁽⁷⁾ { وأقام الرب قضاة فخلصوهم من أيدي ناهبيهم }⁽⁸⁾ وقد بلغ عددهم أربعة عشرة قاضيا، كان أولهم القاضي "عنتائيل" أما آخرهم فكان القاضي "صموئيل"، كما كان منهم النساء مثل القاضية "دبورة"، امتد حكمهم قرابة القرن ونصف

(1) محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص149.

(2) سفر قضاة، 6/10.

(3) سورة الأعراف، الآية 169.

(4) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج2، المرجع السابق، ص330.

(5) سعد المرصفي، أسطورة الوطن اليهودي، ط1، مكتبة المنار الإسلامية، 1992، ص88.

(6) يهو: هو اسم إله اليهود القبلي الذي هو تطور طبيعي وبطيء في مرحلة تعدد الآلهة التي مر بها اليهود شأنهم شأن القبائل البدائية، وقد يكون هذا التطور إلى تلك الحرب الشعواء التي شنها "يهوه" من خلال التوراة على غيره من الآلهة التي بقيت آثارها عالقة في أذهان اليهود المتعديدي الآلهة بالبطرة. للمزيد أنظر: محمد حسن الحداد، المرجع السابق، ص119.

(7) سبتيانو موسكاتي، المرجع السابق، ص141.

(8) سفر القضاة الإصحاح2، فقرة 16.

القرن تقريبا⁽¹⁾، وإن كان سفر القضاة يحدد هذه الفترة بنحو أربع مائة سنة⁽²⁾ تقريبا، وهو رقم مبالغ فيه في اعتقادنا، وكان هؤلاء القضاة ممن اختارهم الرب (يهوى) ليكونوا بمثابة الأنبياء والمصلحين لبني إسرائيل، وقادته السياسيين والعسكريين فضلا على أنهم أبطاله في الحروب التي يخوضونها مع أعدائهم⁽³⁾، -كما تدّعيه التوراة- إذ لما شعر اليهود بالخطر الذي يهددهم عمدوا إلى توحيد قيادتهم⁽⁴⁾ في كل منطقة من المناطق التي وضعوا عليها أيديهم؛ وذلك قصد التصدي لأعدائهم⁽⁵⁾، وعلى الرغم من محاولاتهم إصلاح قومهم، فقد ساد عصرهم الذي دام حوالي 150 سنة، الفوضى والنكبات والخلافات والانحلال الخلقي والديني بين بني إسرائيل⁽⁶⁾، ونقرأ في سفر صموئيل الأول من الإصحاح الثامن الجور والفساد الذي وصل إليه حال بني إسرائيل في فترة حكم القضاة⁽⁷⁾ من انتشار للرشوة وتعاطيتها والابتعاد عن تعاليم معتقداتهم الدينية، " ولما شاخ صموئيل جعل ابنه قضاة لبني إسرائيل، ولكنهما لم يسلكا طريقه، وما لا وراء الكسب، واخذ الرشوة، وعوجا القضاء، فاجتمع شيوخ بني إسرائيل، وجاءوا إلى صموئيل وقالوا له: أنت شخت، وابناك لم يسيرا في طريقك، فالآن اجعل لنا ملكا كسائر الشعوب، فصلى صموئيل إلى الرب، فقال له الرب: اسمع لصوتهم، أنهم لم يرفضوك أنت، ولكنهم رفضوني أنا، إنهم تركوني وعبدوا آلهة أخرى، فاسمع لصوتهم، ولكن اشهد عليهم. قال صموئيل لبني إسرائيل: إن الملك الذي سيملك عليكم سيأخذ بينكم ويجعلهم لنفسه، لمراكبه وفرسانه فيركضون أمام مراكبه، ويحراثون له ويحصدون، ويأخذون بناتكم

(1) مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج1، المرجع السابق، ص555؛ أحمد عيسى الأحمد، داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم، دراسة لغوية تاريخية مقارنة، أطروحة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1990، ص40.

(2) محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص148.

(3) عصام موسى قنبي، نقاط على الحروف موطن اليهود القدماء والمعاصرون، ط1، دار العوام للطباعة والنشر، سوريا، دمشق، 2009، ص18.

(4) عمر الالح البرغوثي و خليل طوطح، تاريخ فلسطين، دط، مكتبة الثقافة الدينية، الاسكندرية، مصر، دت، ص31.

(5) ربيع عبد الرؤوف الزواوي، المرجع السابق، ص41.

(6) أحمد شلبي مقارنة الأديان -اليهودية-، ط2، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1967، ص93.

(7) اختلف في عدد القضاة(الشوفطيم) - كما ورد في نصوص أسفار العهد القديم- الذين حكموا بني إسرائيل، عددهم سبعة عشر وقيل ستة عشر وقيل خمسة عشر، وربما يعود سبب الخلاف في عدد قضاة بني إسرائيل ربما إلى أنه ربما حكم في وقت واحد أكثر من قاض واحد في بني إسرائيل، وهم: (عثنيل بن قاز) من سبط يهوذا، (يهود بن جبر) من سبط ينيامين، (شجر بن عبا)، (دبورة) من سبط أفرايم، ومعها بارق بن أبينوعم، (جدعون بن يواش الأبيعزي) من سبط منسي بن يوسف، ... وغيرهم. للمزيد أنظر: سفر القضاة(1-21)؛ سفر صموئيل الأول(1-8).

عطارات وطباخات، وخبازات وأخذوا حقولكم وكرومكم وزيتونكم وأخذ جواريكم وشبانكم الحسان وحميركم.. فأبأ الشعب أن يسمع صموئيل، وقالوا: لا بأن يكون علينا ملك، مثل سائر الشعوب يخرج أماننا ويحارب حروبنا⁽¹⁾.

خلال عصر القضاة اختلط بنو إسرائيل بالكنعانيين وبدأوا يثبتون أقدامهم في البلاد عن طريق الاختلاط بالسكان الأصليين بالمصاهرة⁽²⁾، كما عبدوا آلهتهم وتكلموا لغتهم التي سمّتها التوراة "شفة كنعان" أي لسان كنعان، كما تقمص بنو إسرائيل العديد من المظاهر العامة الدينية والاجتماعية للكنعانيين، فتعلموا أساليب حياة الاستقرار إذ امتنوا الزراعة وأساليبها، وانتقلوا من سكنى الخيام إلى بناء المساكن العصرية على غرار ما ألفه الكنعانيون إذ ذاك، وقد استوطن بنو إسرائيل في تلك الفترة في الأراضي المرتفعة المحيطة بالقدس وفي السهول الشمالية في فلسطين، وتعترف التوراة بقوة الكنعانيين والفلسطينيين الذين ألحقوا الهزائم المتوالية بالإسرائيليين قبيل وخلال عهد حكم القضاة⁽³⁾، فهذا "كوشاي روثايم" ملك آرام النهرين، هزمهم في العديد من المواقع، كما هزمهم العمونيون والعمالقة، الذين استولوا على مدينة النخيل (أريحا)⁽⁴⁾، فعلى النقيض من ذلك يذهب العديد من المؤرخين اليهود عندما يتطرقون إلى موضوع الكنعانيين، وموضوع غزو بني إسرائيل، يدّعون بأن بني إسرائيل أبادوا الشعب الكنعاني، ربما هذا الاعتقاد هو الذي كان سائداً عند المؤرخين المتأثرين أكثر بروايات سفر يوشع، من أمثال المؤرخ اليهودي "هانس كوهين"، وهو من الفئة التي تفرض طروحاتها على المكتشفات الأثرية وتستمد معلوماتها وتطرح فرضياتها من السجلات التوراتية دون تمحيص أو تدقيق⁽⁵⁾.

(1) سفر صموئيل الأول، الأصحاح 8، الآية 1-22.

(2) محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص 571.

(3) محمد بن علي بن محمد آل عمر، المرجع السابق، ص 36.

(4) سفر القضاة 3، فقرة 13.

(5) Peter.James, Centuries of Darkness, A Challenge to the Conventional Chronology of Old World Archaeology, published by Jonathan Cape, London, 1991, P161; Barnavi, Elie, Histoire universelle des juifs: de la genèse au XXe siècle, Edit, Hachette Littératures, Paris, 2002, P P, 14, 15.

2- طالوت (شأول)⁽¹⁾ أول ملوك بني إسرائيل:

يقول الله عز وجل في معرض طلب بني إسرائيل نبيهم صموئيل لأن يجعل لهم ملكا يتولى عليهم الملك ويقودهم في المعارك، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾⁽²⁾.

﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت⁽³⁾ ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله قد اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾⁽⁴⁾.

وبين لهم النبي - الذي لم يذكر اسمه في القرآن الكريم - أن الله قد جعل لملكه علامة ظاهرة، وهي استرجاع تابوت العهد والآثار التي كانت عندهم من قبل موسى عليه السلام؛ حتى يكون في ذلك مزيد تصديق وإقناع لهم لملكه عليهم، فحملت الملائكة التابوت وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون إليهم، بعد أن أخذت منهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽⁵⁾.

لقد كانت رغبة بني إسرائيل أشد إلحاحا من أي وقت مضى في أن يسايروا تقاليد الشعوب التي اختلطوا بها⁽⁶⁾ من خلال إقامة نظام سياسي موحد يجمع شتات قبائلهم

(1) ياسين سويد، المرجع السابق، ص 209.

(2) سورة البقرة، الآية 246.

(3) يسميه العهد القديم (شأول)، أنظر: اسمه وقصة اختياره ملكا على بني إسرائيل في الإصحاح التاسع والعاشر من سفر صموئيل الأول.

(4) سورة البقرة، الآية 247.

(5) سورة البقرة، الآية 248.

(6) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج 2، ط 1، دار الوراق للنشر، بغداد، 2011، ص 324.

المتفرقة، ويؤلف بينهم ويعينهم في مواجهة القوى المتربصة بهم من الفلسطينيين والمؤابيين والعمونيين والاراميين، فضلا عن الحالة المتردية التي وصل إليها بنو إسرائيل في عهد حكم القضاة، وبالتالي فالدعوة إلى ضرورة التخلص من النظام القبلي العشائري جاءت في شكل طلب أصبح بالطابع الديني وفق ما ورد في سفر التثنية؛ ولعل هو ذات الطلب الذي ورد معنا في نصوص القرآن الكريم كما سبق ذكره، عندما طلب بنو إسرائيل أن يكون لهم ملك⁽¹⁾ مثل الأقوام التي هي من حولهم، " متى أتيت إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك وامتلكتها وسكنت فيها، فإن قلت اجعل عليّ ملكا كجميع الأمم الذين حولي، فإنك تجعل عليك ملكا، الذي يختاره الرب إلهك، من وسط إخوتك تجعل عليك ملكا، لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا ليس هو أخاك"⁽²⁾، وفي نص آخر نقراً "لا بل يكون علينا ملك فنكون نحن أيضا مثل سائر الشعوب، ويقضى لنا ملكنا، ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا"⁽³⁾ وبالتالي فالاعتقاد السائد عند بني إسرائيل هو أن الرب يهو هو من دعا بني إسرائيل إلى تبني النظام الملكي، فالملكية هي هبة من يهو⁽⁴⁾ وهي بداية تشكل الأمة الإسرائيلية، حيث أخذت صفات قومية واضحة.

فكرة الملكية عند بني إسرائيل لم تأت من مصادر خارجية فحسب، وإنما تشكلت هذه الفكرة بالتدريج على أسس مُقتبسة من جيرانهم ومن الدول المجاورة لهم؛ غير أنها اختلفت نوعاً ما في ناحيتين: فالتنظيم القبلي بقي لأغراض إدارية من جهة، كما أن الملك كان عليه أن يحكم وفق أوامر يهوه إله بني إسرائيل، يضاف إلى ذلك اختلاط الموسويين أتباع موسى عليه السلام خلال عصر القضاة بالكنعانيين فعرفوا منهم الملكية، مما حملهم إلى النظر في فوائد الحكومة الملكية، ولعل ما شاهدوه من أبهة الملك في الشعوب المحيطة بهم دفعهم

(1) ابن العبري (غريغوريوس المالطي)، تاريخ مختصر الدول، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1958، ص 44.

(2) سفر التثنية 17، فقرة 14-15.

(3) سفر الملوك الأول، الإصحاح 8، فقرة 19-20.

(4) بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص 603.

للإقْداء بهم، فجمعوا كلمتهم ونصبوا عليهم ملكاً، وبذلك تحولت المحالفة الضعيفة بين القبائل إلى مملكة إسرائيلية، وكانت فترة الملكية الفترة الفاصلة في تاريخ بني إسرائيل مع أنها لم تقم على أساس ثابت، فلم يستطع ملوكها العظام أمثال داود وسليمان القضاء تماماً على عوامل الهدم داخل مملكتهم.⁽¹⁾

أذعن صموئيل لبني إسرائيل في طلبهم لكي لا يثير عوامل التنافس بين أسباطهم، فاختار لهم ملكاً من أصغر أسباطهم⁽²⁾ وهو سبط بنيامين، وكان ذلك الملك هو طالوت (شاول) بن قيس بن أفيل بن صادق بن تحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل⁽³⁾، الذي مسح ملكاً في نحو عام 1095 ق.م⁽⁴⁾، ولقد أتاه الله سبحانه وتعالى جمالاً في الخلق والأخلاق⁽⁵⁾، وكان رجلاً تقياً حكيماً عادلاً⁽⁶⁾، ولم يكن لبني إسرائيل قبل ذلك ملوكاً بل حكام وقضاة⁽⁷⁾، ووافقت أسباط بني إسرائيل على هذا الاختيار⁽⁸⁾، إلا ما كان من أمر (بني بليعال) الذين رفضوا هذا الاختيار ولم يستسيغوه وقالوا: "كيف يخلصنا هذا فاحتقروه، ولم يقدموا له هدية فكان كأصم"⁽⁹⁾، كما أنه ليس بصاحب سلطة ولا من الملاء الأعلى ولا هو من الأسر المتنفذة، ولا هو صاحب جاه ولا سلطان⁽¹⁰⁾.

(1) فليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان، ج1، المرجع السابق، ص 202.

(2) يوسف الدبس، الموجز في تاريخ سوريا، دط، مؤسسة هنداوي سي أي سي، القاهرة، مصر، 2017، ص 62.

(3) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي)، أخبار الزمان، ط1، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، 1938، ص 67.

(4) زكي شنودة، المجتمع اليهودي، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، دت، ص 422.

(5) محمد الطيب النجار، تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن والسنة النبوية، دط، دار الاعتصام، القاهرة، دت، ص 242.

(6) مي حسن المدهون، داود وسليمان عليهما السلام في الأسفار اليهودية عرض ونقد، رسالة ماجستير في العقيدة، ج1، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، 2000، ص 162.

(7) أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، دط، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914، ص 159.

(8) محمد بن بسطام الخوشابي، المرجع السابق، ص 179.

(9) سفر صموئيل الأول، الإصحاح 10، الآية 27.

(10) شرين لبيب خورشيد، داود عليه السلام في القرآن الكريم والعهد القديم (التوراة) دراسة مقارنة، كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت، لبنان، 2009، ص ص 21، 22.

خلال حكم طالوت شأول قاد بني إسرائيل إلى العديد من المعارك ضد الشعوب الوثنية المعادية له وكان من أبرزها، حربه ضد العمونيين نتيجة الحصار الذي فرضه الملك نحاش ملك العمونيين على يابيش إحدى مدن جلعاد⁽¹⁾ وكان سكانها من سبط منسي انتهت هذه المعركة بانتصار طالوت على نحاش الذي قتل في المعركة وتشتت شمل جنوده.⁽²⁾

لقد كان انتصار طالوت على العمونيين ذا أثر مهم كونه أعطى الثقة في نفوس أنصاره لمواصلة مقارعة الأعداء، وربما كانت حربه ضد الفلسطينيين من أعظم وأشد الحروب كونها دارت بين طرف وهم الفلسطينيون العماليق أصحاب بأس وسطوة، وأكثر عدة وعتاد ويعزز قوتهم؛ استثنائهم بصناعة الأسلحة الحديدية حيث عرفوا حرفة صهر الحديد إذ تعدد مجالات استخداماته، على عكس بني إسرائيل الذين لم يكونوا ليتفوقوا على الفلسطينيين في هذه الصناعة، وهكذا وجد بنو إسرائيل أنفسهم عندما حان وقت القتال بلا سلاح حيث "لم يوجد سيف ولا رمح في يد كل الشعب" كما ذهبت إليه نصوص العهد القديم⁽³⁾، كما تأتي هذه الحرب كاختبار حقيقي لبني إسرائيل لما طلبوا من نبيهم صموئيل أن يكون لهم ملكا يقودهم في الحروب فاختر لهم طالوت، ولكن بني إسرائيل شككوا في جدارته بالعرش، فاخبرهم صموئيل أن الدليل المادي على ملكه هو عودة التابوت، تابوت موسى فيه سكينه لهم في الحرب⁽⁴⁾ والذي أخذه الفلسطينيون العماليق إلى أشدود⁽⁵⁾، في حروبهم السالفة مع بني إسرائيل، والتقى جيش طالوت -الذي اختبره الله سبحانه وتعالى بنهر ﴿إن الله مبتليكم بنهر﴾⁽⁶⁾ وذلك لحاجة الجيوش خاصة في وقت الحر إلى الماء ليروو به ظمأهم، والابتلاء هنا من أجل التمييز بين الصادقين المؤمنين، والكافرين لكن ضعف النفس البشرية تغلبت

(1) الأب ديلي، تاريخ شعب العهد القديم، ت، الأب جرجس ماروني، ط3، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1961، ص210.

(2) سفر صموئيل الأول، الإصحاح11، الآية11.

(3) سفر صموئيل الأول، الإصحاح13، الآية19.

(4) عبد اللطيف عبد الحمان حسن، أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة، ط1، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 2014، ص121.

حلمي محروس إسماعيل، الشرق العربي القديم وحضاراته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1979، ص175.

(6) سورة البقرة، 249.

على أوامر الله سبحانه وتعالى، فشرّبوا منه إلا قليلا منهم، وهؤلاء القلة هم من كتب الله على أيديهم النصر ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾⁽¹⁾ - مع جيش جالوت بعد أن تهيأ لها الفلسطينيون وذلك من خلال إقامة القلاع في أماكن مختلفة من البلاد قصد السيطرة على الممرات والطرق ومراقبتها⁽²⁾، وقبيل نشوب القتال توجه المؤمنون بالدعاء إلى الله ﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده قال ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزمهم بإذن الله وقتل داود جالوت وءاتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾⁽³⁾.

أراد الله أن يجعل نهاية الطغيان والظلم الذي تميز به جالوت على يد الفتى الصغير، ليعتبر الناس وليروا أن الطغاة الذين يرهبونهم ضعفاء إلى المستوى الذي يمكن للفتية الصغار أن يذلّوهم ويلحقوا بهم الأذى، كما أن سر انتصار داود على جالوت هي كرامة من كرامات الله سبحانه وتعالى منها الله سبحانه وتعالى على داود المؤمن بربه والمدافع عن دينه ضد دعاة الوثنية والشرك⁽⁴⁾، وشاء الله سبحانه وتعالى أن يبين لبني إسرائيل أن الأمور لا تجري بظواهرها وإنما تجري بحقائقها، وحقائقها يعلمها إلا هو ومقاديرها في يده وحده، فليس عليهم إلا أن ينهضوا هم بواجبهم ويفوا الله بعهدهم، ثم يكون ما يريده الله بالشكل الذي يريده⁽⁵⁾.

(1) سورة البقرة، 249.

(2) H.R. Hall, The Ancien History of the Near East from the Earliest Times to the Bttel of Salamis, London, 1936, P423.

(3) سورة البقرة، الآية 250، 251.

(4) أحمد عيسى الأحمد، المرجع السابق، ص62.

(5) سعد المرصفي، المرجع السابق، ص104.

استطاع طالوت (شأول) أن يرسى قواعد أول دولة لليهود على بعض أجزاء فلسطين⁽¹⁾، غير أن هناك من المؤرخين من يرى بأن طالوت (شأول) لم يكن إلا شيخ قبيلة لم تتجاوز سلطته نفوذ قبيلته بن يامين التي ينتمي إليها⁽²⁾.

3- المملكة الموحدة في عهد داود:

بعد وفاة طالوت تولى حكم بني إسرائيل داود عليه السلام الذي ذاع صيته ولمع نجمه خاصة لما تمكن من مقارعة الفلسطينيين والانتصار على (جالوت)، وإذا كانت الملكية في بني إسرائيل قد بدأت في عهد شأول (طالوت) فإن داود هو المؤسس الحقيقي لها، حيث أرسى دعائم ملكه على أسس دينية متينة، كما حباه الله عز وجل بكرامات وآتاه الحكم وفصل الخطاب، يقول الله عز وجل: ﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾⁽³⁾.

3-1/ داود أصله ونسبه:

داود اسم عبري ومعناه "المحبوب" أو "محبوب الله ينتسب داود لسبط يهوذا، ويتضمن سفر راعوث⁽⁴⁾ سجلا خاصا بنسبه الذي يرجع إلى، ايشا بن عوبد بن عامر بن سلمون بن نخشون بن عوينادب بن ارم بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم⁽⁵⁾، ويظهر من خلال نصوص سفر راعوث أن داود ليس من بني إسرائيل، إذ أن

(1) صوفي حسن أبو طالب، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، دط، منشورات جامعة القاهرة، دت، ص439.

(2) حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص175.

(3) سورة ص، الآية26.

(4) سفر راعوث الإصحاح 4، الآية 18-22.

(5) سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح2، الآية من1-15.

والدة جده " عوبيد " وهي راعوث التي سمي سفر راعوث باسمها، مؤابية من مؤاب تزوجها رجل من بني إسرائيل يدعى " محلون " الذي نزع مع إلى مؤاب على إثر قحط حل بالبلاد⁽¹⁾. داود عليه السلام هو نبي ورسول الله اختاره الله واصطفاه، ذلك أن أنساب الأنبياء محفوظة فهم من أوسط الناس نسبا وأعلاهم شرفا، ولقد امتدت الرسالات النبوية من نوح وذريته إلى إبراهيم وذريته إسماعيل وإسحاق عليهم جميعا أفضل الصلوات وأزكى التسليم، فحفظ الله لهم الأصباب الطاهرة والأرحام النقية على أساس من نكاح صحيح⁽²⁾ لم تشوبه شائبة ولم يخالطه فسق أو فجور، قال الله تعالى: ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾⁽³⁾، وقال تعالى: ﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وءاتينا داود زبوراً﴾⁽⁴⁾

جاء ذكره في القرآن الكريم في ستة عشر موضعا، حيث ذكر القرآن أنه كان نبيا وملكا في نفس الوقتان نسبهيعد إلى ذرية إبراهيم ونوح عليهما السلام، قال الله عز وجل: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين﴾⁽⁵⁾، فهو النبي الأواب ذو الأيد كما قال الله تعالى: ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيدي إنه أواب﴾⁽⁶⁾، ولقد أتى الله نبيه داود حكما وعلماء، وسخر الجبال يسبحن معه والطير، وألنا له الحديد، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير

(1) سفر راعوث، 4، الآية 10.

(2) مي حسن المدهون، المرجع السابق، ص 149.

(3) سورة ص، الآية 47.

(4) سورة الإسراء، الآية 55.

(5) سورة الانعام، الآية 38، 84.

(6) سورة ص، الآية 17.

محشورة كل له أوّاب وشددنا ملكه وأتيناها الحكمة وفصل الخطاب⁽¹⁾. هذا وقد جاء ذكر داود عليه السلام في عدة مواضع من القرآن الكريم، كلها مقرونة بالثناء والتبجيل من قبل ربّ العزة⁽²⁾.

بينما التوراة تعطينا صورة متناقضة تماما لشخصية داود عليه السلام، فهي لا تعترف بنبوته بينما تعدّه ملكا فقط، كما تلصق به الكثير من الإدعاءات الكاذبة، حيث تقدح في شرفه إذ تعدّه سليل زنى، كما تصف بيت داود على أنه بيت دعارة وفجور لا بيت نبوة وحكم وملك⁽³⁾، فأبناءؤه يزنون بأخواتهم ويزنون بنساء أبيهم أمام الملاء، فهذا ابنه (أمنون) يزني بأخته (تamar)⁽⁴⁾ وابنه (بشالوم) يدخل على نساء أبيه أمام جميع بني إسرائيل⁽⁵⁾

3-2/ توليه الملك:

بعد موت طالوت (شاول) أول ملك لبني إسرائيل، كانت الظروف كلها مهيأة لاعتلاء داود سدة الملك، ولقد كان في نظر بني إسرائيل بمثابة المخلص الذي أنقذهم من بطش ألد أكبر أعدائهم، كما كسب عطفهم كونه كان القائد العسكري المظلوم والمضطهد من قبل شاول مما ساعده على كسب ثقة أغلب أسباط بني إسرائيل الذين التقوا حوله، فإلى جانب كونه كان حامل درع الملك⁽⁶⁾ (طالوت) شاول مما يعطيه ضمنا حق خلافته، كان مختارا من قبل الربّ حين توجه صموئيل النبي إلى بيت "يسى البيتلحمي" واختار داود من بين إخوته السبعة، ومسّحه ملكا على بني إسرائيل باسم الربّ⁽⁷⁾. وبعد وفاة (طالوت) شاول اشتد

(1) سورة ص، الآية 17، 20.

(2) أنظر: سورة البقرة، الآية 251، سورة النساء، الآية 163، المائدة، الآية 78، الأنعام، الآية 84، الإسراء 55، الأنبياء، الآية 78، 80، النمل، الآية 15، 16، سبأ، الآية 10، 11، سورة ص، الآية 17، 24، 26، 30.

(3) لبحور سليمة، الملكة العبرانية في عهدي داود وسليمان في الفترة ما بين 1004-922 ق.م، ماجستير في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منوري قسنطينة، 2009، ص 82.

(4) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 13، الآية (1-22).

(5) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح، 16، الآية (20-23).

(6) محمود أحمد المراغي، بني إسرائيل وأزمة الكيان اليهودي القديم، ط1، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992، ص 27.

سفر صموئيل الأول، الإصحاح 1، الآية (1-13).

الصراع على السلطة بين قبائل بني إسرائيل أو بالأحرى بين داود الذي كان يتطلع إلى خلافة (طالوت) شاول كيف ولا وهو الذي مسح النبي صموئيل في حياته خليفة (طالوت) وبين (إيشبعل) بن (طالوت) الذي كان يرى في نفسه أنه هو الأحق بالملك كونه الخليفة الشرعي لوالده⁽¹⁾.

عاد داود عليه السلام إلى حبرون (الخليل) مع زوجته وتمت مبايعته من قبل سبط يهوذا، واستمر حكمه حوالي سبعة سنوات ونيّف، " وكان بعد موت شاول ورجوع داود من مضاربة العمالقة أن داود أقام في (صقلغ)⁽²⁾ يومين وفي اليوم الثالث إذا برجل أتى من المحلة من عند شاول وثيابه ممزقة وعلى رأسه تراب، فلما جاء إلى داود خرّ إلى الأرض وسجد فقال له داود من أين أتيت. فقال له من محلة إسرائيل نجوت، فقال له داود كيف كان الأمر أخبرني فقال أن الشعب قد هرب من القتال، وسقط أيضا كثيرون من الشعب وماتوا ومات شاول ويونثان ابنه أيضا"⁽³⁾.

يعتبر تنصيب داود ملكا في (الخليل) هو بداية مرحلة مهمة من تاريخ داود طبقا لما جاء في سفر صموئيل الثاني⁽⁴⁾، وقد افتتح داود فترة حكمه في الخليل بإخماد نار الحرب⁽⁵⁾ التي دارت بين جنود (أفئير) قائد جيش (طالوت) شاول وبين جند داود بقيادة (يوآب) والتي قتل فيها (إشبعل) بن شاول الذي حكم منطقة إسرائيل لمدة عامين⁽⁶⁾ وبوفاته دانت قبائل الشمال لحكم داود واعترفت به ملكا على جميع أسباط بني إسرائيل، " واجتمع كل رجال إسرائيل إلى داود في حبرون قائلين هو ذا عظمك ولحمك نحن ومنذ أمس وما قبله حين كان شاول ملكا كنت أنت تخرج وتدخل إسرائيل وقد قال لك الرب إلهك أنت ترعى شعبي

(1) محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص 636.

(2) صقلغ: مدينة من سبط يهوذا وتسمى تل الخويلقة، تقع على بعد عشرة أميال شرقي تل الشريعة جنوب شرق غزة. أنظر: بيومي مهران، بنو

إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص634.

(3) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح2، الآية 1، 4.

(4) سفر صموئيل2، الإصحاح 2، الآية 11.

(5) أبراهام ملمات، حاييم تدمور، المرجع السابق، ص207.

(6) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح2، الآية10.

إسرائيل وأنت تكون رئيسا لشعبي إسرائيل وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون فقطع داود معهم عهدا في حبرون أمام الرب ومسحوا داود ملكا على إسرائيل حسب كلام الرب عن يد صموئيل وذهب داود وكل إسرائيل إلى أورشليم أي ييوس وهناك اليبوسيون سكان الأرض وقال سكان ييوس لداود لا تدخل إلى هنا فأخذ داود حصن صهيون هي مدينة داود⁽¹⁾.

كما اختار أورشليم (القدس) مركزا لحكمه⁽²⁾، " وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض فكلّموا داود قائلين لا تدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان والعرج أي لا يدخل داود إلى هنا"⁽³⁾، وقد كان اختيار داود (القدس) عاصمة لمملكته دليلا واضحا ونابعا عن بعد نظر وحنكة سياسية؛ لما تتمتع به المدينة من موقع استراتيجي هام كونها تقع على مرتفع وسط كنعان، كما كانت مدينة محايدة لم تنتم لأي سبط من أسباط بني إسرائيل، كما أنه باختياره لها يكون قد أزال الانطباع لدى باقي أسباط بني إسرائيل من أنه ينوي تفضيل سبط يهوذا على باقي أسباط بني إسرائيل⁽⁴⁾. وبالإستلاء على القدس واستعادة تابوت العهد أصبحت القدس مركزا سياسيا ودينيا للمملكة الموحدة في عهد داود⁽⁵⁾، حيث استطاع أن يسلك سياسة داخلية قائمة على توحيد قبائل وأسباط بني إسرائيل في إطار توحيد الجبهة الداخلية، أما خارجيا فلقد عمل على مد نفوذ مملكته الوليدة، إذ تمكن من الاستيلاء على بعض المدن الفلسطينية، في الوقت الذي كان ينظر فيه الفلسطينيون لداود على أنه من مواليمهم⁽⁶⁾، ومع ذلك فقد كانوا شديدي الحذر من التطورات الجارية التي عرفها بنو إسرائيل؛ باتحاد جميع قبائلهم تحت قيادة وإمرة " داود " لأن اتحاد مملكتي إسرائيل ويهوذا يعد منطقيا

(1) سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح 11، الآية (1، 5).

(2) رجاء عبد الحميد عرابي، المرجع السابق، ص 196.

(3) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 5، الآية 6.

(4) لبحور سليمة، المرجع السابق، ص 87.

(5) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 60، الآية (11-12).

(6) محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص 643.

قلبا لموازين القوى في المنطقة. حيث تخبرنا التوراة أن الفلسطينيين لما سمعوا بأن داود مسح ملكا على إسرائيل " فصعد جميع الفلسطينيين ليفتشوا على داود واحتلوا وادي الرفائيم"⁽¹⁾ ويعتقد أن واد الرفائيم هو وادي البقاع جنوب غربي أورشاليم الحد الفاصل بين مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا قبل الوحدة، هذا وقد تمكن داود من مقارعة الفلسطينيين واستطاع أن يحرز انتصارات عليهم في العديد من المواقع واستطاع أن يتتبعهم إلى حدود بلادهم⁽²⁾.

لا شك أن انتصار داود على الفلسطينيين قلب موازين القوى في المنطقة بشكل غير محسوب ولو جزئيا، حيث اعترف الفلسطينيون لداود بسيادته على الجزء الأكبر من البلاد حسب ما ورد في التوراة، ومع ذلك بقي الفلسطينيون في إقليمهم القوة الوحيدة التي لم يستطع داود إخضاعها بالكامل؛ نظرا لما تمتع به الفلسطينيون من بسالة في المقاومة، وتأييد مصر لهم على الرغم من تراجع نفوذها⁽³⁾.

كما استولى على مؤاب وشرق الأردن⁽⁴⁾ وأدوم⁽⁵⁾ التي كانت مصدرا هاما للحديد الخام⁽⁶⁾، "وهيا داود حديدا كثيرا للمسامير لمصاريح البواب وللوصل ونحاسا كثيرا بلا وزن"⁽⁷⁾، وبفتح أدوم تمكن داود من السيطرة على طريق التجارة الدولي بين سوريا والجزيرة العربية⁽⁸⁾، كما أقام علاقات صداقة مع (حيرام) الملك الفينيقي لصور (947-981 ق.م)⁽⁹⁾.

(1) سفر صمويل الثاني، الإصحاح 5، الآية 19.

(2) سفر صمويل الثاني، الإصحاح 5، الآية 23-24.

(3) لبحور سليمة، المرجع السابق، ص 90.

(4) مصطفى كمال عبد العليم وسيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1995، ص 77.

(5) Luke , Sir Henry and Edward Keith Roach, Handbook Of Palestine and Transjordan, 3rd, Ed, Macmillan, And, CO LTD, London, 1934, P11.

(6) فليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان، المرجع السابق، ص 200.

(7) سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح 22، الآية 4.

(8) سليم حسن، مصر القديمة، ج 7، دط، مطبعة جامعة فؤاد الأول، مصر، 1952، ص 512.

(9) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 8، الآية (1-14).

هذا ويمكن أن نقول بأن داود النبي الملك ما كان أن يحقق هذه التوسعات؛ لولا التأييد والتوفيق من الله سبحانه وتعالى بحكم أنه نبي موحى إليه يقول الله تعالى في ذكر داود ﴿وشددنا ملكه وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾⁽¹⁾، بالإضافة إلى الظروف الدولية إذ ذاك من خلال تراجع قوة ونفوذ القوى الدولية في المنطقة، فمصر كانت تمر بأوضاع داخلية صعبة مما ساهم في تراجع نفوذها في بلاد الشام وفلسطين، أما آشور فلم تكن في أحسن حال في زمن داود⁽²⁾.

تشير الأدلة التاريخية إلى أن داود مثله في ذلك مثل شاول من قبله، كان ملكاً يرأس تحالفاً من القبائل الإسرائيلية التي سكنت الهضاب الفلسطينية، والأدلة التاريخية تؤكد أن أكبر رقعة استطاعت دولة داود تحقيقها من "دان" (تل القاضي) في الشمال إلى "بئر السبع" في الجنوب، ولم يكن لبني إسرائيل وجود في أي موقع على الساحل الفلسطيني ولا في الجليل شمالي فلسطين باستثناء موقع صغير عند تل القاضي.

أيا ما كان فإن حكم داود يمثل فترة رخاء بالنسبة للشعب الإسرائيلي ذلك لما كتب لداود من نجاح لا نظير له في إقامة مملكته...

هكذا وبالرغم مما قام به داود من جهود في سبيل إقامة صرح لبني إسرائيل وإعلاء شأن قومه في فترة حكمه، فإن أواخر عهده على الأقل قد حفلت بالصراعات الداخلية داخل البيت الملكي من أجل الضفر بكرسي وراثة العرش.

3/3- سليمان يرث الملك:

جاء ذكر سليمان في القرآن الكريم العديد من المرات، مشيراً إلى ملكه وعلمه ونبوته، قال تعالى: ﴿قال ربي اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي أنك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وءاخرين

(1) سورة ص، الآية 20.

(2) أحمد عيسى الأحمد، المرجع السابق، ص 81.

مقرنين في الأصفاذ هذا عطاؤنا فأمنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مئاب⁽¹⁾.

أ/ سليمان أصله ونسبه: هو سليمان بن داود بن إيشا بن عوبد بن عامر بن سلمون بن نخشون بن عوينادب بن إرم بن حصرون بن قارص بن يهوذا بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام⁽²⁾، وسليمان اسم عبري معناه "رجل السلام" وهو ابن الملك داود حيث خلفه على عرش بني إسرائيل⁽³⁾.

قال الله تعالى: ﴿وورث سليمان داود﴾⁽⁴⁾ والوراثة المقصودة في نص الآية الكريمة، هي وراثة النبوة والملك والحكمة والعلم، لا وراثة مال كمال قال (ص): " لا نورث ما تركنا فهو صدقة"، لقد ورث سليمان عن أبيه داود دولة قوية، ومملكة متكاملة فحافظ عليها وقوّاه ووسّع رقعتها، وطبق فيها شرع الله سبحانه وتعالى، وبلغت قمة العطاء في عهد سيدنا داود ومن بعده سليمان⁽⁵⁾.

ب/ توليه السلطة: لما هرم داود وبلغ من العمر عتيا بدأ الطمع على خلافته يظهر بين ابنائه، حيث راودت حلم الخلافة نفس ابنه الأكبر "أدونيا" كونه الإبن البكر لداود وبالتالي كان يرى في نفسه أنه هو الوريث الشرعي، على الرغم من عدم وجود قاعدة بشأن حق البكورة الذي ينص على حق البكر في الإرث كله دون سائر الأبناء⁽⁶⁾، وبالتالي أخذ هذا الأخير يعدّ العدة لتصيب نفسه ملكا بمساعدة كل من الكاهن "أبيثار" و"يوآب" قائد الجيش السابق في عهد داود، وقد أقام لهذه المناسبة وليمة دعا إليها جميع إخوته بني الملك

(1) سورة ص، الآية 25.

(2) ابن كثير البداية والنهاية، المصدر السابق، ج1، ص16.

(3) بطرس عبد الملك، جون الكساندر طمسن، قاموس الكتاب المقدس، ط2، د. دار نشر، دس، ص481.

(4) سورة النمل، الآية 16.

(5) همام حسن يوسف سلوم، سليمان في القرآن الكريم، رسالة ماجستير في أصول الدين، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين،

2006، ص79.

(6) Robinson, Theodor, H, History of Hisrael, vol I , Oxford ,1957,P 240.

وجميع رجال سبط يهوذا، " فذبح أدونيا غنما وبقرا ومعلوفات عند حجر الزاحفة الذي بجانب عين روجل، ودعا جميع إخوته بني الملك وجميع رجال يهوذا عبيد الملك" (1).

تم تنصيب سليمان ملكا على إسرائيل وفق بروتوكولات وردت في نصوص التوراة، "نزل صادوق الكاهن وناثان النبي وبنايهاو بن يهوئاداع والجلادون والسعاة، وأركبو سليمان على بغلة الملك داود، وذهبوا إلى "جيحون" فأخذ صادوق قرن الذهب من الخيمة، ومسح سليمان، وضربوا بالبوق، وقال جميع الشعب ليحي الملك سليمان، وصعد جميع الشعب وراءه، وكان الشعب يضربون بالناي، ويفرحون فرحا عظيما، حتى انشقت الأرض من أصواتهم" (2).

ورث سليمان عليه السلام عن أبيه النبوة والملك (3)، قال تعالى: ﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين﴾ (4)، سأل سليمان ربه أن يؤتیه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فكان له ما تمنى، عن عبد الله بن عمر عن الرسول (ص) " أن سليمان بن داود عليه السلام، لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل ثلاثة، سأل الله حكما يصادف حكمه فأوتيته، وسأل الله عز وجل ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيته، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحدا لا يريد إلا الصلاة فيه أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه" (5).

تولى سليمان العرش وكان عمره لا يزيد عن ثلاث عشرة سنة (6)، وقال بعضهم أنه كان في العشرين من عمره، أي تقريبا عام 1015 ق.م، ومنهم من يرى أنه تولى العرش عام

(1) سفر الملوك الأول، الإصحاح الأول، فقرة 9.

(2) سفر الملوك الأول، الإصحاح الأول، فقرة (22-41).

(3) حول مسألة وراثة سليمان العرش، أنظر: سفر الملوك الأول الإصحاح الأول، فقرة من (1-48).

(4) سورة ص، الآية 17.

(5) الطرطوسي المالكي (أبو بكر محمد بن الوليد الفهري)، الكتاب المسبوك في نوائج الملوك، ط1، مطبعة الحرية، مصر، 1306 هـ، ص 63.

(6) ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي)، الكامل في التاريخ، ج1، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1985، ص128.

965 ق.م⁽¹⁾، وقيل تولى العرش عام 961 ق.م⁽²⁾، وورد في قاموس " هستجنز " أن حكم سليمان كان مابين (969-922) ق.م⁽³⁾ حيث كان عمره إذ ذاك حوالي عشرون سنة.

ربما هذا ما ورد في نصوص التوراة، إذ وفي بداية حكم سليمان تراءى له الرب في المنام "وقال الله أسأل ماذا أعطيك، فقال سليمان: أنك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك، فحفظت له هذه الرحمة العظيمة، وأعطيته ابنا يجلس على كرسيه كهذا اليوم. والآن أيها الرب إلهي أنت ملكت عبدك مكان داود أبي وأنا فتى صغير، لا أعلم الخروج والدخول. وعبدك في وسط شعبك الذي اخترته شعب كثير لا يحصى ولا يعد من الكثرة، فأعط عبدك قلبا فهيما لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا، فحسن الكلام في عيني الرب لأن سليمان سأل هذا الأمر، فقال له الله: من أجل أنك قد سألت هذا الأمر ولم تسأل لنفسك أياما كثيرة، ولا سألت لنفسك غنى ولا سألت أنفس أعدائك، بل سألت لنفسك تمييزا لتفهم الحكم. هو ذا قد فعلت حسب كلامك، هو ذا قد أعطيتك قلبا حكيما ومميزا حتى أنه لم يكن مثلك قبلك، ولا يقوم بعدك نظيرك، وقد أعطيتك أيضا ما لم تسأله غنى وكرامة حتى أنه لا يكون رجل مثلك في الملوك كل أيامك"⁽⁴⁾. وفي موضع آخر من نصوص التوراة نقرأ أيضا "حكمة الرب التي غرسها في قلبه والتي وهبتها له السماء عند توليه الحكم، بل ووصفته بأنه كان "أبو الحكمة في إسرائيل"⁽⁵⁾ " وفاقته حكمته جميع بني المشرق وكل حكمة مصر، وكان أحكم من جميع الناس..وكان صيته في جميع الأمم حواليه، وتكلم

(1) أبرهام ملمات، المرجع السابق، ص216.

(2) Wells, H.G, The Outline Of History, Cassel and Co, Ltd, Twelfth Edt, London, 1951, P260.

(3) Hastings, James, Dictionary of The BIBLE , Revised Edition by Frederick C. Grand and H.H. Rewles, Charles scribner's sons, New York, 1963, P 928.

(4) سفر الملوك الأول، الإصحاح 3، فقرة (5-13).

(5) سفر الأمثال، الإصحاح الأول، فقرة (2-7).

بثلاثة آلاف مثل، وكانت لبشائره ألفا وخمسين.. وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان⁽¹⁾.

نجد الاختلاف واضحاً بين طلب سليمان في نصوص العهد القديم، حيث اقتصر طلبه على مسألة الحكم، على عكس ما ذهب إليه طلبه في القرآن الكريم حين طلب المغفرة والصفح المقدمة عن طلبه للملك، قال الله تعالى: ﴿قال ربي اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾⁽²⁾. هذا وتجدر الإشارة أننا نجد في القرآن الكريم ما يؤيد رواية العهد القديم في مسألة حكمة سليمان، يقول الله سبحانه وتعالى في هذا الشأن: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين. ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً﴾⁽³⁾.

ج/ معجزاته ومظاهر ملكه: لا شك أن الله سبحانه وتعالى قد منّ على سليمان ومن قبله أباه داود، بنعم كثيرة كما اختصه بمعجزات خارقة، وجمع له بين خيري الدنيا والآخرة، بأن آتاه الملك مع النبوة، ولا نعلم حسب علمنا أحداً من خلق الله جمع له بين الأمرين سوى سليمان ومن قبله داود عليهما السلام.

تُعد معجزات سليمان من أعظم المعجزات التي وهبها الله لأحد من أنبيائه، حيث كانت معجزاته مصاحبة له في كل حين واستطاع أن يطوعها لخدمة قضيته ومجتمعه الذي يحكمه، فاستغلها في إعمار الأرض وصنع بها الحضارة التي كان وما زال الجميع يحكي عنها، فقد كان مُلك سليمان أعظم ملك على وجه الأرض واستطاع أن يحكم الإنس والجان بقبضة من حديد. وفيما يلي: استعراض لأبرز معجزات سليمان.

(1) سفر الأمثال، الإصحاح 4، فقرة 2.

(2) سورة ص، فقرة (35-38).

(3) سورة الأنبياء، الآية (78-79).

كان نبي الله سليمان عليه السلام منطلق الطير والحيوان والنبات والحشرات، ولعل أغلبنا يعلم قصة النملة التي سمعها نبي الله تحذر قومها من جيش سليمان، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا﴾⁽¹⁾ وقد خص الله تعالى الطير بالذكر في كتابه العزيز عندما قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾⁽²⁾، فقد سخر الله سبحانه وتعالى له الطير من أجل إرسال الرسائل ونقل الأخبار، كما كان الهدد يفعل حين نقل لسليمان خبر مملكة سبأ وملكتها بلقيس، كما كانت الطيور تُلطف الجو بأجنتها فوق الجنود وتظلل الجيش، بالإضافة أنها كانت وسيلة تقصي وبحث عن مكامن ومصادر المياه، وربما هذه هي وظيفة الهدد الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في محكم آياته، فعندما عطش جيش سليمان عليه السلام واحتاجوا إلى الماء تفقد الطير (الهدد) فلم يره بينهم ولم يجده، فاخذ يتهدهده بالذبح أو التعذيب إلا إذا أتاه بعذر مقبول عن سبب تخلفه، يقول الله تعالى: ﴿وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين لأعذبتنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾⁽³⁾ ولما أقبل الهدد وعاد من غيبته وجاءه بالأخبار الصادقة قص عليه رحلته التي قادته إلى بلاد اليمن، حيث جمع له أخبار عن الملكة السبئية التي لم يرد ذكر اسمها لا في التوراة ولا في القرآن، وإن كان ذكرها قد تواتر في التراث الشعبي.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبا يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون

(1) سورة النمل، الآية 18-19.

(2) سورة النمل، الآية 16.

(3) سورة النمل، الآية 20-21.

أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يَخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ⁽¹⁾.

كما سخر له الريح والجن وكانت تلك المعجزة من أعظم المعجزات التي ظلت عالقة في الأذهان علي مر العصور، فقد مكن الله نبيه سليمان وقدره على الجن، فكان يأمرهم بما ينفع ولا يضر، وكانوا يغوصون بأمره في أعماق البحار لاستخراج اللؤلؤ والمرجان والكنوز الثمينة. والجن نوعان؛ منهم من كان يخضع لأوامره، فهو في أمان. أما النوع الثاني فكان يتمرّد على أوامره ويخالفها، فكان عقابه السجن والتقيد بالسلاسل الحديدية، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ⁽²⁾﴾، أما الرياح فقد سخرها الله سليمان لما ترك الخيل ابتغاء وجه الله، عوضه الله منها الريح التي هي أسرع سيرا، وأقوى وأعظم، ولا كلفة عليه لها، تجري بأمره رخاء حيث أصاب، ولقد حفلت سورة النمل بالمعجزات التي خصّ بها سليمان وبالزيارة التي أقدمت عليها ملكة سبأ إلى (أورشليم) حيث التقت سليمان وما نتج عن هذه الزيارة، حيث لم يركز القرآن الكريم على الجانب المادي لهذه الزيارة كما فعلت التوراة، بل ركز على الجانب الروحي العقائدي من خلال دعوة سليمان للملكة بنبذ عبادة الأوثان والإيمان بالله الواحد الأحد⁽³⁾، وعلى العموم هذا ليس موضوعنا وإنما أوردناه على سبيل ذكر المعجزات التي أكرم بها الله تعالى سليمان النبي الملك، وللاطلاع أكثر يمكن العودة إلى نصوص القرآن الكريم وكتب التفسير التي ذكرت هذه القصة.

د/ أعماله: لا شك أن الملك الذي أوتيته سليمان عليه السلام ملك عظيم والمجد الذي حصله مجد لم يؤت لأحد من بعده، وهو الذي دعا ربّه أن يؤتیه ملكا لم يحض به غيره،

(1) سورة النمل، الآية 20-26.

(2) سورة ص، الآية 37-38.

(3) بلقاسم رحمانی، حضارة العرب القديمة " الحضارة اليمنية نموذجا"، دط، مطبعة بغیجة، قسنطينة، 2009، ص ص 194-195.

قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾⁽¹⁾، وقد عَقَّب القرآن الكريم على النعم التي أعطيت لسليمان في موضعين:

- **الموضع الأول:** والذي ورد في قوله تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽²⁾ فالعطاء من الله يعطي من يشاء ويمنع ما يشاء عن من يشاء، لا رادَّ لأمره ولا معقَّب لحكمه سبحانه وتعالى، ولقد أعطى الله سبحانه وتعالى لسليمان الخير الكثير والفضل العميم، ولا شك أن هذا الفضل قد حيز له نظير المكانة والمنزلة الرفيعة التي تدل على قدر هذا النبي ومقدار كراماته عند ربه ورضاه عنه.

- **الموضع الثاني:** قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾⁽³⁾. وقد أحسن سليمان عليه السلام شكر نعم الله، فأكسبته تلك النعم مزيداً من الخضوع لله وتواضعاً لعباد الله، وشفقة على عيال الله، وأقام بها مملكة إيمانية يسودها العدل وتحكم بشرع الله⁽⁴⁾. يقول الله تعالى: ﴿وَلَأَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾⁽⁵⁾.

عرفت مملكة إسرائيل في عهد سليمان ازدهارا وتطورا لم تحظ به قط في أي زمن من الأزمان لا السالفة ولا اللاحقة، وإن دل على ذلك فإنما يدل على الحكمة التي وهبها الله إياه، فقد شهدت المملكة في عهده تطورا وازدهارا داخليا وخارجيا ويمكن إبراز ذلك في ما يلي:

- **سياسته الداخلية:** بدأ سليمان سياسته الداخلية بالقضاء على مناوئيه وخصومه في الملك، وسعى بكل جهده للتخلص من مؤامراتهم ودسائسهم، ويبدو أن إلهه "يهو" كما تذكر التوراة لم يغضب مما أقدم عليه سليمان، حيث بدأ بتصفية أخاه "أدونيا" صاحب الحق الشرعي في العرش الذي كان يطمع في التربع على كرسي الملك، وقد تحين

(1) سورة ص، الآية 35.

(2) سورة ص، الآية 39.

(3) سورة سبأ، الآية 13.

(4) همام حسن يوسف سلوم، المرجع السابق، ص ص 128-129.

(5) سورة إبراهيم، الآية 8.

سليمان الفرصة لما طلب "أدونيا" من (بت شيفع) أن تتوسط له لدى سليمان لكي يوافق على زواجه من (أبيشنع) الشونمية ليتزوجها وكانت سرية لأبيه، حيث كانت العادة والتقاليد إذ ذاك أن تنتقل زوجات وسراري الملك المتوفى إلى الملك الجديد فاعتبرها سليمان منافسة له في السلطة، فحرّض عليه قائد الجيش (بنياهو بن يهوئاداع) فقتله⁽¹⁾. وبعد أن تخلص من أدونيا اتجه إلى رجال البلاط في عهد والده وذلك لتنفيذاً لنصائح أبيه فامتدت يده إلى (يوآب) قائد الجيش في عهد أبيه داود حيث كان هذا الأخير مارقاً على أوامر الملك من حين لآخر، كما أنه ارتكب أعمالاً إجرامية دون موافقة الملك داود، بالإضافة إلى تحالفه مع (أدونيا) عندما طلب السلطة. تقول التوراة "فأتى الخبر إلى يوآب، لأن يوآب مال وراء أدونيا ولم يمل وراء أشالوم، فهرب يوآب إلى خيمة الرب وتمسك بقرون المذبح، فأرسل سليمان بنياهو بن يهوئاداع قائلاً: اذهب أبطش به وادفنه وأزل عني وعن بيت أبي الدم الزكي الذي سفكه يوآب، فصعد بنياهو وبطش به وقتله فدفن في بيته في البرية، وجعل الملك بنياهو ياداع مكانه على الجيش، وجعل الملك صادق الكاهن مكان أبياثار".⁽²⁾ أما الكاهن "أبياثار" الكاهن الأعظم والذي كان موالياً "لأدونيا" فقد عزله سليمان من مهامه وعيّن بدلاً عنه الكاهن "صادوق"، يقول سفر الملوك الأول: "وقال الملك لأبياثار الكاهن: اذهب إلى عناثوت إلى حقولك لأنك مستوجب الموت ولست أقتلك في هذا اليوم لأنك حملت تابوت سيدي الرب أمام داود أبي، ولأنك تذلت بكل ما تذلل به أبي. وطرد سليمان أبياثار عن أن يكون كاهناً للرب"⁽³⁾. هذا وتجدر الإشارة أنه لا يمكن أن نجزم حول مسألة إراقة الدماء التي نسبت إلى الملك سليمان تنفيذاً لوصية والده داود، وفق ما أورده نصوص التوراة، في ظل عدم وجود مصادر أخرى يمكن أن نستند عليها، إذ من غير المعقول أن النبي سليمان الذي

(1) سفر الملوك الأول، الإصحاح الثاني، فقرة 13-25.

(2) سفر الملوك الأول، الإصحاح الثاني، فقرة 28-35.

(3) سفر الملوك الأول، الإصحاح الثاني، فقرة 26-27.

آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب أن تتلطّخ يده بالدماء إلى هذا الحد الذي أورده محررو التوراة، أم أن كتبة أسفار التوراة قد أعطوا لخيالهم في وصف فترة هي من أزهى فترات بني إسرائيل، وبالتالي قد كتبوا فيها ما كتبوا لتبرير مذابح خيل إليهم أنها حدثت فعلا.

بعد أن خلص سليمان التخلص من المعارضين والمناوئين له في الملك اتجه إلى تدعيم عرشه في الداخل، فاستخدم معظم موارد الدولة في تقوية دعائم الحكومة، وتجميل العاصمة، وإقامة الحصون، كما رَمّم القديم منها، ووضع حاميات في المواقع ذات الأهمية الاستراتيجية ليرهب بها الثائرين والغازين.⁽¹⁾

لقد استفاد سليمان الملك من الأخطاء التي عرفتھا المملكة في عهد أبيه داود خاصة في أواخر أيامه، لذلك سعى إلى الحد من تنازع أسباط وعشائر بني إسرائيل التي كانت تسعى إلى إيجاد نوع من الحكم الذاتي لها، وذلك من خلال تقسيم البلاد إداريا إلى اثنتي عشرة محافظة أو مقاطعة إدارية، - لقد ورد هذا التقسيم في القائمة الواردة في سفر الملوك الأول الإصحاح الرابع من الآية (7-20)، وقد ورد في أول هذه القائمة مايلي: " وكان سليمان اثنا عشر وكيلا على جميع إسرائيل، يمتارون للملك وبيته، كان على الواحد أن يمتار شهرا في السنة"⁽²⁾، وعين على كل محافظة محافظا أو وكيلا إداريا لها، وكان الهدف من وراء هذا التقسيم، ما يلي:

أ/ تحقيق الوحدة الوطنية⁽³⁾ بين بني إسرائيل، والقضاء على النظام القبلي العشائري الذي تجلت صورته في الأسباط الإثني عشر، وإضعاف النزعة الانفصالية بينهم⁽⁴⁾

(1) محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص 667.

(2) سفر الملوك الأول، الإصحاح4، فقرة7.

(3) Adolphe .Lods, Op.Cit,P371.

(4) ول وايرل ديورانت، قصة الحضارة، ج2، المرجع السابق، ص 334.

ب/ تعزيز نظام مركزية السلطة في يد الملك، والقضاء على شكل حكومة المقاطعات المستقلة، أو التي لها نية الحكم الذاتي، وذلك من خلال ضمان ولاء الوكلاء لسلطة الملك⁽¹⁾.

ج/ تسهيل عملية جباية الأموال وجمع الضرائب التي تحتاج لها المملكة؛ لمواجهة المصاريف الباهظة التي استلزمها الأعمال العامة للمملكة خاصة في مجال البناء والتعمير، وتزويد الجنود والخيول الموجودة في الحصون التي أقامها بالمؤن والعلف، فضلاً عن إعاشة القصر الملكي الذي أصبحت متطلباته المادية في شكل متزايد⁽²⁾، حيث يذكر سفر الملوك: " وكان طعام سليمان لليوم الواحد، ثلاثين كر سميد وستين كر دقيق، وعشرة ثيران مسمّنة وعشرين ثوراً من المرعى ومائة خروف، ما عدا الأيائل والظباء واليحمير والإوز المسمّن"⁽³⁾، وإن كان هذا النص فيه مبالغة مفضوحة، إذ لا يمكن أن نتصور مثل هكذا إسراف في الأكل والذي نسب إلى نبي الله سليمان، حيث تمادى محررو التوراة في تشويه صورة الأنبياء الذين بعثوا فيهم، ولقد فضح القرآن الكريم أسلوبهم هذا في الكثير من المواضع.

• النشاط العمراني والتجاري في عهد سليمان:

لا شك أن الملك النبي سليمان كان رجل سلم لا رجل حرب، لذلك كان في الكثير من القضايا ما يميل في حلها بالطرق السلمية، وهو الذي أوتي الحكمة، ومع ذلك فقد كان مؤمناً بأن بقاء مملكته واستمرارها يتطلب منه تطوير المؤسسة العسكرية، بحيث تكون في مستوى التحديات المفروضة عليها من خلال حفظ النظام العام، والتصدي للأطماع الخارجية المترتبة بالمملكة الوليدة، وبفضل ذكائه وبعد نظره وسعة عقله، استطاع سليمان أن يحقق السلم والاستقرار في مملكته، مما هياً له فرص النهوض بمستوى الرقي والتطور للمملكة

(1) أحمد عيسى الأحمد، المرجع السابق، ص 130.

(2) Adolphe .Lods, Op.Cit,P371.

(3) سفر الملوك الأول، الإصحاح 4، فقرة 22-23.

الوليدة في شتى المجالات، فالى جانب اهتمامه بشؤون الإدارة وتنظيمها اهتم أيضا بالعمران وأولاه عناية فائقة، حيث اشتهر عهده بالعديد من المشاريع العمرانية التي جاء ذكر بعضها في القرآن الكريم، والتي نسب بناؤها إلى الشياطين الذين كانوا تحت تصرفه، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بِنَاءٌ وَغَوَّاصٌ﴾⁽¹⁾، ولا أدل على ذلك الصرح الذي شيده سليمان لاستقبال بلقيس ملكة سبأ، وفي وصف هذا الصرح يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾⁽²⁾، وما هذا إلا فضل من الله سبحانه وتعالى الذي سخر له الجن والشياطين حيث كانوا يعملون له الأعمال التي يعجز عنها البشر، كبناء الصروح الضخمة والقصور العالية والقصور والبراسيات والجفان التي تشبه الأحواض، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنٍ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِ رَبِّنَا نَبْذِقُهُ مَن عَذَابُ السَّعِيرِ، يَعْمَلُونَ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقَدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ﴾⁽³⁾ ومن أبرز ما بناه سليمان هو بيت للعبادة، والمعروف باسم "هيكل سليمان"⁽⁴⁾ ويعتقد أنه في مكان الحرم القدسي حاليا وإلى الشمال من موقع أورشاليم القديمة، وأن أحجاره قد تم قطعها من محجر يقع شرق باب العمود⁽⁵⁾، أما أخشابه فقد جيء بها من لبنان، ولعل بداية فكرة بناء الهيكل تعود إلى عهد الملك داود بعد أن استقر في أورشاليم⁽⁶⁾، وذلك تعويضا عن الخيمة المتنقلة التي توارثها بنو إسرائيل من زمن موسى عليه السلام، وبالتالي فإن بناء الهيكل

(1) سورة ص، الآية 37.

(2) سورة النمل، الآية 44.

(3) سورة سبأ، الآية 12-13.

(4) هيكل أي معبد وهي كلمة قد أستعيرت من المفردات الكنعانية، وكلمة "هيكلو" مأخوذة من الكلمة السومرية "أجال" أي بيت عظيم ونقلت إلى الكنعانية، وهذه الكلمة مستعملة في أغلب لغات العالم القديم. للمزيد أنظر: سليم حسن، مصر القديمة، ج9، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001، ص 515؛ عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، ط1، دار عمار، عمان، الأردن، 1997، ص37.

(5) يحيى وزيري، التطور العمراني لمدينة القدس الشريف، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، 2005، ص12.

(6) للمزيد حول موضوع بناء بيت الرب "الهيكل" اقرأ الحوار الذي دار بين النبي الملك داود والنبي ناثان. سفر صموئيل الثاني، الإصحاح7، الآية

(17-1).

وانتقال العبادة من خيمة الاجتماع إليه، يرمز إلى الانتقال من النظام القبلي إلى النظام الملكي - ، حيث اشترى هذا الأخير كما تزويه التوراة أرضاً من (أرونة) اليبوسي ورصد له مستلزمات البناء، لكن انشغاله بفرض الأمن وتأديب الشعوب المناوئة حالت دون ذلك، إلا أن مهمة البناء لم تكتمل إلا في عهد سليمان، "والآن فقد أراحني الرب إلهي من كل الجهات، فلا يوجد خصم ولا حادثة شر، وها أنا قائل على بناء بيت لاسم الرب إلهي كما كلم الرب داود أبي قائلاً: إن ابنك الذي أجعله مكانك على كرسيك هو يبني البيت لاسمي"⁽¹⁾، ومن الواضح أن بني إسرائيل آنذاك لم تكن لديهم دراية في مجال العمارة وفنون البناء، لذا عمد سليمان في الاستعانة بخبرة بنائين من مدينة صور⁽²⁾، التي كان ملكها (حيرام) على علاقة طيبة مع سليمان الملك، وقد سخر في بنائه ثلاثون ألف عامل من رعاياه بالتناوب فكانوا يشتغلون شهراً في صور عند ملكها حيرام وشهرين في بلادهم مزاولين عملهم المعتاد⁽³⁾، ويذكر في التاريخ أن كنعانيي لبنان برزوا بشكل كبير في مجال العمارة لكونهم سكان مدن، كصور وصيدا⁽⁴⁾ وجبيل، وأسهموا في تزيين قصور الملوك في البلدان المحيطة بهم، وهذا ما ذكره الإصحاح الرابع عشر من سفر أخبار الأيام الأول: "وأرسل حيرام ملك صور رسلاً إلى داود وخشب أرز وبنائين ونجارين ليبنوا له بيتاً"⁽⁵⁾ ولقد ورد في الكتاب المقدس النمط المعماري الذي تم بناء الهيكل عليه، "والبيت الذي بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وسمكه ثلاثون ذراعاً، والرواق قدام هيكل

(1) سفر الملوك الأول، الإصحاح 5، فقرة 4-5.

(2) صور من أهم المدن الفينيقية، وفقاً للمصادر المادية والكتابية فإن مدينة صور تأسست في بدايات الألف الثالثة قبل الميلاد، تقع المدينة اليوم على طرف شبه جزيرة فوق رأس صخري يتصل بالساحل اللبناني بواسطة بقعة رملية، عرفت صور أوج ازدهارها في عهد الملك حيرام وذلك من خلال النشاط العمراني والتجاري الهائلين إلى غاية سقوطها بعد الحصار الذي ضربه الاسكندر الأكبر عليها، حيث تم الإستلاء على المدينة بعد المقاومة الباسلة من قبل سكانها الذين لم يستسلموا بسهولة للغزاة. للمزيد أنظر: عبد المالك سلاطينة، المستوطنات الفينيقية البونية في الحوض الغربي للمتوسط، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2010، ص 89 وما بعدها.

(3) سليم حسن مصر القديمة، ج 9، دط، مطبعة فؤاد الأول، 1952، ص 515.

(4) صيدا تعد ثاني مدينة من حيث الأهمية التاريخية بعد صور سيطرت على البحر الأبيض المتوسط إلى جانب جبيل وصور، تقع صيدا على بعد 45 كم إلى الجنوب من بيروت، 40 كم شمال صور أي في مكان وسط تقريبا بين بيروت وصور. للمزيد أنظر: علي أحمد سليم، تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل التاريخ حتى نهاية العصر الأموي، ط 3، جوهرة الشام، دمشق، 1994، ص 30.

(5) سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح 14، فقرة 1.

البيت طوله عشرون ذراعاً حسب عرض البيت....⁽¹⁾، ويذكر المؤرخ الأمريكي (ويلز) في وصفه للهيكل "لقد كانت قياسات هيكل سليمان عبارة عن قياسات قصر صغير..⁽²⁾، وقد بالغت التوراة في وصف الهيكل الذي كانت تزينه زخارف من الذهب الخالص، وإن كان هذا الأمر مشكوكاً في مصداقيته، ولا يلامس الحقيقة كما يذهب إليه المؤرخ (روبنسون) إذ يقول: "إن هذا الأمر مع أنه غير ممكن تاريخياً، فهو محل تساؤل من وجهة النظر النقدية، مما يجعلنا نستبعد صحته بالنسبة لمعظم أنحاء الهيكل"⁽³⁾ وإذا كانت التوراة تخبرنا عن شكل المعماري للهيكل "بيت الرب" فإن القرآن الكريم لم يرد فيه أي تفصيل لا عن شكله أو بانيه، ماعدا المكان الذي أقيم فيه هذا الصرح المعماري تحت مسمى المسجد الأقصى في سورة الإسراء، في قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع العليم﴾⁽⁴⁾. وبناء على ما سبق فإنه لا يخامرنا ريب بأن ما جاء في التوراة بخصوص الهيكل مليء بالمغالطات والمبالغات⁽⁵⁾ من الذين كتبوا هذه الأسفار، ربما أرادوا من وراء ذلك إظهار الملك سليمان بمظهر الأبهة التي كانت سائدة لدى ملوك الآشوريين والبابليين⁽⁶⁾، والحقيقة أنه رغم الخيرات التي منّ بها الله سبحانه وتعالى على سليمان في قوله تعالى: ﴿فلما جاء سليمان قال أتمدوني بما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾⁽⁷⁾ إلا أن سليمان كان نبياً زاهداً ولم يكن من المبذرين.

(1) سفر الملوك الأول، الإصحاح 6، فقرة 2، 3، 4.

(2) H.G.Wells, The Outline of History, Cassell and Co., Ltd, Twelfth Edt, London, 1951, P263.

(3) Robinson, Theodor, Op.cit., PP250-251.

(4) سورة الإسراء، الآية 1.

(5) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ج1، ط5، مطبعة المعارف، القدس، 1999، ص14.

(6) هشام محمد أبو حاكم، مسجد داود وليس هيكل سليمان، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، 2008، ص84.

(7) سورة النمل، الآية 36.

على أية حال فإن البيت الذي بناه سليمان (الهيكل) قد تم تدميره أثناء غزو نبوخذ نصر للقدس سنة 586 ق.م، كما استباح الغزاة القدس وأشعلوا فيها النيران⁽¹⁾.

إلى جانب دور العبادة اهتم سليمان ببناء المدن ذات الاختصاصات المختلفة، من مدن المخازن التي يعتقد أنها كانت مخصصة للتموين، وقد تم تشييدها على جوانب الطرق والمحطات التجارية الرئيسية لتزويد حركة القوافل التجارية بما تحتاج إليه من ضروريات الحياة كالمياه الصالحة للشرب لسقاية المارة وأعلاف الحيوانات التي كانت وسيلة نقل البضائع، ومدن المركبات ومدن الفرسان المخصصة بالاهتمام بالخيل وتربيتها⁽²⁾، وقد تم تحصين هذه المدن بأسوار تسمح لها بمقاومة أي هجوم أو حصار محتمل لأكثر الأعداء، كما زودت هذه المدن بنظام توصيل المياه الصالحة للشرب عبر أنفاق تحت الأرض لتأمين وصولها في أوقات الحصار⁽³⁾، ومن هذه المدن نجد مدينة "دان" و"مجدو" و"حاصور"⁽⁴⁾، وغيرها، ولعل النص الديني المذكور في سفر الجامعة الذي ينسب إلى الملك سليمان مايدل على ذلك " بنيت لنفسي بيوتا، غرست لنفسي كروما، عملت لنفسي جنات وفرايدس، وغرست فيها أشجار، من كل نوع ثمر عملت لنفسي برك مياه لتسقى بها المغارس المنيتة الشجر"⁽⁵⁾ هذا وقد كانت حركة العمران الهامة والنشطة من أبرز علامات الرقي والإزهار التي سادت إبان فترة حكم سليمان والمتأثرة بالنمط المعماري لبلاد فينقيا ومصر تحديدا، والتي استخدمت فيها الأحجار المنحوتة والتيجان لتزيين المباني⁽⁶⁾.

أما في مجال النشاط التجاري فقد ظهر هذا النشاط وبشكل واسع وعلى نطاق ملحوظ، في داخل المملكة وخارجها في عهد الملك سليمان، - حتى عد عصره بعصر التجارة، كما

(1) رشاد محمود عبد المجيد بغدادي، المرجع السابق، ص266.

(2) W.F. Albright , From the stone Age to cristianity, second ed, The Johns Hopkins Press,1946, P 127.

(3) إسرائيل فنكلشتاين، ونيل إشرسيلبرمان، المرجع السابق، ص232.

(4) مجدو جازر وحاصور وهي المدن الكنعانية الثلاثة التي أعاد سليمان بناءها بعد أن كانت مهجورة، وحولها إلى مراكز إدارية تابعة له مباشرة بعيدا عن الولاءات القبلية. للمزيد أنظر: فراس سواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص167.

(5) سفر الجامعة، الإصحاح2، فقرة 4-6.

(6) أبراهام ملمات، حاييم تدمور، المرجع السابق، ص219.

لقّب بالملك التاجر⁽¹⁾، ويظهر ذلك من خلال ازدياد حركة الأسواق الداخلية، ولجؤه إلى عقد المعاهدات والاتفاقيات مع الممالك المجاورة، كالعُمونيين والمؤابيين والأراميين والكنعانيين والحيثيين، ومملكة صور التي كانت تربط ملكها (حيرام) علاقة صداقة متينة بالملك سليمان⁽²⁾، بل تعدى هذه البلدان إلى أقطار أخرى كما حصل مع ملكة سبأ، في إطار حركة تجارة القوافل بين جنوب شبه الجزيرة العربية وفلسطين، وربما هذا هو سر الزيارة التي رتبها ملكة سبأ بلقيس إلى أورشاليم لملاقاة الملك سليمان؛ من أجل تأمين طرق القوافل التجارية⁽³⁾ في الشمال التي تمر عبرها التجارة القادمة في الجنوب، فقد كان طريق القوافل الرأسي الذي يبدأ من عدن في الجنوب ويسير في حذاء جبال السراة حتى ريدان، ويتفرع منها طريق يتجه صوب موانئ الخليج وبلاد الرافدين وهو الطريق الذي عرف بطريق (الملك)، وتمر بعض أجزائه بمدن فلسطين، مثل بيت لحم والسامرة، غزة وغيرها⁽⁴⁾، ويعتقد أن الملك داود ومن بعده ابنه سليمان حرصا على السيطرة على جزء من طريق القوافل الذي يمر بشرق الأردن، وجنوب فلسطين، قصد التحكم في المنافذ الرئيسية للتجارة العربية من أجل جباية المكوس والإتاوات وفرض الضرائب⁽⁵⁾، وقد أسهبت كتابات نصوص التوراة وكتابات بعض المؤرخين والجغرافيين في ذكرها، فقد اعتبرت التوراة جزيرة العرب مصدرا هاما لبعض المواد الكمالية التي يحتكرها المترفون، كالذهب، والعطور، والبخور، وريش النعام، والخيول العربية الأصيلة⁽⁶⁾، ويعتقد أن مصر كانت هي المصدر الرئيسي لتمويل سليمان بالخيول والمركبات⁽⁷⁾ الخاصة بالصيد والحرب، والتي برع في صناعتها المصريون، وقد ورد في التوراة ما يدل على ذلك، " وكان تجار سليمان يستوردون الخيل من

⁽¹⁾ Robinson, Op.cit. , P 256.

⁽²⁾ مازيل، جان، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ت، ربا الخش، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 1998، ص 48.

⁽³⁾ Montgomery, James, Arabia and the Bible, University of Pennsylvania, Pres, Philadelphia, 1934, P 175.

⁽⁴⁾ بلقاسم رحمانى، المرجع السابق، ص 194.

⁽⁵⁾ نفسه، ص 195.

⁽⁶⁾ Théophraste, Histoire des Plantes, les belles lettres, Paris , L IX,4.

⁽⁷⁾ G, Maspero, Histoire ancienne des peuples de l'orient, troisième éditions, Paris, 1921, P 392.

كليكتية والمركبات من مصر ويصدرونها لملوك الحثيين والآراميين وكانت المركبة بستمائة قطعة من الفضة والفرص بمائة وخمسين⁽¹⁾.

نظرا لضعف مردود قطاع الزراعة وشح الموارد الزراعية في مملكة سليمان، وفي الوقت الذي حققت فيه التجارة البرية رواجاً، لجأ هذا الأخير إلى توجيه مشاريعه الاقتصادية نحو التجارة البحرية، لذا عمد في الاستجداد بخبرة الفينيقيين في بناء أسطول بحري كبير في عرض مياه البحر الأبيض المتوسط، وقد ذاعت في مدينة صور شهرة مراكب "تارشيش" دلت عليها نصوص التوراة من خلال الاهتمام البالغ الذي أولاه الملك سليمان لها⁽²⁾، حيث تروي نصوص الكتاب المقدس "وعمل الملك سليمان سفناً في عيصون جابر التي بجانب أيلة على شاطئ بحر سوف في أرض أدوم، فأرسل حيرام في السفن عبيده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان فأتوا إلى أوفير وأخذوا من هناك ذهباً أربعمئة وزنة وعشرين وزنة وأتوا بها إلى الملك سليمان⁽³⁾ وفي مقطع آخر نقرأ "وكذا سفن حيرام التي حملت ذهباً من أوفير أتت من أوفير بخشب الصندل كثيراً جداً وبحجارة كريمة"⁽⁴⁾، "لأنه كان للملك في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام. فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنوات، أتت سفن ترشيش حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وقروداً وطواويس"⁽⁵⁾. ومما لا شك فيه أن موانئ مدينة صور⁽⁶⁾ وصيدا وجبيل وأوغاريت أصبحت مراكز تجارية ذات أهمية بالغة تمر عبرها

(1) سفر الملوك الأول، الإصحاح 10، فقرة 82-89.

(2) سفر الملوك الأول، الإصحاح 10، فقرة 22.

(3) سفر الملوك الأول، الإصحاح 9، فقرة 26-28.

(4) سفر الملوك الأول، الإصحاح 10، فقرة 11.

(5) سفر الملوك الأول، الإصحاح 10، فقرة 22.

(6) صور من أعظم المدن الفينيقية ومن أعرقها تاريخاً، شهدت أعظم الأحداث التي جرت على أرض فينيقيا، ورد ذكر المدينة في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، خلد ذكرها الشاعر (نونوس) في ملحمة الديونيزية إذ قال على لسان الإله باخوس ابن الإله زوس: " أيتها العذراء لن أقطن السماء بعد الآن لحبي لكي، فمثواك أجمل من الألومب". للمزيد أنظر: سفر يوشع، الإصحاح 19، الآية 29؛ سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 5، الآية 11؛ إنجيل متى، الإصحاح 11، فقرة 21-22.

السلع الفينيقية إلى مختلف أنحاء العالم القديم⁽¹⁾ بما فيها مملكة سليمان، ونقرأ بالنص عند هيرودوت ما يشير إلى ذلك "يقال أنه بعد وصولهم من البحر الإريتيري إلى هذه السواحل، واستقرارهم بالأرض المحيطة بها، قاموا برحلات طويلة حاملين سلعا مصرية وآسيوية إلى مختلف الأصقاع"⁽²⁾ وكذلك يثمن الجغرافي سترابون خبرة الفينيقيين في ركوب البحر وممارسته للتجارة بقوله: "إن خبرة الفينيقيين البحرية معترف بها قديما، حيث غامرو إلى ما بعد أعمدة هرقل"⁽³⁾ وأسسوا مدنا تتوسط طريق السواحل الليبية"⁽⁴⁾.

في مجال التعدين اهتم الملك سليمان بالصناعة وأولاهها بالغ اهتماماته، وارتكزت أساسا في صهر النحاس، ولقد برزت بشكل واضح في الأعمال والأشغال التي واكبت بناء الهيكل التي أسندت لملك صور حيرام، حيث ورد في سفر الملوك ما يدل على ذلك 'كان ممثلا حكمة وفهما ومعرفة لعمل كل عمل في النحاس، فأتى إلى الملك سليمان وعمل كل عمله'⁽⁵⁾. ولقد ورد في القرآن الكريم بالنص كيف أن سليمان كان يتحكم في طرق صهر النحاس، يقول الله سبحانه وتعالى: {ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير}⁽⁶⁾، كما منّ الله تعالى على عبده داود بحسن الصوت ولين الحديد، أنعم الله تعالى على سليمان النبي الملك الريح التي تحمله وتحمل من معه إلى مكان يريد، كما أسال له عينا من النحاس المذاب يصنع منها ما يشاء، حتى أن علماء الآثار توصلوا إلى دراسات

(1) راهم نور الدين، التجارة عند الفينيقيين 1200 ق.م - 814 ق.م، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010، ص75.

(2) Hérodote, Histoire, trad. Par, P.H.E legrand 5eme édition, les belle lettre, paris, 1972, L I, 1.

(3) أعمده هرقل: تعرف اليوم بمضيق جبل طارق، سميت بأعمدة هرقل نسبة إلى القائد الإغريقي الأسطوري الذي يقال أنه عبر بجنوده المضيق متجها إلى بلاد المغرب القديم من شبه جزيرة إيبيريا، أما من الناحية الشكلية فإنه يحتمل أن تكون أعمدة هرقل راجعة إلى عمودي البرونز اللذين كانا يزينان مدخل هيكل ملقارت في قانس على أبواب المحيط الأطلسي، ثم أصبحت تعني المضيق الذي يفصل إفريقيا عن أوروبا. للمزيد أنظر: عرب معن، صور حاضرة فينيقيا، دار المشرق، ط1، بيروت، لبنان، 1970.

(4) Strabon, géographie, Tard, Amédée Tradien, ed, hachette, Paris, 1880, L I, 3.

(5) سفر الملوك الأول، الإصحاح 7، فقرة 14.

(6) سورة سبأ، الآية 12.

أثبتت بالأدلة أن عصر سليمان تميز بشكل لا يدع مجالا للشك من الاستخدامات الواسعة للنحاس، من خلال ما عثروا عليه من أدوات الطقوس النحاسية التي كانت تستخدم داخل الهيكل⁽¹⁾، وفي الثلاثينيات من القرن الماضي وأثناء عملية التنقيب الأثري التي قام بها العالم الأميركي (نيلسون جلوك) لمنطقة "أدوم" جنوب الأردن، تم العثور على ما يعتقد أنه مناجم الملك سليمان عليه السلام في منطقة "فينان" بوادي عربة، على بعد 220 كم جنوب (عمان) حالياً، وقد بين (نيلسون جلوك) أن العمال الذين تم تسخيرهم في عملية التنقيب كانوا مما يعتقد أنهم من العبيد أو من المساجين، نظرا لظروف العمل الشاقة التي كانت تتطلبها طبيعة هذا العمل⁽²⁾، والشواهد الأثرية الموجودة تدل على أن معظم نتائج التحاليل الكربون المشع رقم 14 لتأريخ هذه المواقع، تعود إلى القرن العاشر قبل الميلاد، والتي يعتقد أنها فترة حكم النبي الملك سليمان، هذا وتبقى حقيقة هذه المناجم وصدق نسبتها للملك سليمان، أمرا غير محسوم، كما يحتاج إلى المزيد من الأدلة والبراهين.

(1) Albright, Archaeology And the religion of Israel, Fifth Edition, The John Hopkins Press, Baltimore, 1968, PP 136,137.

(2) أحمد عيسى الأحمد، المرجع السابق، ص 127.

الفصل الثالث

يهوذا والسامرة من
الانفصال إلى التمزق
والشتات

1- المملكة الإسرائيلية بعد وفاة الملك سليمان:

ب وفاة سليمان النبي الملك في حدود عام 923 ق.م زالت القداسة الدينية التي تمتع بها بنو إسرائيل في فترة حكم كل من النبي داود وابنه سليمان، إذ سرعان ما دبت الفرقة داخل المملكة الموحدة حيث انقسمت إلى مملكتين: مملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها أولا في "شكيم" ⁽¹⁾ تعرف حالياً باسم "تل بلاطة"، ثم "تزره" ثم "السامرة" وكانت تضم كل أسباط بني إسرائيل ماعدا قبيلة يهوذا وبنيامين، وقد شملت هذه المنطقة الواقعة بين (بيت إيل) قرب (رام الله) حالياً وواد حزرائيل جنوباً لتشمل مناطق إلى شرق نهر الأردن، نسجت العديد من العلاقات السياسية والاقتصادية مع الممالك المجاورة لها مثل المؤابيين والآراميين. ومملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها "أورشاليم" (القدس) وكانت تضم قبيلتي يهوذا وبنيامين، احتدم الصراع بين المملكتين ودارت بينهما حروب طاحنة، وتوالت عليهما الهجمات المتتالية من الفراعنة والآراميين والبابليين والآشوريين ⁽²⁾، كما كان لكل منهما أيام انحطاط وازدهار كما سيأتي ذكره لاحقاً، فما هي يا ترى أسباب هذا الانقسام الذي حدث لبني إسرائيل؟ خصوصاً إذا علمنا أن أسفار العهد القديم تكاد تجمع كلها على العهد والالتزام الذي قطعه إله بني إسرائيل "يهو" بأن تكون لهم دولة قوية متحدة مستقرة آمنة مقرها "أورشاليم".

ورد في سفر الملوك الأول ما يشير إلى أسباب تمزق وحدة بني إسرائيل، حيث نقرأ: " فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرب، فقال الرب لسليمان: «من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق عنك المملكة تمزيقاً، وأعطيتها لعبدك، إلا أنني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبوك بل من

(1) شكيم: هي أحد أهم سبط أفرايم وقد كشفت حفائر السامرة عن وجود هذا الاسم منذ عصر العمارنة، ويعتقد أنها المكان الذي خيم بالقرب منها سيدنا إبراهيم(ص). راجع سفر التكوين، الإصحاح 12، الآية 6. وفي أيام يعقوب عندما عاد إلى كنعان كان الحوريون يقيمون فيها. راجع سفر التكوين، الإصحاح 34، فقرة 2.

(2) محمد العضايبة، القدس بوابة الشرق الأوسط، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007، ص 31.

يد ابنك أمزقها، على أنني لا أمزق المملكة كلها بل أعطي سبطا واحدا لابنك لأجل داود عبدي ولأجل أورشاليم التي اخترتها»⁽¹⁾.

لا شك أن مدوني العهد القديم ومفسريه يرجعون أسباب انقسام بيت بني إسرائيل بعد وفاة سليمان عليه السلام إلى الذنوب الكثيرة التي ارتكبتها حكام بني إسرائيل، وفي مقدمتها الذنوب التي اقترفها سليمان حسب ما ترويه نصوص العهد القديم، خصوصا ما تعلق منها في مسألة انصرافه عن عبادة إله بني إسرائيل "يهو"، وعبادته لآلهة أخرى ونقرأ في هذا المجال بالنص في سفر الملوك الأول «وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملنا قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين وملوكهم رجب العمونيين، وعمل سليمان الرجب في عيني الرب، ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه...»⁽²⁾ فكانت النتيجة، ما ورد في سفر الملوك الأول الإصحاح الحادي عشر «فقال الرب لسليمان: من أجل ذلك عندك، ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها، فإني أمزق المملكة عنك تمزيقا، وأعطيها لعبدك، إلا أنني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبيك، بل من يد ابنك أمزقها. على أنني لا أمزق المملكة كلها، بل أعطي سبطا واحدا لابنك لأجل داود عبدي، ولأجل أورشاليم التي اخترتها»⁽³⁾. وتشير التوراة على لسان أشيعا وهو أحد أنبيائهم «ويل للأمة الخاطئة، الشعب الثقيل الآثم نسل فاعلي الشر، أولاد مفسدون تركوا الرب، واستهانوا بقدوس إسرائيل، ارتدوا إلى وراء»⁽⁴⁾.

لقد بالغ مدونو التوراة في الافتراء على نبي الله سليمان، فقول التوراة هذا ليس له أساس من الصحة، بل هو نسيج من الأساطير، فحاشا أن يكون نبي الله سليمان الذي كلفه الله سبحانه وتعالى بالنبوة وأحاطه بالعصمة من الوقوع في الخطايا والذنوب، وكان

⁽¹⁾فقرّة ملوك الأول، الإصحاح 11، فقرّة 9-13.

⁽²⁾سفر الملوك الأول، الإصحاح 11، فقرّة 4-8.

⁽³⁾سفر الملوك الأول، الإصحاح 11، فقرّة 11-13.

⁽⁴⁾سفر أشيعا، الإصحاح الأول، فقرّة 4.

محبا للخير كما قال رب العزة في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾⁽¹⁾ إذ هل يعقل أن يتزوج سليمان ابنة الملك الفرعوني الذي دمر مدينة جازر وقدمها مهرا لابنته؟، حتى وإن جاز هذا فحري به أن لا يقدم لابنته أطلال مدينة تهاوى بنيانها، ناهيك على أن هذا التقليد في الزواج يتنافى مع التقاليد الفرعونية التي تمنع زواج الأميرات المصريات من ملوك الدول الأجنبية، إذ لم يسجل تاريخ مصر الفرعونية على حد علمنا وعبر جميع عصورها زيجة من هذه الزيجات التي تحدث عنها النص التوراتي⁽²⁾.

أما إذا عدنا إلى الدراسات التاريخية فقد تباينت وجهات النظر بين المؤرخين حول مسألة أسباب الانقسام الذي حدث داخل مملكة بني إسرائيل الموحدة، خاصة بعد وفاة الملك النبي سليمان عليه السلام، فالمؤرخ "ول ديورانت" يرجع سبب الانقسام الذي حدث لمملكة سليمان الموحدة كان نتيجة التحول الذي عرفته البلاد في نمطها الاقتصادي من دولة زراعية إلى دولة صناعية أراد من خلالها الملك سليمان، أن يساير ما كان حاصلا من تطور ورقي في الدول المجاورة، كمصر وبلاد ما بين النهرين وفينيقيا، من انتقال صناعي مميز، وهذا ما ترتب عنه زيادة الأعباء المالية التي كان مصدرها الضرائب المفروضة على الشعب. كما لعب التباين الاجتماعي والثقافي والعنقي دور مهم في تمزيق أسباط بني إسرائيل الاثني عشر، وما مرحلة داود وابنه سليمان إلا طفرة تاريخية نعم فيها بنو إسرائيل بالوحدة في ظل مشكاة النبوة.

أما "روجي غارودي" فيذهب في سبب الانقسام والانشقاق الذي حدث بين مملكة يهوذا والسامرة فيعود إلى استئثار "اللاويين" بشؤون العبادة وطقوسها، حيث يقول في هذا الشأن "غارودي": « لم يكن انقسام بني إسرائيل بسبب التركيبة الناشئة بين المملكة الشمالية

(1) سورة ص، الآية 32.

(2) فراس سواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، المرجع السابق، ص 65.

والجنوبية فحسب، وانما كان بسبب خصومة دينية قديمة، فالأماكن المقدسة التقليدية للقبائل أمثال "شكيم"، "بيت إيل"، "شلوة" كانت في الشمال؛ ولهذا كان اتخاذ "أورشاليم" مركزا للسلطة، وعاصمة ومقرا لتابوت العهد بقرار سياسي بحث من قبل داود، قد بدا في نظر سكان المملكة الشمالية إلغاء للتقاليد، واغتصابا للسلطة من قبل داود المنتمي للملكة الجنوبية، الأمر الذي أدى إلى ممارسة الشماليين لعباداتهم على أرضهم على الجبل المقدس "جرزيم" ⁽¹⁾.

التوجه العلماني الذي انتهجته مملكة الشمال الذي كان سمة بارزة عند الملك "يربعام" عندما أنشأ معابد في مملكته لتكون منافسة لهيكل أورشاليم؛ إذ أنه ونتيجة تأثره بعبادة العجل عند المصريين، أمر بصنع عجولين ذهبيين ووضعهما في المعابد المقدسة في كل من "بيت إيل" و"دان". ⁽²⁾ وندب فريقا من الكهنة لخدمة المعبد وأداء الطقوس الدينية، وقد أقدم "يربعام" على هذا العمل من أجل تعويض الأسباط الشمالية عن فقدان "تابوت العهد" الذي احتكرته "أورشاليم" لنفسها دون سواها ⁽³⁾ وهذا السلوك هو الذي أدى إلى حدوث صدام دموي بين المملكتين فيما بعد.

الانقلابات والمؤامرات شهدت مملكة إسرائيل بعد حكم "يربعام بن نباط" تنافس أسري محمود حول السلطة، كان في كثير من الأحيان يصل إلى درجة تدبير الاغتيالات السياسية والمؤامرات الدنيئة ⁽⁴⁾، ولعل اقدام "بعشا بن أحيا" على "ناداب بن عمري" فقتله ونصب نفسه مكانه ملكا على مملكة إسرائيل، ولتأمين ملكه أقدم على قتل كل بيت "ياربعام" ولم يترك ذا نسمة إلا وقتله ⁽⁵⁾. استمرت الحروب سجالا بين يهوذا وإسرائيل، كان من أبرزها ما قام به

⁽¹⁾ روجيه جارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ت قصي أتاسي و ميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1991، ص102.

⁽²⁾ سفر الملوك 1، الإصحاح 12، فقرة 25-32.

⁽³⁾ سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 64.

⁽⁴⁾ نجيب زينب، التاريخ الحقيقي لإسرائيل منذ نشأتهم الأولى وحتى الآن، ط3، دار الهادي، بيروت لبنان، 2007، ص153.

⁽⁵⁾ سفر الملوك الأول، الإصحاح 16، فقرة 9-11.

"ياهو" الذي اعتلى سدة الحكم على إسرائيل متهما البيت العمري بالفساد والانحلال الخلقي، وهذا ما دلت عليه نصوص سفر الملوك الثاني «هكذا قال الرب إله إسرائيل فاضرب بيت آحاب سيدك وانتقم لدماء عبيدي فيبيد كل بيت آحاب».⁽¹⁾

التمرد الذي قاده قبائل الشمال، إذ أخبرنا سفر الملوك الأول حيث أنه بعد وفاة الملك سليمان وتولي ابنه الحكم خلفا له طالبت القبائل الشمالية من "رحبعام" بتخفيف أعباء الضرائب التي كان قد فرضها عليهم والده، لكن هذا الأخير لم ينصاع لهذه المطالب، إذ قال: «أبي أثقل نيركم وأنا أزيد على نيركم. أبي أدبكم بالسياط وأنا أدبكم بالعقارب»⁽²⁾، فانتشرت نتيجة ذلك حالة من التمرد تمثلت في مطالبة قبائل الشمال الانفصال ورفضهم الانصياع لحكم "رحبعام"، بينما بايع الأسباط العشرة "يربعام" ملكا على إسرائيل.⁽³⁾

لقد سبق أن ذكرت نصوص العهد القديم بأن القبائل الشمالية كانت أكثر عددا، وأنها احتلت أرضا أوسع من تلك التي كانت في الجنوب، وبالتأكيد لم يكن مصادفة أن يحكم أول ملك لبني إسرائيل وهو "شاول" لكن هذا الأخير حسب رواية العهد القديم انتهك شرائع العبادة⁽⁴⁾، فنزع الرب بركته من هذا الزعيم، ونتج عن ذلك أن اتجه شيوخ القبائل الشمالية إلى داود حيث توجهوا ملكا على كل بني إسرائيل؛ يضاف إلى ما سبق فإنه وبالرغم مما عرف عن مملكة إسرائيل من غنى وازدهار بسبب خصوبة الأراضي التي استوطنوها، ورغم ما عرف من انفتاحها على بقية العالم الكنعاني، التي صارت جزء منه بعكس مملكة الجنوب التي كانت تعاني العزلة والانكفاء على ذاتها إلا أن يهوذا وصفت بأنها المملكة الأقوى، وأنها كانت تنتظر إلى سكان القبائل الشمالية بأنهم رعايا خاضعون لها⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ سفر الملوك الثاني، اصحاح 9، فقرة 7-8

⁽²⁾ سفر الملوك 1، الإصحاح 12، فقرة 14.

⁽³⁾ سعد المرصفي، المرجع السابق، ص 111.

⁽⁴⁾ سفر صموئيل 1، الإصحاح 15، فقرة 11.

⁽⁵⁾ فراس سواح، الحدث التوراتي، والشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص 207.

لم يستمر حكم بني إسرائيل في فلسطين أكثر من أربعة قرون حكموا في معظم الوقت بعضاً من أرضها، وكان حكمهم في غالب الوقت ضعيفاً مفككاً، وخضع أحياناً لهيمنة ونفوذ قوى أجنبية معادية، بينما ظل أصحاب الأرض الفلسطينيون في أرضهم فلم يهجروها أو يرحلوا عنها⁽¹⁾. وفي هذا الصدد يقول "فنكلشتاين" و "ن. سبلرمان": «لا وجود لشواهد أركيولوجية مقنعة على وجود مملكة تاريخية موحدة اشتملت على جميع أراضي فلسطين وعاصمتها أورشاليم»⁽²⁾.

2- مملكة الشمال وأهم ملوكها: حكمت من 930 ق.م. مع بداية الانقسام، مع أول ملوكها يربعام بن نباط، وانتهت مع السبي الآشوري سنة 722 ق.م في عهد الملك الآشوري سرجون الثاني⁽³⁾ وآخر ملوكها هوشع بن أيلة أي أنها استمرت نحو مائتي وثمانية سنة، توالى على حكم مملكة إسرائيل تسعة عشر ملكاً، نشروا العبادات الوثنية في أرجاء البلاد، ولم يستجيبوا لدعوات أنبيائهم الذين ظهروا فيهم ودعوا قومهم إلى نبذ الشرك والعودة إلى العقيدة الصحيحة المبنية على وحدانية الله سبحانه وتعالى، ففي هذه المملكة عاش إيليا النبي وتلميذه أليشع النبي المختار، أجرى الله على أيديهما معجزات باهرة، لكن الشعب ظل في طريقه نحو الانحدار السريع لا يلو على شيء. وقد ظهر النبي "إليا" في فترة مظلمة لليهود بعدما تمتعوا بعصر ذهبي أيام حكم الملك "داود" وابنه "سليمان" واقتصر دور النبي إليا في محاولة إرجاع بني إسرائيل إلى عقيدة التوحيد الصحيحة وإنذار قومه بوجوب طاعة الله تعالى والابتعاد عن عبادة الأوثان. وقد أرسله

⁽¹⁾ محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفيات تاريخية وتطوراتها المعاصرة، طبعة مزيّدة ومنقّحة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، لبنان، 2012، ص15.

⁽²⁾ أحمد الدبش وآخرون، موجز تاريخ فلسطين من أقدم العصور حتى مشارف القرن الحادي والعشرين، ط1، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، 2010، ص298.

⁽³⁾ محمد عوض الهزايمة، الأيديولوجيا اليهودية - دراسة في أيديولوجية مسيرة اليهود التاريخية والإعتقادية، دط، دار الحامد، عمان، الأردن، 2009، ص42.

الله تعالى إبان حكم الملك "أخاب" الذي انتشرت في عهده عبادة الأوثان بتأثير من زوجته "إيزابيل" ذات الأصول "الصورية".

شهدت مملكة إسرائيل الشمالية منذ بداية ظهورها حالة من الصراع الداخلي وللاستقرار سياسي حيث كانت تتنازعها الصراعات الداخلية من جهة والغزوات الخارجية من جهة أخرى، نعمت المملكة بفترة هدوء نسي في عهد الملك "يربعام الثاني" (784 ق.م - 746 ق.م) وهو ما يؤيده (Pfeiffer) الذي يرى أن فترة حكم يربعام الثاني تعد من أفضل فترات المملكة، خاض العديد من الحروب التوسعية اتجه نحو الشمال والشرق حيث استرجع حماة ودمشق من الآراميين بعد أن انتصر عليهم في معارك ضارية⁽¹⁾، حتى شبعت فترة حكمه بعهد الملك سليمان من حيث التوسع والنفوذ، فقد شهدت فترة حكمه حالة من الرخاء والازدهار، إذ انتعشت الصناعة والتجارة، وأصبحت الطرق التجارية التي تربط جنوب أرض كنعان مع مصر تحت سيطرة بني إسرائيل⁽²⁾، وربما من العوامل التي ساعدته على تحقيق هذه الانتصارات، أن مصر كانت متوارية عن الأنظار إذ ذاك كما أن الإمبراطورية الآشورية في ذلك الوقت كان يحكمها ملوك ضعفاء تولوا الحكم تباعاً⁽³⁾، وهم "شلمنصر الرابع"، وآشور دان الثالث "آشور نيراري الخامس"، غير أن الوضع تغير تماماً في عهد تغلاث فلاسر الثالث (745 ق.م - 727 ق.م)⁽⁴⁾ الذي أعاد هيبة الإمبراطورية الآشورية. لم تنعم مملكة إسرائيل بالهدوء والهناء الذي عرفته في عهد الملك "يربعام الثاني" إذ سرعان ما عادت الاضطرابات والاغتيالات والصراعات الداخلية على الحكم من جديد، ومن أهم ملوكها نذكر مايلي:

⁽¹⁾Pfeiffer. Charles.F, An Outline of Old Testament History, Chicago,moody Press,1981,P92.

⁽²⁾عماد خضير سلمان، سياسة التهجير الآشوري والبابلي لليهود ودور الفرس في ضوء أسفار العهد القديم دراسة تاريخية مقارنة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2015، ص10.

⁽³⁾عماد خضير سلمان، المرجع نفسه، ص 9.

⁽⁴⁾فليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، المرجع السابق، ص213.

- **يربعام بن نباط (يربعام الأول):** يعد أول ملوك مملكة إسرائيل الشمالية كان من أبرز المقربين للملك سليمان أيام حكمه، كما أشتهر ببطولاته العسكرية الخارقة وقد أطلق عليه في العهد القديم لقب " عبد لسليمان"⁽¹⁾، ونظرا لقربه من صناعة القرار في عهد الملك سليمان الأمر الذي ساعده فيما بعد على تبني ثورة المستضعفين التي قادها في أواخر أيام حكم سليمان، مما جعل أسباط الشمال تتطلع إليه للحديث باسمها⁽²⁾، لولا تدخل الملك سليمان الذي أمر بتأديبه، لكنه استطاع الهروب إلى مصر في أيام حكم ملكها شيشنق⁽³⁾ الذي أكرم وفادته كونه كان يطمع في الاستيلاء على فلسطين، واستمر بقاءه هناك حتى وفاة الملك سليمان. بدأ حكم المملكة الشمالية عام 931 ق.م واستمر حكمه تقريبا واحد وعشرون عاما، وقد بدأ في تأسيس مملكته في شكيم ثم انتقل بعد ذلك إلى فنوئيل⁽⁴⁾ على نهر اليبوق من وادي الأردن وجعلها مركزا لإدارة مملكته ربما لتجنب الدخول في صراع مع مملكة (يهوذا)، أكثر مما يرجع إلى خوفه من ملك مصر شيشنق⁽⁵⁾. هذا ولم يمكث كثيرا يربعام في قنوئيل إذ سرعان ما يحول عاصمة مملكته إلى غرب الأردن قريبا من جبل أفرام حيث اتخذ من ترصة عاصمة لمملكته التي استمرت عاصمة لمملكة الشمال إلى عهد أسرة عمري 876 ق.م - 869 ق.م. ومحاولة من الملك يربعام في استمرار الولاء الديني التقليدي لعهد المملكة الموحدة عمل على إعادة إحياء المدن المقدسة القديمة وهي بيت إيل، دان، فنوئيل وجعل منها مراكز دينية لمواجهة نفوذ أورشليم (بيت المقدس)، ومن أجل أحداث

⁽¹⁾ سفر الملوك الأول، الإصحاح 11، فقرة 26-27.

⁽²⁾ أنجب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ج2، ط3، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1962، ص318.

⁽³⁾ شيشنق، أو شيشاق، من ملوك الأسرة الثانية والعشرين التي حكمت مصرن وهو من أصول ليبية وقد غزا يهوذا في أيام الملك رحيام. أنظر سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح 12، الآية من 1-4. وامتد ملكه من حدود مصر إلى أرض الجليل ومن بحر الروم إلى صحراء سوريا الكبرى. أنظر: حامد عبد القادر، الأمم السامية، مصادر تاريخها و حضارتها، دط، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، 1981، ص114.

⁽⁴⁾ فنوئيل: أي وجه الله كما وردت في سفر التكوين، " ودعا يعقوب اسم المكان فنوئيل قائلا: لأنني نظرت الله وجهها لوجه". أنظر: سفر التكوين، الإصحاح 32، فقرة 31؛ القديس كيرلس الإسكندري، الكنوز في الثالوث والمساوي، ط1، مؤسسة القديس أنطونيوس المركز الأرثوذكسي للدراسات، القاهرة، 2011، ص184.

⁽⁵⁾ سعيد عطية علي، النبي إلياهو وأثره في الفكر الديني اليهودي، رسالة ماجستير في اللغة العبرية وآدابها، كلية الآداب والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة، 1986، ص29.

قطيعة دينية مع مركز العبادة في الجنوب الذي ظل يستقطب إليه الشعب الإسرائيلي، فبنى لهذا الغرض معبدتين، واحد في بيت إيل والثاني في دان وهي وسيلة ربما اهدى إليها الملك يربعام حتى يحافظ على ولاء شعبه له من جهة، ويوجد نوع من التوازن الديني بين مقدسات القبائل الشمالية ومعبد سليمان في الجنوب من جهة أخرى⁽¹⁾، ومع ذلك لم يفلح في وقف تدفق عدد هائل خاصة من اللاويين وغيرهم من المتدينين إلى مغادرة البلاد والهجرة إلى يهوذا.

- ناداب بن يربعام (909 - 908 ق.م): حكم بعد أبيه ولم يستمر حكمه أكثر من عامين، وصفته التوراة بأنه كان ميّالاً للشر مثل أبيه⁽²⁾، تمرد عليه بعشا بن أخيا من سبط يساكر وتمت تصفيته عندما كان يربعام يحاصر بجيشه مدينة جيشون والتي تعرف اليوم باسم (تل الملات). وبموته انتقل العرش الإسرائيلي من سبط أفرايم إل سبط يساكر

- بعشا بن أخيا: (906 ق.م - 882 ق.م) حكم مدة أربعة وعشرون عاما، عقد تحالفا مع هدد الأول ملك آرام وحاربا سويا مملكة يهوذا، لكن "هدد" غير رأيه بإيعاز من أسا ملك مملكة يهوذا الذي أرسل إلى الملك بن هدد ملك الآراميين مذكرا إياه بالعهد والحلف الذي كان بينه وبين ملك يهوذا أبيا وهذا ما ترويّه نصوص سفر أخبار الأيام الثاني: "إن بيني وبينك وبين أبي وأبيك عهدا هوذا قد أرسلت لك فضة وذهبا فتعالى انقض عهدك مع بعشا ملك إسرائيل فيصعد عني"⁽³⁾ لقد كان هذا السخاء والعطاء الذي حضى به الآراميون من مملكة يهوذا عامل مهم في تغير موقف "بن هدد" وتغير معه كفة الصراع بين مملكة الشمال والجنوب، إذ سارعت جيوش الآراميين في احتلال مدن ومنافذ حدود إسرائيل، حيث نقرأ دائما في نصوص أخبار سفر الملوك الثاني ما يشير إلى ذلك "فسمع بن هدد للملك أسا وأرسل رؤساء الجيوش التي له على مدن إسرائيل فضربوا عيون دان وأبل المياه وجميع مخازن

⁽¹⁾ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص802.

⁽²⁾ سفر الملوك الأول، الإصحاح15، فقرة 25-26.

⁽³⁾ سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح16، فقرة 3 وما بعدها.

نفتالي⁽¹⁾، مما أجبر بعشا بن أخيا الانسحاب والتنازل عن جزء من أراضي مملكته لمملكة يهوذا.

- **إيلة بن بعشا: (883-882)** ملك قرابة العامين ثار عليه قائد جيشه "زمري" حيث قتله في ترصة وأباد جميع نسل بعشا تحقيقاً لنبوة النبي ياهو الذي تنبأ بهلاك أسرة بعشا عن آخرهم، حيث انتقل بعدها الملك إلى بيت عمري⁽²⁾.

- **عمري: (882-871):** "في السنة الواحدة والثلاثين لأسا ملك يهوذا، ملك عمري على إسرائيل اثنتي عشرة سنة وعمل عمري الشر في عيني الرب وأساء أكثر من جميع الذين من قبله " ⁽³⁾ حكم المملكة في فترة شهدت فيها المملكة اضطرابات داخلية، كان قائدا للجيش قبل أن يتولى الحكم، بنى عمري مدينة السامرة والتي تسمى اليوم باسم سبسطية ⁽⁴⁾ واتخذها عاصمة لمملكته الجديدة بدل من مدينة ترصة وذلك بعد أن ملك في ترصة ست سنين، لقبت إسرائيل أثناء فترة حكمه "بيت إسرائيل" عمل عمري على إيجاد نظام مركزي لمملكته بعيد عن منطق النزاع القبلي الذي جاء به من سبقه من الملوك؛ وذلك لتأمين الجبهة الداخلية من أي نزاع محتمل، والوقوف ضد قوة دمشق الآرامية التي باتت تشكل الخطر المحتمل للملكة عمري، الذي سارع لكسب ود الآراميين وعدم الدخول معهم في مناوشات، بل خصص للتجار الآراميين أحياء في السامرة لممارسهم نشاطهم التجاري⁽⁵⁾. لم يكن عمري رجلاً يجيد فن الحرب فقط بل كان حاكماً ذو كفاءة عالية في إدارة البلاد؛ فقد بذل كل جهده من أجل تدعيم السلام والأمن في مملكته وعمل على إرساء قواعد الاستقرار.

⁽¹⁾ نفسه، الآية 4.

⁽²⁾ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص806.

⁽³⁾ سفر الملوك الأول، الإصحاح 16، فقرة 30.

⁽⁴⁾ سبسطية: وهو الاسم الذي أطلقه الملك هيرود في عام 30 ق.م على مدينة السامرة وسمّاها (sabaste) (الجليلية)، تكريماً للإمبراطور الروماني أوغسطس أي الجليل. للمزيد أنظر: سببتيانو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ت، السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دت، ص281.

⁽⁵⁾ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص809.

- الملك أخاب: (871-852): ويعد الملك السابع لمملكة إسرائيل ابن الملك عمري وخليفته من بعده، تزامن حكمه مع عهد النبي إيليا إلياس عليه السلام، تميزت علاقات مملكة الشمال في عهد أخاب مع جيرانها بالود والتقارب، فقد شكل التقارب بينه وبين الآراميين من جهة ومع مملكة صيدا وصور من جهة أخرى عاملا مهما في تأجيل تزايد النفوذ الآشوري، الذي بات يشكل خطرا محدقا على المنطقة⁽¹⁾. ونظرا لتأثره بثقافة زوجته إيزابيل الصيدونية ذات العقيدة الوثنية زاد في عهده الانحلال الديني والخلقي بشكل واضح بين الإسرائيليين⁽²⁾. لقي حتفه عام 852 ق.م على يد الآشوريين.

هذا وقد استمرت مملكة إسرائيل يتناوب عليها ملوك ضعاف كانت تنعم حيناً بالهدوء والامن وحيناً آخر بالحروب والمناوشات بين القوى المحيطة بها خاصة من الآراميين والمؤابيين، إلى تاريخ ظهور شخصية الملك الآشوري (تجلات بلاسر الثالث) الذي اعتلى عرش آشور وفي عهده استطاع إخضاع سوريا وحولها على مقاطعات آشورية، وفرض الجزية على مملكة إسرائيل التي باتت أكثر ضعفا واستمرت على هذا الحال في عهد ملكها هوشع الذي رفض دفع الجزية التي فرضها عليها الآشوريين حيث اغتتم الملك الآشوري سرجون الثاني الفرصة للانقضاض على مملكة إسرائيل عام 720 ق.م وانهاء وجودها وسبي خيرة أبنائها ونقلهم إلى ميديا وباقي الأقاليم الخاضعة لسيطرتهم فيما يعرف بالسبي الآشوري⁽³⁾. (أنظر الملحق رقم 05).

3- مملكة الجنوب (يهوذا 1020-586 ق.م): تشكلت مملكة الجنوب من قبيلتين هما قبيلة يهوذا وقبيلة بنيامين، كانت هذه المملكة رغم كونها الأصغر بين المملكتين إلا أنها تعد الوريثة الشرعية لمملكة سليمان، وكان أول ملوكها (رحبعام) الذي أبقى على أورشاليم (القدس) عاصمة سياسية ودينية لمملكته التي بها هيكل أبوه سليمان، استمر

(1) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، مطبعة المصري، القاهرة، 1968، ص287.

(2) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، دط، مهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث الفلسطينية، القاهرة، 1971، ص45.

(3) محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص288.

حكمه تقريبا قرابة سبعة عشرة عاما، وتبع رحبعام على العرش ابنه ابيا الذي حكم هو كذلك قرابة الثلاث سنوات، ثم جاء من بعده أسا الذي يُعهد إليه العديد من الإصلاحات الدينية والعسكرية التي وردت مفصلة في سفر أخبار الأيام الثاني من الإصحاح الرابع عشر، حيث عمل على محاربة الأوثان إذ نزع تماثيل الشمس التي كانت تزين دور العبادة، وأعاد عبادة يهو، وبنى مدنا حصينة في يهوذا، وجهاز الجيش الذي حقق انتصارات على الكوشيين حسب رواية التوراة، ثم توالى على الحكم العديد من الملوك وهم على التوالي: يهو شفاط، يهورام، اخازيا، عتاليا، يهواش، امتسيا، عزريا، يوتام، اخاز، حزقيا، منشي، أمون، يوشيا، ياهوأحاز، يهوياقيم، يهوياكين، صدقيا⁽¹⁾. مقارنة بمملكة الشمال كانت مملكة يهوذا الجنوبية أكثر استقرارا ربما لفقرها وقلة مواردها الاقتصادية، كما لم يكن موقعها مغريا للغزاة، وصدق فيها ما ذهب إليه المؤرخ محمد بيومي مهران عندما قال: "وأما يهوذا فقد غدت دويلة أهميتها السياسية ضئيلة، وعزلتها بين تلالها في الجنوب، جعلتها ترقب تيارات الإمبراطوريات دون أن تتحرك، ولم تجد القوى الأجنبية أية صعوبة في إقامة علاقات معها، وأما التجار الأجانب فقد تحولوا عنها بازدياد، وقد وجد النفوذ الأجنبي سواء كان ذلك في السياسة ام في الديانة فرصة ليمتد إلى كل شؤونها".⁽²⁾

4- الصراع بين مملكتي إسرائيل ويهوذا: أدى انقسام المملكة الموحدة إلى حدوث صراع عنيف بين مملكتي إسرائيل ويهوذا؛ حيث شهدت تلك الفترة، التي تبدأ من انقسام مملكة سليمان، وحتى دمار المملكتين، محاولة للسيطرة الكاملة على إرث المملكة الموحدة، وصراع آخر موازي له داخل كل مملكة من أجل الهيمنة والسيطرة على الملك. لم يحصل الوفاق بين المملكتين إلا نادرا وحتى وإن حدث فهو ضرفي وبدافع المصلحة، فقد كانت الواحدة منهما

⁽¹⁾ أنمار عبد الجبار قاسم، صراعات الممالك اليهودية في فلسطين في الألف الأول ق. من مجلة مداد الأدب، كلية الآداب الجامعة العراقية، عدد خاص، 2019، ص 1210.

⁽²⁾ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص 795.

تستبيح دماء الأخرى في نزاع إثر نزاع وحتى لأتفه السباب، " وكانت حروب بين رحبعام ويربعام كل الأيام" ⁽¹⁾ ولم تهدأ نار الحرب بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب، ولم تقتصر على فترة دون سواها بل استمرت على مدار تاريخ المملكتين إلى تاريخ دمارهما، وصدق الله العظيم عندما وصفهم الوصف الذي يليق بهم «بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون» ⁽²⁾. فبعد وفاة رحبعام وتولي ابنه أبيا الحكم سنة (913-911 ق.م) الذي حقق انتصارات على غريمه يربعام وحتل أراضي بنيامين وجزء كبيرا من جنوب أفرام، وقد أرجع ذلك الانتصار إلى تحالف ملك آرام مع أبيا، وقد سجل العهد القديم أسماء المدن التي استولى عليها أبيا من يربعام، كما تجددت الحروب بين المملكتين في عهد الملك أسا بن أبيا، حيث استعاد بعشا لمملكة إسرائيل جنوب أفرام ⁽³⁾، كما أخذ في بناء مدينة الرامة لكي يمنع وصول المساعدات إلى أسا ⁽⁴⁾ ملك يهوذا، ولولا مساعدة بن هدد ملك آرام للملك أسا لما انفك الحصار الذي فرضه بعشا على مملكة يهوذا، وذلك مقابل الفضة والذهب التي أخرجها أسا من خزائن الهيكل ومن قصر الملك.

هذا وإن المتتبع لسير هذه الحروب لم تكن لصالح طرف دون آخر، بل كان توازن القوى يميل تارة لصالح إسرائيل، وطورا لصالح يهوذا ⁽⁵⁾، مما زاد في استنزاف قواهما فضلاً عن تدهور الحالة الاقتصادية للمملكتين نتيجة انقطاع الطريق التجاري المطل على البحر المتوسط ⁽⁶⁾ الذي كان بمثابة الشريان الحيوي في حركة التجارة من وإلى المملكتين، ولعل التباين الجغرافي بين المملكتين أيضاً قد ساهم في إذكاء نار العداوة بين الأشقاء، ففي الوقت الذي نجد مملكة الشمال إقليم يسكنه شعب مزارع يعيش على أخصب الأراضي الزراعية،

⁽¹⁾ سفر الملوك الأول، الإصحاح 15، فقرة 6.

⁽²⁾ سورة الحشر، الآية 14.

⁽³⁾ عماد سلمان خضير، المرجع السابق، ص 12.

⁽⁴⁾ سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح 16، فقرة 1.

⁽⁵⁾ فليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان، المرجع السابق، ص 208.

⁽⁶⁾ عماد سلمان خضير، المرجع السابق، ص 11.

نجد في المقابل مملكة الجنوب إقليم يسكنه شعب رعوي يمتن حرفة الرعي ويعتاش على ما يجنيه من هذه الحرفة، كما ساهم الاتصال الجغرافي لمملكة الشمال بفينيقية⁽¹⁾، في ازدهار حركة الاقتصاد ونمو التجارة، وتحسن مستوى الرفاه الاجتماعي للمملكة. ونخلص مما سبق ذكره إلى أن الحروب التي خاضتها مملكة إسرائيل مع مملكة يهوذا لم تؤد إلا إلى إضعاف قوة المملكتين، رغم أنهما وبخاصة المملكة الشمالية القريبة من الإمبراطورية الآشورية كانت في أمس الحاجة إلى إقامة علاقات طيبة وقوية مع المملكة الجنوبية؛ لتكون سنداً لها في مجابهة خطر الآشوريين والآراميين، وعلى الرغم من ذلك فلقد حاول ملوك المملكتين إنهاء حالة العداوة بينهما، كما هو الحال في عهد أسرة عمري التي أقامت علاقات طيبة مع مملكة يهوذا، وقد انعكس ذلك على توقف العداء بين المملكتين في أثناء حكم الملك أحاب⁽²⁾، وهذا ما تجلّى من خلال المصاهرة التي حدثت بين أحاب الذي زوج ابنته عثليا للملك يهورام بن شفاط وكان هذا النوع من الزواج السياسي الذي أقدم عليه الملك أحاب قصد تأمين جبهة الجنوب مع يهوذا، والتفرغ لجبهة آرام التي كانت على عداء تقليدي معه، وتندر بالتعجّر في أي وقت ممكن.

5- حروب المملكتين مع القوى الأخرى: في الوقت الذي ظهرت فيه مملكتا السامرة

ويهوذا تباعاً في مطلع القرن التاسع ونهاية القرن الثامن، كانت الفترة ذاتها تشهد ازدهاراً كبيراً لمدن وممالك محلية في فلسطين سواء في وادي يزرعيل (مجدو، بيت شان، تعنك)، أو في سهل شفلح (لخيش، جرار، بيت شمش)، أو في السهل الفلسطيني (أشدود، أشقلون، غزة، عقرون، جرار)⁽³⁾، كما شهدت الفترة ذاتها نشوء ممالك محلية في شرق الأردن (عمون، مؤاب، أدوم)، وإلى الشمال تنتصب مملكة آرام دمشق، كل هذه الكيانات السياسية تباينت علاقاتها مع مملكتي إسرائيل ويهوذا بين السلم تارة والحروب تارة أخرى، في عام 738 ق.م

(1) بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص788.

(2) عماد سلمان خضير، المرجع السابق، ص13.

(3) فراس سواح، تاريخ أورشاليم والبحث عن مملكة إسرائيل، المرجع السابق، ص147.

أقدم الأدوميون⁽¹⁾ على الإغارة واحتلال عدة مدن جنوب فلسطين كانت تابعة إقليمياً لمملكة يهوذا، كما توسع الفلسطينيون على مدن ساحل المتوسط واحتلوا مدن عدة (بيت شمس، جمزو، سوكو، وجدירות)، وغيرها من القرى المتاخمة لساحل المتوسط وفي المقابل تحالف ملك آرام دمشق (رصين) مع (ققح) ملك السامرة بين عامي (732 735 ق.م) من أجل الإغارة على مملكة يهوذا أيام حكم الملك (آحاز) فاضطر هذا الأخير للاستتجاد بالملك الآشوري (تيغلات بلاصير) الذي لبي النداء على التو وكان من نتائج ذلك احتلال الآشوريين لمملكة آرام دمشق عام 732 ق.م ومقتل ملكها (رصين) وتراجع ملك السامرة (ققح) إلى حدود مملكته.⁽²⁾

إذا عدنا إلى الجبهة الغربية نجد مصر إذ في عام 926 ق.م غزا ملكها (شيشنق) مملكة يهوذا (أنظر الملحق رقم 06) «وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وأخذ كل شيء، وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان».⁽³⁾ ويبدو أن هذا الغزو كان بإيعاز من (يربعام) حتى يظهر قوته على غريمه (رحبعام) ولعل النجاح الذي حققه يربعام على رحبعام بدعم من مصر التي كانت قد احتضنته في وقت سابق لما شكل معارضة لسليمان.⁽⁴⁾

في أثناء حكم "بعشا" ملك إسرائيل خاضت إسرائيل حروب دامية ضد آرام في عهد ملكها (بن هدد). كما كانت أرض مؤاب أرض عداوة بينها وبين إسرائيل، حيث ووفقاً لنبوءة أشعيا فقد لاقت مصيرها المحتوم الذي كان مصير كل من يعادي إسرائيل. «ها هو إلهنا الذي انتظرنا فخلصنا، هذا هو الرب الذي انتظرناه نبتهج ونفرح لخلاصه لأن يد الرب تستقر على هذا الجبل ويوطأ مؤاب في مكانه كما يوطأ التبن في الطين، ويبسط يده في

⁽¹⁾ الأدوميون هم سلاله عيسو، سكنوا شبه الجزيرة سيناء جنوب البحر الميت وكانت أهم وأقوى مدينة لهم هي المدينة الصخرية "بترا" وكانوا أعداء اليهود بصفة مستمرة. للمزيد أنظر: يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ت، مرقص داود، د، دار نشر، دت، ص 30.

⁽²⁾ هشام أبو حاكم، المرجع السابق، ص 182.

⁽³⁾ سفر الملوك الأول، الإصحاح 14، فقرة 25-26؛ سفر أخبار الأيام 12، فقرة 2-4، 9.

⁽⁴⁾ أحمد فخري، المرجع السابق، ص 314.

وسط مؤاب كما يبسط السابح يده ليسبح ويخفض الرب من كبريائه، ومن مكايديده في وسط مؤاب...»⁽¹⁾.

6- الاطماع الآشورية والبابلية في مملكتي إسرائيل ويهوذا:

- النفوذ الآشوري: دأب المؤرخون على تقسيم عصر الإمبراطورية الآشورية إلى عهدين، عهد الإمبراطورية الآشورية الأولى (912 ق.م - 745 ق.م) وعهد الإمبراطورية الآشورية الثانية (754 ق.م - 609 ق.م)⁽²⁾

ومن الأسباب التي أدت إلى تعاظم نفوذ الآشوريين وازدياد أطماعهم نحو نحو الغرب والساحل الفينيقي:

السبب الاقتصادي: ويعد من أبرز الأسباب التي ساهمت في اندفاع ملوك بلاد آشور نحو بلاد الغرب والساحل الفينيقي، وذلك لضمان الحصول على المواد الأولية الضرورية⁽³⁾ للصناعة كالأخشاب والمعادن والاحجار الكريمة. وللحصول على هذه الثروات، كان يتم عن طريق النشاط التجاري من جهة وعن طريق الحروب من جهة أخرى، لذا عمل ملوك بلاد آشور على تأمين طرق التجارة بإقامة الحصون والحاميات العسكرية في النقاط الاستراتيجية المهمة⁽⁴⁾، وكان هدف الآشوريين من حملاتهم العسكرية هو الحصول على أكبر قدر ممكن من الغنائم وفرض الجزية التي كانوا يحصلون عليها من الأقوام المهزومة ويعاقبون كل من تمرد على عدم أدائها.

⁽¹⁾ سفر اشعيا 25، الآية 9-12.

⁽²⁾ محمد بيومي مهران، تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، القاهرة، 1990، ص 361.

⁽³⁾ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج 1، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الوراق للنشر المحدودة، بغداد، 2009، ص 42.

⁽⁴⁾ إبراهيم محمد علي الهلالي، علاقة بلاد الرافدين بالساحل الفينيقي، من العصر الآشوري الحديث حتى نهاية العصر الكلداني (911 ق.م - 539 ق.م)، دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، 2013، ص 60.

السبب الديني: لقد كان عامل الدين من الأسباب المهمة والتي دفعت الآشوريين للتوسع، فقد ارتبطت معظم حروب القوى القديمة بالدين كمحرك أساسي للتوسع وفرض الهيمنة على الشعوب الضعيفة، وارضاء الآلهة، وقد دلت نصوص الآشوريين على دور المعبود آشور في الحملات العسكرية، كما وصف ذلك شلمنصر الثالث في النص التالي: «في هذا الوقت آشور الإله العظيم أعطاني صولجان القوة لحكم الناس»⁽¹⁾.

كان أول اتصال بين الآشوريين و بنو إسرائيل في موقعة معركة (قرقر)⁽²⁾ عام 853 ق.م التي انتصر فيها الآشوريين على التحالف الذي تشكل من مجموعة من الدول -اليهود في ظل الحكم الآشوري⁽³⁾: رغم التوسع الذي شهدته مملكة إسرائيل في عهد "يربعام الثاني" 785 (-745 ق.م) على حساب الآراميين، لكن ذلك لم يدم طويلا في عهد تجلي قوة الآشوريين، خاصة في عهد " تجلات بلاصر الثالث 745-727 ق.م، ومن جاء بعده من الملوك الآشوريين حيث استطاع سرجون الثاني بتأديب " هوشع " آخر ملوك مملكة إسرائيل، كما تم القضاء على مملكته عام 722 ق.م.

تعد الجهة الغربية ذات أهميه استراتيجية كبرى بالنسبة لأشور باعتبارها تزود البلاد بالأيدي العاملة الماهرة وتزودها كذلك بخشب السرو والأرز والصنوبر من جبال الأمانوس ولبنان⁽⁴⁾، إضافة إلى أنها تعد من المصادر الرئيسة التي تزود آشور بالخيل وعنصر الحديد

⁽¹⁾ إبراهيم محمد علي الهلالي، المرجع السابق، ص 61.

⁽²⁾ قرقر أو قرقار: كلمة عبرية معناها "قعر" أو قاع، والقرقر في اللغة العربية من الأودية أو القيعان: الواد الأملس الذي لا شجر فيه ولا حجارة ولا يعلم موقعها على وجه اليقين، ولعلها كانت سهلا على المجرى الأسفل من نهر اليبوق شرق "جلعاد" بالأردن، ورد اسمها في نقوش شلمنصر الثالث وسرجون الثاني. للمزيد أنظر: محمد محفل، قراءة في كتاب جغرافية باطلية وتاريخ صحيح، مجلة دراسات تاريخية، عدد 55-56، جامعة دمشق، سوريا، 1996، ص 217.

⁽³⁾ الآشوريون في الأصل هم فرع من الأقوام السامية التي هاجرت من مهد الساميين الأصلي، وهو جزيرة العرب على ما يقول به جمهور الباحثين، إلا أنهم لم يأتوا رتسا من جزيرة العرب إلى شمالي العراق وهم بدو غزاة، وإنما حلوا في موطن مؤقت بعد هجرة أجدادهم من الجزيرة العربية وانتقلوا منه إلى البلاد التي صارت فيما بعد موطنًا ثابتًا لهم. للمزيد أنظر: أحمد أمين سالم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، لبنان، 1989، ص 314.

⁽⁴⁾ عباس فرج، حملات الملك الآشوري شلمنصر الثالث، (824/858 ق.م) على سوريا ومحاولات السيطرة عليها، مجلة الدراسات والبحوث، عدد 638، 2016، ص 45.

الذين أصبحوا عماد الجيش الآشوري في هذه الفترة، لقد وجه حكام آشور إبان الإمبراطورية الأولى جلّ اهتمامهم ناحية الجبهة الغربية (بلاد الشام) لسببين: الأول أنها منطقة غنية بالثروات الطبيعية، وبالتالي فهي تعد بمثابة العمق الاقتصادي للآشوريين في المنطقة، حيث كانت آشور تعلق أهمية كبرى على صلتها بالغرب، فلم تكن في حاجة إلى المعادن في تلك البلاد فحسب بل إنها لم يكن في استطاعتها أن تحكم آسيا الغربية، وهي دولة لا شواطئ لها، إلا إذا وصلت إلى البحر الأبيض المتوسط⁽¹⁾. لكن هذا لم يكن من الشيء الميسور لآشور كونه كان يصطدم بمملكة "ميتاني"⁽²⁾ التي كانت إلى الشمال الغربي من آشور، والسبب الثاني هو سبب سياسي خاص ببني إسرائيل في أرض كنعان، حيث تمثل هذه المنطقة عمقاً استراتيجياً للآشوريين، فكان لابد من الاستيلاء عليها⁽³⁾، ويمكن تتبع العلاقات الآشورية اليهودية حسب كل ملك آشوري ومن عاصروه من ملوك اليهود.

أولاً: عهد الملك شيلمنصر الثالث (858 - 824 ق.م): شلمنصر الثالث (845-

824 ق.م) لقب بالعديد من الألقاب (شلمنصر المعين من الإله إنليل والنائب عن آشور وخليفة آشور..) كما ذكر هذا الملك في الكتاب المقدس (باسم شلمنصر ملك آشور) دليلاً على المكانة التي حضي بها في ذلك الزمان، وينحدر هذا الملك إلى سلسلة ملوك ورثو الملك من آبائهم، فهو حفيد الملك (توكلتي نينورتا الثاني) وابن الملك (آشور ناصر بال الثاني) وأبا للملك شمشي أدد الخامس وهم من الملوك الآشوريين العظماء⁽⁴⁾، خاض العديد من الحروب من أجل توسيع إمبراطوريته وتثبيت سلطته، ودفع الخطر عنها، تولى الملك بعد وفاة والده (آشور ناصر بال الثاني)⁽⁵⁾ إذ دام حكمه حوالي خمسة وثلاثين عاماً ونظراً لتوسع

⁽¹⁾ سلمان عماد خضير، سياسة التهجير الآشوري... ص 24؛ جيمس هنري برستيد، انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، ت، أحمد فخري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص 202.

⁽²⁾ مملكة ميتاني: مملكة كانت تقع شرقي الفرات، ضمن الحدود التقريبية الحالية لأرمينيا كان الآشوريون يطلقون عليها اسم (هانيجالبات)، ينتسب الشعب الميتاني عرقياً إلى الحوريين، وعاصمتها اسمها واسوجاني. انظر: هنري.س. عبودي، معجم الحضارات السامية، المرجع السابق، ص 825.

⁽³⁾ سلمان عماد خضير، المرجع السابق، ص 24.

⁽⁴⁾ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج 1، الوجيز في تاريخ حضارة واد الرافدين، المرجع السابق، ص 595.

⁽⁵⁾ أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ط 2، العربي للاعلان والنشر والطباعة، دمشق، سوريا، ص 85.

الإمبراطورية في عهده قام بتقسيم البلاد إلى العديد من المقاطعات لتسهيل عملية إدارتها وعين على كل مقاطعة شخص أطلق عليه (سيد المقاطعة) وذلك بإتباعه نظام لا مركزية الإدارة، اتخذ من نينوى عاصمة للبلاد ومركزاً لإدارة الدولة⁽¹⁾.

بدأت العلاقات الآشورية في عهد شلمنصر الثالث مع بني إسرائيل تأخذ منحى جديداً؛ كما أنه أول ملك آشوري له احتكاك مباشر باليهود وبالتحديد في السامرة⁽²⁾، فقد حاول هذا الملك مدّ حدود الإمبراطورية الآشورية وتوسيع رقعتها، ويدل على ذلك أن حملاته العسكرية بلغت نحو اثنتين وثلاثين حملة عسكرية، وقد تولى الحكم في مملكة إسرائيل آنذاك وفي عهده وعلى التوالي، الملك "أحاب بن عومري" و "يهورام بن آحاب" والملك "ياهو بن شافاط"، ويمكن أن نتتبع طبيعة العلاقات الآشورية اليهودية من خلال حكم ملوك اليهود السالف ذكرهم كالآتي:

- **في عهد آحاب بن عمري:** حكم تقريباً إحدى وعشرون سنة، وكان على أشد ما يكون من الكفر وعبادة الأوثان، ورد اسم "أحاب بن عمري" في سفر الملوك الأول⁽³⁾، عاصر حكمه النبي إلياس عليه السلام⁽⁴⁾، اكتسب هذا الملك خبرة كبيرة في إدارة الأمور السياسية في البلاد؛ حيث أدرك أولاً خطورة القوة الآرامية، فأعاد توثيق العلاقات والتحالفات السياسية مرة أخرى مع إيتبعل ملك صور⁽⁵⁾، وهي نفس السياسة التي اتبعها والده من قبله، ومن أجل توثيق هذا التحالف وتقوية أواصره فقد عمد إلى مصاهرة ملك صور وذلك من خلال زواجه بابنته "إيزابيل" التي فرضت ديانتها الوثنية على مملكة

⁽¹⁾ نجاة خير الله كاظم، الإمبراطور شلمنصر الثالث (824/858 ق.م) سيرته وإنجازاته، مجلة الأستاذ، عدد 224، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، 2018، ص 304.

⁽²⁾ Budge (E.A.W), A Guide To The Babylonian and Assyrian Antiquities, London, 1922 , p.13.

⁽³⁾ سفر الملوك الأول، فقرة 29-34.

⁽⁴⁾ أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص295؛ عبد الرحمان بن

محمد بن خلدون، المصدر السابق، ص120.

⁽⁵⁾ يوسف الدبس، الموجز في تاريخ سوريا، المرجع السابق، ص76.

إسرائيل وعاقبت كل من يخالفها⁽¹⁾ حيث يذكر سفر الملوك الأول «وملك آخاب بن عمري على إسرائيل في السامرة اثنين وعشرين سنة. وعمل آخاب بن عمري الشر في عيني الرب أكثر من جميع الذين من قبله.. حتى اتخذ إيزيل ابنة أثبعل ملك الصيدونيين امرأة، وسار وعبد البعل وسجد له، وأقام مذبحاً للبعل في بيت البعل الذي بناه في السامرة»⁽²⁾. هذا ما جعل النبي إلياس ينتفض في وجه وثنية بني إسرائيل، وقد ورد ذكر قصته عليه السلام في القرآن الكريم حيث صدح بالحق في وجه عبادة الأوثان التي اتبعها بنو إسرائيل. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهَ رِكَمَ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾.

يبدو أن سياسة شلمنصر الثالث التوسعية قد ألقت بضلالها على ممالك المنطقة فدخلوا في حلف في ما بينهم لمواجهة تلك السياسة والتي يظهر أنها كانت وراء اتحاد الآراميين وبني إسرائيل الذين لم يعرفوا ذلك طيلة فترة تاريخهم السياسي التي اتسمت بالتنافس السياسي والعسكري في المنطقة⁽⁴⁾. ولعل من أبرز تلك التحالفات التحالف الذي ضم اثني عشرة ملكاً من ملوك ساحل البحر الأبيض المتوسط تحت قيادة (ادد - ادري) ملك دمشق، و"ارخلوني" ملك حماة مع اثني عشر حاكماً، الذين شاركوا الحلف بالدعم المادي والمعنوي إذ تجمع هؤلاء بكامل عدتهم العسكرية والمعنوية لمساندة الآراميين فذكرت النصوص الآشورية قائمة بأسماء الملوك المشتركين مع قواتهم وهي كالآتي: 1200 عربية

(1) سلمان عماد خضير، المرجع السابق، ص 25.

(2) سفر الملوك الأول، الإصحاح 16، فقرة 29-31.

(3) سورة الصافات، الآية 123-126.

(4) سلمان عماد خضير، المرجع السابق، ص 25؛

مقاتلة من الخيالة مع 20000 مقاتل لـ ادد-ايدري⁽¹⁾الدمشقي وتدعمه 700 عربية ومثلهم من الفرسان و 1000 مقاتل قدمهم ارخلوني الحماتي، واما مملكة اسرائيل فقدمت 20000عربية⁽²⁾مع مقاتليها بقيادة اخاب الإسرائيلي ويسندهم 500 مقاتل من قوات بيبيلوس فضلاً عن 1000جندي مصري وعشرة عربات مع 10000مقاتل من ارض اركاتو فضلاً عن 200 مقاتل من بلاد اوساناتو مع 30 عربية من مقاطعة شيانو، 1000 بعير من جنديبو(جندب) ملك العرب وأخيرا 100 جندي من "بعشا" حاكم بيت روخوني الآموني ودارت المعركة عند مدينة "قرقر" التي التقت فيها القوات المتحالفة مع الجيش الآشوري في عام (853 ق.م)، وقد خلدتها نقوش كتابية منحوتة على بوابات"بلاوات (Balawat) ⁽³⁾.

يفتخر شلمنصر الثالث في وصفه للمعركة بأن قواته ألحقت خسائر تقدر بـ14000 جندي من جيش الحلفاء وأسره لعدد لا يحصى من العربات والخيول، ويصف الضرر الذي لحق بمعارضيه بتفاصيل وحشية⁽⁴⁾، ولقد دأب الآشوريون على تخليد المنجزات العسكرية للملوك الآشوريين بأعمال فنية تصور المشاهد الحربية للحملات العسكرية⁽⁵⁾كما قاموا بتسجيلها وتدوينها على مسلاتهم ونصبهم التذكارية ومن نماذج ما خلفوه لنا في هذا المجال هو النصب التذكاري للملك توكلتي نورتا الثاني(890-884ق.م) الذي عثر عليه في تل عشاره في الفرات الأوسط، وهو عبارة عن مسلة حجرية سجل فيها انتصاره على الآراميين ونحت عليها صورته تصويره وهو يتقدم إلى الإله أدد بواسطة الكاهن لينال رضاه⁽⁶⁾، وكذلك

⁽¹⁾عيد مرعي، دمشق في المصادر الآشورية الحديثة، مجلة مهد الحضارات، العدد الخامس، مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، دمشق، سوريا، 2008، ص13.

⁽²⁾ياسين سويد، المرجع السابق، ص312.

⁽³⁾ بلاوات (Balawat): وهي منطقة تقع على بعد 25 كم جنوب شرقي محافظة الموصل في العراق عثر فيها سنة 1878م على هذه البوابات المصنوعة من خشب الأرز مصفحة بالألواح من البرونز المنقوش بمشاهد حربية تاريخية تعود لقصر الملك شلمنصر الثالث وهي الآن محفوظة في المتحف البريطاني، انظر: هنري.س.عبودي، معجم المصطلحات السامية، المرجع السابق، ص237؛ عباس فرج، المرجع السابق، ص57.

⁽⁴⁾ أحمد أمين سالم، المرجع السابق، ص323.

⁽⁵⁾Brinkman.J.A. A further note on the date of the battle of Qarqar and neo-Assyrian chronology, V30, N3, Chicago Press, 1978, P P,173,175.

⁽⁶⁾ هديب يحيوي غزالة، رشا ثامر المهنا، مجد الدولة الآشورية في العصر الحديث(911-612ق.م)، مجلة القادسية، مج11، عدد4، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2008، ص184.

الانتصارات العسكرية للملك شلمنصر الثالث التي خلقتها الأعمال الفنية المتمثلة في البوابة البرونزية، التي اكتشفت في بلاوات (موقع المدينة الآشورية أمكي - انليل القريبة من كالح) وهي عبارة عن أشرطة برونزية طويلة كانت تغلف البوابة، وعرض تلك الأشرطة حوالي 25 سم تقريباً استخدم في نقشها النحت البارز، ويمكن أن نرى مشاهد تصور شلمنصر الثالث وهو يستلم هدايا الطاعة والولاء، من ملوك المناطق التي شن عليها حملاته العسكرية، من بينهم ملك إسرائيل (ياهو) الذي يظهر راکعاً عند قدمي الملك الآشوري (أنظر الملحق رقم 07). وبالعودة إلى أحداث معركة (قرقر) نقرأ النص كما جاء على لسان الملك شلمنصر الثالث، حيث يقول: «انتقلت إلى قرقر المدينة الملكية، دمرتها وأحرقت منها ألفاً ومائتين عربية، وألفاً ومائتين فارس، وعشرين ألفاً جندي من جنود حدد عزز ملك دمشق، وسبعمئة فارس وألف جندي من أرخوني ملك حماة، وألفي عربية وعشرة آلاف من جنود أحاب الإسرائيلي وخمسماية جندي قوي وألف جندي من مصر، وعشر عربات وألفاً من جنود أرقناتا ومائتي جندي من ملك أرفادا متينو بعلو ومائتين من جنود الأوشناتو وثلاثين عربية من جنود آدونا بعلو من سيانو وألف جمل من جنديب من بلاد العرب... وقام هؤلاء الملوك الإثنى عشر بمحاربتني، ولكن بقدرة إلهي آشور، وبالسلاح القوي الذي أمدني به الإله "نرجال"⁽¹⁾، حاربت جيوشهم وأوقعت بهم الهزيمة، وقتلت أربعة عشر ألفاً من جنودهم بسلاحي، ومثل الأعاصير أمطرت عليهم وابلاً من السهام وملأت المكان بجثثهم»⁽²⁾.

من خلال القراءة الأولية لهذا النص الآشوري يمكن أن نقف عند الاستنتاجات التالية:

- لا يمكن الوثوق تماماً بالمخطوطات الملكية في تلك العصور، حيث اعتادت عدم

⁽¹⁾ الإله نرجال أو نرجل أو نركل إله سومري، فهو إله العالم السفلي، وهو إله الحرب عند الآشوريين، ويُعرف بإله الوباء المسئول عن تعмир العالم السفلي والذي يعاقب من يعتدي على الشريعة بالحديد والنار، وهو ابن الإلهين إنليل و نينليل لديه بوابة تاريخية باسمه بوابة نركال في مدينة الموصل حالياً نينوى قديماً وكانت مخصصة لدخول الملك ورعيته. للمزيد أنظر: ماجد عبد الله الشمس، الحضارة والميثولوجيا في العراق القديم، دط، دار رسلان، سوريا، 2017، ص43.

⁽²⁾ Luckenbill (D.D). Ancient Records of Assyrian and Babylonia (ARAB), Vol.1. No.610-611 Chicago, 1926, p.231-232.

الاعتراف بالهزائم، ونسبت لملوكها انتصارات كان قد نالها أسلافهم، والدليل على ذلك أنه ختم تقريره دون ذكر لأي انتصارات عسكرية أخرى، كما أنه لم يتابع زحفه نحو الجنوب، وبالتالي يمكن أن نقول أن معركة "قرقر" شكلت تحولاً مهماً في الصراع الآشوري ضد الممالك السورية، كما لم تحسم الصراع نهائياً لصالح الآشوريين بدليل عودة الحملات الآشورية على سورية بعد وقت قصير من معركة "قرقر" دون أن يتمكنوا من إخضاع أرام دمشق أو احتلالها⁽¹⁾، كما شكلت أيضاً أول اختبار حقيقي للتحالفات الدولية في ذلك الوقت.

- كما تعد هذه المعركة أول تصادم مسلح وقع بين الآشوريين واليهود كان في عهد هذا الملك، كما ورد اسم الملك آحاب، كأول شخصية يهودية ظهرت في الوثائق الآشورية بصفة خاصة، ووثائق بلاد الرافدين بصفة عامة.

المبالغة الشديدة لكاتب النص لإعطاء الدور السياسي الذي لعبه اليهود في المنطقة حتى أصبح الآشوريون يولون لهم اعتبارات هامة؛ من حيث القوة العسكرية والحكمة السياسية؛ ولا أدل على ذلك من حجم خسائر القوات اليهودية المشتركة في هذا الحلف، التي بلغت حوالي ألفي عربة وعشرة آلاف مقاتل من إجمالي القوات المتحالفة البالغ عددها ستين ألف مقاتل⁽²⁾ مقارنة بعدد سكان مملكة إسرائيل في ذلك الوقت، ومن المبالغة في هذا النص أيضاً الإشارة إلى ضخامة القدرة العسكرية التي أسهم فيها اليهود ودورهم السياسي والعسكري الكبير في المنطقة آنذاك⁽³⁾.

- كذلك كشفت لنا حوليات شلمنصر عن استمرار الحملات الآشورية تجاه بلاد الشام بعد معركة قرقر، إلا أنه خلال هذه الفترة تغيرت الأحوال السياسية كثيراً في منطقة كنعان؛

(1) سلطان محيسن، دمشق من المستوطنة إلى المملكة، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، عدد خاص عن دمشق عاصمة الثقافة العربية، 2008، ص 37.

(2) فليب حتي، لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور إلى عصرنا الحاضر، ترجمة، أنيس فريجه، مراجعة نقولا زيادة، الدار الثقافية، بيروت، 1959م، ص 175.

(3) سلمان عماد خضير، المرجع السابق، ص 27.

حيث تفكك التحالف الآرامي مع مملكة إسرائيل، والذي تصدى لقوات شلمنصر الثالث في تلك المعركة؛ وذلك بسبب عودة الصراع بين مملكة دمشق الآرامية ومملكة إسرائيل، الأمر الذي أدى إلى مقتل آحاب ملك إسرائيل في تلك الصراعات، وعلى الجانب الآخر، تعرض عرش مملكة دمشق إلى محاولة استيلاء من قبل الملك حزائيل⁽¹⁾.

- لعبت الدبلوماسية المصرية دورا بارزا في عهد الفرعون المصري (أوسركون الثاني) (860 - 832 ق.م) الذي كان يقف وراء قيام هذا التحالف ؛ وذلك من خلال سياسة التحريض التي غالبًا ما كان يتبعها الملوك المصريون ضد السلطة الآشورية في بلاد الشام. ولم تُؤدَّ هذه المعركة إلى نتيجة حاسمة سوى ضعف مملكة إسرائيل اقتصاديا بسبب ما تكبدته من نفقات في تلك الحرب. ولكن يبدو أن النصر كان حليف التحالفات التي وقفت ضد ملك آشور⁽²⁾. وبعد المعركة بشهور قليلة نبذ آحاب الخلافات بين مملكته والمملكة الجنوبية (يهوذا)، وعقد معاهدة مع ملكها (يهوشافط) (867 - 846 ق.م) تقريبًا، وقد عدت هذه المعاهدة أول معاهدة سلام أبرمت بين الطرفين، وكالعادة جرى توثيق هذه العلاقة من خلال المصاهرة؛ حيث تزوج (يورام بن يهوشافط) من عثليا⁽³⁾ ابنة آحاب، وربما أراد آحاب بهذه المعاهدة تأمين حدوده من خلال وضع نهاية للعداء مع مملكة يهوذا، وسرعان ما تجددت المشاكل بين الآراميين ومملكة الشمال بعد زوال الخطر الآشوري، في راموت جلعاد، وتعرضت مملكتا إسرائيل ويهوذا للهزيمة من قبل (ابن هدد)، وأصيب (آحاب) ومات على أثر إصابته⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ يُعدُّ الملك الآرامي حزائيل (842-805 ق.م.) من أعظم ملوك آرام وأشجعهم، ومن أشد الملوك شأناً في القتال، ولا تقل قوته ورياسة جأشه عن ملوك آشور وبابل، وفي عهده ازدهرت مملكة آرام دمشق، وكان خصماً عنيداً لشلمنصر الثالث، ودلت الاكتشافات الأخيرة على أنه استطاع أن يعبر الفرات شرقاً ويتخذ موقفاً هجومياً ضد الدولة الآشورية في نهاية حكم شلمنصر. انظر: هنري.س. عبودي، المرجع السابق، ص350-351.

⁽²⁾ سلمان عماد خضير، المرجع السابق، ص27.

⁽³⁾ عثليا: اسم عبري يعني "يهو" مرتفع" وهي زوجة يهورام ملك يهوذا، أحياناً تذكر ابنة لعمرى (سفر الملوك الثاني، الاصحاح 26/8)، وأحياناً ابنة لأحاب (سفر الملوك الثاني، الاصحاح 18/8).

⁽⁴⁾ مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص121؛ سفر الملوك الأول، الإصحاح 22، فقرة 29-38.

- **يهورام بن آحاب:** تولى يهورام الابن الثاني لأحاب الحكم (850 - 842 ق.م) بعد مقتل شقيقه الأكبر (أحازيا)، وهو آخر ملوك أسرة عومري⁽¹⁾، شهدت البلاد في عهده قحطاً شديداً أهلك الزرع والضرع وتفتشت المجاعات، حيث حمل الملك يهورام كل هذه المصائب للنبي (اليشع) الذي كان قد تنبأ في وقت سابق بحلول القحط والجذب على البلاد⁽²⁾، شهدت فترة حكمه هدوء واستقرار الأوضاع مع مملكة يهوذا، وفيما يخص سياسته الخارجية وحروبه فقد قاد يهورام تحالفاً مكوناً من ملك يهوذا وملك أدوم⁽³⁾؛ لشن حرب على ملك موآب الذي رفض دفع الجزية، مستغلاً الأوضاع المتردية التي تمر بها مملكة إسرائيل في محاولة منه للعودة إلى ما كان عليه الوضع سالفاً، وأدرك يهورام أن من الحكمة عدم مهاجمة موآب من الشمال حيث الحصون القوية، فعمد إلى مهاجمتها من الجنوب من ناحية البحر الميت؛ تجنباً لأي خطة قد يقوم بها يهورام، الأمر الذي كلفهم الكثير من المتاعب بعدما قطع مسافات طويلة للوصول إلى موآب، وزاد نقص المياه من المشقة لهم⁽⁴⁾، إلا أن يهورام استشار النبي "اليشع"⁽⁵⁾ فأشار عليه بحفر الآبار لتزويد القوات بالمياه وتنبأ له بالنصر، حيث وردت نصوص في التوراة تحدثنا عن نبوءات "اليشع" ونصحه لملوك إسرائيل، "لا ترون ريحا ولا ترون مطراً، وهذا الوادي يمتلأ ماء، فتشربون أنتم وما شيتكم وبهائمكم"⁽⁶⁾ إلا أن المياه التي خرجت كانت تميل إلى الحمرة، وفي الوقت نفسه علم الموآبيون بالصعوبات التي تواجه الحملة، ففسروا

(1) أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم، المصدر السابق، ص، 295.

(2) محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق ص ص 821، 822.

(3) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الثالث، فقرة 9.

(4) مصطفى كمال عبد العليم، سيد راشد، المرجع السابق، ص124.

(5) أليشع، الإسم، معناه "الله يساعد" أو "الله يخلص". هو أحد أنبياء مملكة الشمال، إسرائيل - وعاصمتها السامرة-، البارزين وتلميذ إيليا النبي وخليفته. تنبأ على خمسين سنة تقريباً، بين العامين 850 و 800 ق.م، خلال فترات حكم كل من الملوك يورام وياهو ويواحاز ويوآش. فاق معلمه، إيليا بعدد المعجزات التي أتاها، بنعمة الله، وطابعها المدهش، لكن بقيت شخصية إيليا أثبت وأرسخ في وجدان اللاحقين. ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الأنعام الآية 86، وسورة ص الآية 48، للمزيد أنظر: مصطفى كمال عبد العليم، سيد راشد، المرجع السابق، ص127؛ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص 820.

(6) سفر الملوك الثاني، الإصحاح3، فقرة 17.

احمرار الماء على أنه خلاف بين قوات التحالف يهوذا وإسرائيل وأدوم، فشن الموابيون هجومًا غير منظم على معسكر التحالف، إلا أنهم فشلوا، وكرر ميشع ملك مواب المحاولة ثانية، ولكنه فشل مرة أخرى⁽¹⁾، حيث كلفه هذا الفشل إلى ذبح ابنه وتقديمه قريبًا للإله (كموش) إله الموابيين؛ حسب الطقوس الكنعانية⁽²⁾ قصد استرضائه وطلب النصرة منه، وبهذه الوسيلة اضطر ملك إسرائيل وحلفاؤه الانسحاب، وقد ورد ذكر أحداث هذه الوقائع في نصوص التوراة، كما خلد ذكرها (نقش ميشع)⁽³⁾. ويبدو أن حملة يهورام ضد مواب قد فشلت كما صورها العهد القديم انطلاقًا من آيات سفر الملوك الثاني في الإصحاح الثالث، ومما جاء في نقش ميشع حيث أصبحت مواب، دولة مستقلة ذات سيادة حتى عصر يربعام الثاني⁽⁴⁾، ورغم هذه الهزيمة التي منيت بها أطراف التحالف، فإن الصراع بين مملكة إسرائيل الشمالية والآراميين لم ينته؛ ففي عام (842 ق.م)، قام يهورام بن آحاب بالتحالف مع مملكة يهوذا بمهاجمة راموت جلعاد، بعد أن استولى حزائيل قائد جيش ابن هدد على العرش في دمشق في العام نفسه، الأمر الذي أدى في النهاية إلى إصابة يهورام وهزيمته، وتمرد قائد جيشه المدعو ياهو عصا الطاعة ضده، واستولى على حكم المملكة. ووجد النبي إيلشع أن الفرصة قد أصبحت مواتية للتخلص من أسرة عومري فبارك ياهو قائد الجيش، ملكًا لمملكة إسرائيل⁽⁵⁾.

- **ياهو بن شافاط :** بعد أن انتهى الدور السياسي لأسرة "عمري" بمقتل "يهورام" حكمت أسرة ياهو مملكة إسرائيل في الفترة الممتدة تقريبًا من (842 ق.م - 743 ق.م) وقد حكم خلالها "ياهو" تقريبًا ثمان وعشرين عامًا⁽⁶⁾، هذا وقد شهد منتصف القرن التاسع قبل

(1) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الثالث، فقرة 16 - 27.

(2) Olmstead, (A.T), History Of Palestine And Syria, New York, 1931, p398.

(3) للإطلاع على نقش ميشع يمكن العودة إلى: إسرائيل ولغونسن، تاريخ اللغات السامية، ط1، مطبعة الإعتدال، القاهرة، 1929، ص ص 106 - 110.

(4) مصطفى كمال عبد العليم، سيد راشد، المرجع السابق، ص 125.

(5) سلمان عماد خضير، المرجع السابق، ص 30؛ مصطفى كمال عبد العليم، سيد راشد، المرجع السابق، ص 127.

(6) سفر الملوك الثاني، الإصحاح 10، فقرة 36.

الميلاد تغيرات سياسية مهمة في مملكة إسرائيل كان من نتائجها إعلان ياهو نفسه ملكاً على مملكة إسرائيل بعدما تمكن من القضاء على سلالة عومري بعد قتله (ليهورام) (853 - 842 ق. م)، آخر ملوك تلك السلالة، وتزامن مع هذا التدهور السياسي وتفكك التحالف المعادي للمملكة آشور؛ وُصول الملك شيلمنصر الثالث إلى المنطقة، حيث استطاع القضاء على دمشق⁽¹⁾ ودخول السهول المجاورة لها، ثم عسكر عند نهر الكلب⁽²⁾،

حيث دانت له ملوك صور وصيدا وكذلك ياهو بن عمري حاكم السامرة، حيث صرح بذلك بالنص «في السنة الثامنة عشرة من حكمي، عبرت الفرات للمرة السادسة عشرة، إذا بحزائيل ملك دمشق، جمع العديد من قوات جيشه، وشكل جمعاً غفيراً... فحاربه وانتصرت عليه، وقتلت ستة آلاف من جنوده، وغنمت منه مائة وإحدى وعشرين عربة، و أربعمئة وسبعين فارساً مع ذخائرهم، واستوليت على معسكره، فلاذ بالفرار لينجو بحياته، وطاردته وحاصرته في دمشق، ودمرت مدنه الكثيرة ونهبته وأحرقته بالنار، وأخذت منها غنائم وأسرى لا عدد لهم، ووضعت تمثالاً ملكياً لي، وفي تلك الأثناء وصلت لي الجزية من صور وصيدا ومن ياهو بن عومري»⁽³⁾ وقد أيقن الملك "ياهو" أن بقاء ملكه واستمراره مرهون بتقديم فروض الولاء والطاعة للآشوريين، والعمل على موالاتهم ليحظى بمساعدتهم له، الأمر الذي جعله يضمن البقاء في الحكم فترة أطول مقارنة بغيره من ملوك إسرائيل⁽⁴⁾، كما يضمن في المقابل درء خطر الآراميين، -حيث لم تتوقف أطماع ملكها "حزائيل"⁽⁵⁾ من تكرار اجتياحه لشمال إسرائيل - والتفرغ لمقارعة كل من صور ويهوذا، اللتين اتخذتا موقفاً معادياً

⁽¹⁾ سلمان عماد خضير، المرجع السابق، ص 32.

⁽²⁾ نهر الكلب: نهر في لبنان ينبع من مغارة جيعتا ويصب في البحر الأبيض المتوسط، اسمه الكلاسيكي (نهر ليكوس)، عند مصب هذا النهر نصب تنكارية للعديد للعديد من الغزاة الذين غزو المنطقة عبر العصور، كرعسيس الثاني ملك مصر (1292 ق. م) و شلمنصر الثاني ملك آشور (842 ق. م). للمزيد: أنظر: هنري.س. عيودي، المرجع السابق، ص 819.

⁽³⁾ Luckenbill (D.D). Ancient Records of Assyrian and Babylonia , Chicago, 1926, Vol.1. No. 663, P2.

⁽⁴⁾ روبنسن تيودور. ه، إسرائيل في ضوء التاريخ تاريخ العالم، ترجمة عبد الحميد يونس، مج 2، النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص 118.

⁽⁵⁾ مصطفى كمال عبد العليم، سيد راشد، المرجع السابق، ص 134.

من السامرة بسبب قيام ملكها قتل إيزابيل، والملك يهورام، والملك أحازيا ملك يهوذا، واستيلائه على الحكم⁽¹⁾.

ثانياً: في عهد ادد نراري الثالث⁽²⁾ (811-783): بعد تولي ادد نيراري الثالث عرش بلاد آشور، بعد وفاة والده شمشي أدد الخامس في الفترة من (811-783 ق.م نظراً لصغر سنه، فقد كشف لنا أحد النصوص أن أدد نيراري الثالث لم يَعْتََلِ العرش حتى السنة الخامسة من حكمه، الأمر الذي يؤكد أن والدته شمو رامات أو كما سماها اليونانيون (سميراميس)، كانت وصية عليه بعد وفاة والده⁽³⁾. حتى راح يعد لغزو بلاد جوف سوريا⁽⁴⁾، عاصر الملك أدد نيراري الثالث ثلاثة ملوك من مملكة إسرائيل وهم:

- **يهوآحاز:** أصبحت مملكة إسرائيل في عهد يهوآحاز (815-801 ق.م) أسوء حالا مما كانت عليه سابقا من المهانة والذلة، حيث أصبحت تابعة لنفوذ الآراميين في عهد الملك (حزائيل)، إذ نقرأ في التوراة أن الجيش في أيام الملك (يهوآحاز) «لم يبق له شعبا إلا خمسين فارسا وعشر مركبات وعشرة آلاف رجل، لأن ملك آرام قد أفناهم، ووضعهم كالتراب للدوس»⁽⁵⁾. ويرجع العهد القديم تدهور الأوضاع السياسية لمملكة إسرائيل إلى سير يهوآحاز على نهج يربعام الذي انحرف بالمملكة وانغمس في الوثنية بإقراره عبادة العجل⁽⁶⁾؛ الأمر الذي أدى إلى غضب الرب على مملكة إسرائيل، فسلط عليهم حزائيل ملك آرام الذي يعتبر بمثابة أداة الرب لتأديب إسرائيل⁽⁷⁾. هذا ولم تسلم حتى مملكة يهوذا

⁽¹⁾ سفر الملوك الثاني، الإصحاح 11، فقرة 1-3.

⁽²⁾ الملك هدد نراري الثالث: يأتي تسلسل هذا الملك تحت رقم 104 بين الملوك الآشوريين، وعندما تسلم الحكم كان لا يزال صغير السن فتولت الوصاية عنه والدته (شمورامات) والتي ذكرتها المصادر الإغريقية ب(سميراميس)، حكم تقريبا مدة 27 عاما تميزت فترة حكمه بأعمال مجيدة كان قد سجلها على مسلة من الرخام وجدت في تل الرماح. للمزيد أنظر: النجفي حسن، معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم، ط1، بغداد، 1982، ص ص 15-16؛ عقراوي ثلماستيان، المرأة دورها ومكانتها في العراق القديم، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1978، ص ص 252-253.

⁽³⁾ عقراوي ثلماستيان، المرأة دورها ومكانتها في العراق القديم، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1978، ص ص 252-253.

⁽⁴⁾ فهد حجازي، الوظيفة اليهودية من أرتحششتا إلى بلغور، ط1، دار الفراي، بيروت، لبنان، 2016، ص 54.

⁽⁵⁾ سفر الملوك الثاني، الإصحاح 13، فقرة 7.

⁽⁶⁾ هانس فروهاجن، فلسطين والشرق الأوسط، ت، سمير طاهر، ط1، دار الكتب خان، القاهرة، 2017، ص 162.

⁽⁷⁾ سفر الملوك الثاني، الإصحاح 13، فقرة 3.

من زحف جحافل جيش حزائيل إذ تمكن هذا الأخير من سلب كل كنوز بيت الرب المقدسة في المعبد، وفي خزائن بيت الملك (يهوآش)⁽¹⁾، وبالتالي فقد أطبق الآراميون كامل سيطرتهم على مملكتي إسرائيل ويهوذا وتحديدا في سنة 841 ق.م توجه شلمنصر ثانية نحو الغرب للقضاء على الممالك المناوئة له هناك، حيث استطاع أن يهزم القوات الآرامية، وفي هذه الأثناء أسرع ياهوآحاز في تقديم الهدايا خضوعاً تاماً للآراميين، مما أدى إلى تقلص مساحة مملكة إسرائيل، لتضم السامرة فقط؛ حيث استغل ملك آرام دمشق انشغال الآشوريين بالداخل وأعاد تكوين قوته متجهاً نحو الجنوب، وهذا ما يفسر سبب العداء والحروب المستمرة بينه وبين يهوآحاز؛ لذلك ساءت أحوال المملكة طوال فترة حكمه.

لم يحدد العهد القديم فترة السيطرة الآرامية، ولكنه تطرق إلى تضرع الملك يهوآحاز إلى الرب من أجل تخليص بني إسرائيل من نير السيطرة الآرامية، وهو ما حدث بالفعل؛ حيث أعطى الرب مخلصاً لهم من أيدي الآراميين⁽²⁾، غير أن هوية هذا المخلص لم تكن محددة أو معروفة، ولكن العهد القديم يؤكد أنه الملك "يربعام بن يؤاش" أو يربعام الثاني حفيده.⁽³⁾

• **يهوآش بن يهوآحاز:** خلف يهوآش عرش أبيه يهوآحاز عام 798 ق.م، في الوقت الذي كانت لا تزال الأراضي التي احتلها الآراميون من مملكة إسرائيل تحت نفوذهم، استطاع الملك الآشوري (إدد نراري الثالث) تحقيق انتصارات عسكرية على أعدائه في صيدا، وصور، وبيت عمري، وأدوم، وكنعان، وساحل البحر المتوسط، والتي نقش على العديد من المسلات التي حفظتها لنا المعالم الأثرية. ففي مسلة تل الرماح نقراً بالنص ما يلي: «تلقيت ألفي وزنة من الفضة ومائة وزنة من الرصاص، وألفي وزنة من الحديد

(1) مصطفى كمال عبد العليم، سيد راشد، المرجع السابق، ص 135.

(2) سفر الملوك، الإصحاح 13، فقرة 4-5.

(3) سفر الملوك، الإصحاح 14، فقرة 28.

وثلاثة آلاف من الثياب المتعددة الألوان بوصفها جزية من ماري من أرض دمشق، وتلقيت جزية من يهوآش من السامرة ومن الصوريين والصيدونيين وتسلمت الجزية من كل ملوك بلاد نائيري»⁽¹⁾ لا شك أن الانتصارات التي حققها الملك الآشوري ادد نراري الثالث على مملكة دمشق استغلته مملكة السامرة في تقوية نفوذها وربط علاقاتها مع آشور، حيث تمتعت بفترة من الهدوء والاستقرار في عهد الملك (يهوآش)⁽²⁾.

• **يربعام بن يهوآش (يربعام الثاني) :** استطاع يربعام الثاني السيطرة على أملاك الدولة الآرامية مستغلا انشغال الآشوريين بمشاكلهم الداخلية⁽³⁾، كما لم تعد مملكة دمشق منافسا لمملكة إسرائيل، ونقرأ في سفر الملوك الثاني كيف استطاع يربعام الثاني من استرجاع الأقاليم التي خسرتها إسرائيل في حروبها السابقة مع الممالك المجاورة، «وهو رد تخم إسرائيل من مدخل حماة إلى بحر العربية، حسب كلام الرب إله إسرائيل الذي تكلم به عن يد عبده يونان بن إمتاي النبي الذي من جت حافر»⁽⁴⁾، وبالتالي كان لمملكة إسرائيل السيادة على دمشق وحماة مما يعني أنه خاض حروباً ضد الآراميين في الشمال والموابيين في الجنوب حتى استطاع أن يعيد حدود المملكة من الشمال ومن الشرق إلى ما كانت عليه أيام النبي داود.

وربما ساعد الملك "يربعام الثاني" تغير الأوضاع السياسية في المنطقة أيضاً؛ فقد دبّ الضعف في مملكة آشور، وحاولت الممالك السورية، بما فيها مملكة الشمال، تجديد حلفها القديم، والقضاء على النفوذ الآشوري في سوريا، غير أن القوات الآشورية حالت دون ذلك، من خلال مجموعة من الحملات في الأعوام (805 و 803 و 796 ق.م) تقريباً. وقد وجهت

⁽¹⁾ Milliard (A.R); Tadmor (H), "Add-Nirari III in Syria", Vol35, N1, Pub, British Institute for the study of Iraq, 1973, p57.

⁽²⁾ هشام ابو حاكمة، المرجع السابق، ص167.

⁽³⁾ بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص832.

⁽⁴⁾ سفر الملوك الثاني، الإصحاح 14، فقرة 25.

الإمبراطورية الآشورية مجهودها الحربي الأساسي تجاه الآراميين المسيطرين على المنطقة بقيادة ابن هدد الثالث.⁽¹⁾

كان يربعم الثاني آخر الملوك الأقوياء في مملكة إسرائيل (746-784 ق.م)، وقد وُطِّدَ علاقاته مع فينيقيا التي بلغ أسطولها التجاري ذروة قوته في البحر الأبيض، وتوسعت حدود مملكته الشمالية على حساب الآراميين، واستطاع استرداد الحدود القديمة للمملكة التي كانت على عهد آحاب، وكانت تمتد من مدخل حماه وحتى وادي عربة إلى الجنوب من البحر الميت بما في ذلك موآب⁽²⁾.

- **التهجير الآشوري وسقوط مملكة إسرائيل:** أعقب الانهيار المتلاحق لمملكة إسرائيل بسقوط أسرة "ياهو" بداية نهاية وجود مملكة إسرائيل على يد الآشوريين وقد توالى الأحداث في هذه الفترة القصيرة من الزمن في عنف وسرعة، وإذا كانت التوراة قد أعطت لهذا الانهيار المتلاحق لمملكة إسرائيل على أنه غضب من الرب بسبب تخليهم عن عبادة الإله "يهو"⁽³⁾ وانصرافهم إلى معبودات أخرى، فانه وفي المقابل هناك تفسيرات أخرى وعوامل تتعلق بطبيعة التحالفات في المنطقة بين مملكة دمشق مع إسرائيل ضد مملكة آشور ويهوذا ورغبة الآشوريين في التطلع للتوسع غربا بقيادة الملك الآشوري "تغلات فلاستر".

يعد الملك الآشوري تغلات فلاسر الثالث (754 ق.م-727 ق.م) أول من انتهج سياسة الترحيل المنظم للشعوب المغلوبة واحلال جماعات محلها يتم اختارها من شعوب مغلوبة أخرى؛ وذلك من اجل إيجاد نسيج اجتماعي غير متجانس في الأقاليم المستعمرة يسهل السيطرة عليها،⁽⁴⁾ والقضاء على جيوب المقاومة في المناطق الثائرة، حيث سعى منذ وصوله

(1) سلمان عماد خضير، المرجع السابق، ص40.

(2) سفرعاموس، الإصحاح6، الآية14؛ سفر الملوك الثاني، الإصحاح14، فقرة25-28.

(3) محمد بيومي مهران، تاريخ بنوإسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص835.

(4) طه باقر، المرجع السابق، ص561.

إلى سُدة المُلك إلى استعادة جميع الأراضي التي فقدتها أسلافه وأخذ الجزية من ملك إسرائيل "منحيم بن حادي"⁽¹⁾ عام 738 ق.م، كما خضعت له دمشق وعدد من مدن إسرائيل وتحويلها إداريا إلى مقاطعات آشورية، كما سبى سكانها إلى آشور⁽²⁾. ولقد دونت انتصارات تغلات فلاسر الثالث في النقوش الآشورية، ومما جاء فيها «قمت بضم جميع مدن بيت عمري حملاتي السابقة ولم أترك سوى مدينة السامرة».⁽³⁾ كما عمل على إيجاد سياسة إدارية جديدة قائمة على اخضاع الأقاليم المفتوحة لإدارة آشور عن طريق نواب آشوريين للملك⁽⁴⁾، أما مملكة يهوذا فقد انحاز ملكها آحاز إلى آشور، وذلك قصد طلب الحماية⁽⁵⁾ والأمان نظرا للتقارب والتحالف الذي شهدته مملكة دمشق، في عهد ملكها "رصين" و"ققح بن رمليا" ملك إسرائيل، والذي بات يهدد مملكة يهوذا، ومما جاء في سفر الملوك الثاني: «وأرسل آحاز رسلا إلى تغلات فلاسر ملك آشور قائلا: أنا عبدك وابنك اصعد وخلصني من يد ملك آرام ومن يد ملك إسرائيل القائمين، فأخذ آحاز الفضة والذهب الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك وأرسلها إلى ملك آشور هدية، فسمح له ملك آشور وصعد إلى دمشق وأخذها وسبأها إلى قير وقتل رصين، وسار الملك آحاز للقاء تغلات فلاسر ملك آشور إلى دمشق»⁽⁶⁾.

بعد القضاء على مملكة إسرائيل عام 721 ق.م⁽⁷⁾ تفرغت آشور لمملكة يهوذا في أيام حكم ملكها "حزقيا" ومن الثابت أن يهوذا قد التزمت الممالة لأشور والعمل على تنفيذ سياستها في سوريا الجنوبية وفلسطين، مستغلة في ذلك تغير الأوضاع من حولها من خلال

(1) سفر الملوك الثاني، الإصحاح، 15، فقرة 29.

(2) فتحي محمد الزغيبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر، 1994، ص246.

(3) نفسه، هامش 6، ص 264.

(4) فليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان، المرجع السابق، ص 213.

(5) Paul Downs, B.A, Phoenicia, Philistia, and Judah as Seen Through the Assyrian Lens, Master of Arts degree in the Graduate School of the Ohio State University, 2015, P56.

(6) سفر الملوك الثاني، الإصحاح 16، فقرة 7-10.

(7) الشيخلي عبد القادر، المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول الوجيز في تاريخ العراق القديم، كلية التربية، جامعة بغداد، 1990، ص165.

تغير خريطة المنطقة والذي ميزه الانهيار العام للبنى السياسية القديمة في المنطقة وسقوط الممالك السورية من حولها⁽¹⁾.

- **مراحل التهجير الآشوري لليهود:** مرت عملية التهجير الآشوري ليهود مملكة إسرائيل على يد ثلاث ملوك آشوريين وهم الملك تجلات فلاسر الثالث والملك شيلمنصر الخامس والملك سرجون الثاني وبتناولها كآلاتي:

أ/ في عهد الملك تجلات فلاستر الثالث: تولى الحكم في الفترة الواقعة بين عامي (727-745) ق.م، وقد وصل إلى سدة الحكم على إثر ثورة "كلخ" عام 746 ق.م⁽²⁾، حكم البلاد قرابة الثمانية عشرة سنة تمكن خلالها من استعادة الهدوء والأمن في البلاد، واصل حملاته التي كان قد بدأها أسلافه من قبل، قام بإصلاحات كبيرة داخل صفوف الجيش ونظام الإدارة في الإمبراطورية؛ ولذا اعتبر المؤرخون عصره بداية التاريخ لعصر الإمبراطورية الآشورية الثانية التي وصفت بأنها الأكثر قوة وانتشاراً⁽³⁾، هذا وقد بدأ "تجلات فلاستر الثالث" حركة توسعته بمنطقة "بابل" الجارة التي خضعت له دون مشقة وعهد أمرها إلى "نابو نصر" ثم اتجه بقواته نحو سوريا وفلسطين وممالك ساحل المتوسط⁽⁴⁾، - كونها تعد ذات بعد استراتيجي هام للتوغل الآشوري إلى جنوب شرق آسيا الصغرى من ناحية،

⁽¹⁾ فراس سواح، آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ط1، دار علاء للنشر، دمشق، سوريا، 1995، ص245.

⁽²⁾ كلخ (نمرود حالياً): كانت إحدى العواصم الآشورية الأربع، وقد ورد اسمها في العهد القديم (التكوين 10: 11-12) بصيغة كالج. تقع على الجانب الشرقي لنهر دجلة على مسافة 35 كم إلى الجنوب من الموصل. وكان يحيط بها سور لم تزل بقاياه واضحة؛ طوله نحو ثمانية كيلومترات، ومساحة الموضع نحو 360 هكتاراً، وهذا ما يجعلها رابع مدينة في بلاد الرافدين القديمة من ناحية المساحة بعد بابل ونيوى وأوروك. للمزيد من التفاصيل انظر: سلمان عماد خضير، المرجع السابق، هامش رقم 01، ص45.

⁽³⁾ Shigeo YAMADA, Inscriptions of Tiglath-pileser III, Chronographic-Literary Styles and the King's Portrait, ORIENT, Volume 49, The Society for Near Eastern Studies in Japan 2014, P45.

⁽⁴⁾ أحمد زيدان خلف صالح الحديدي، علاقات بلاد آشور مع الممالك الحثية الحديثة في شمال سوريا (911-612 ق.م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005، ص69.

ومصر من ناحية أخرى التي تعد هدفه الرئيسي⁽¹⁾، وبعد حروب دامت قرابة العامين أخضعها لنفوذ الآشوريين⁽²⁾.

أرعبت جيوش تجلات بلاسر كلاً من سوريا ومملكة إسرائيل؛ فقام ملوكهما بتقديم العطايا والهدايا الثمينة⁽³⁾ افتداءً لأنفسهم من ذلك الملك الآشوري، وقد هُرعَ "مناحيم بن جادي"، ملك إسرائيل الذي عاصر السنوات الأولى لحكم تجلات بلاسر، وكان مشهوراً بالقسوة والظلم بتقديم فروض الطاعة والخضوع مع ما تيسر له من هدايا، ليساعده على الاحتفاظ بعرشه⁽⁴⁾، ومن ثم وجد مناحيم بن جادي نفسه في وضع حرج داخل مملكته؛ فقد أصبح مُحَاصَراً في الداخل بغضب من قومه، نتيجة لطغيانه وأعماله الوحشية، ومن المصريين في الغرب من ناحية، ومن آشور في الشرق من ناحية أخرى، لذا اضطر إلى طلب العون من الملك الآشوري، وأعلن خضوعه وإشهار ولائه للملك الآشوري، وكانت هذه أول مرة تطأ الجيوش الآشورية مملكة إسرائيل. وقد أشار العهد القديم إلى ذلك: «في السنة التاسعة والثلاثين لعزريا ملك يهوذا، ملك "مناحيم بن جادي" على إسرائيل في السامرة عشر سنين. وعمل الشر في عيني الرب. لم يحد عن خطايا "يربعام بن نباط" الذي جعل إسرائيل يخطئ كل أيامه. فجاء فول ملك آشور على الأرض، فأعطى مناحيم لفول ألف وزنة من الفضة لتكون يده معه لينتبت المملكة في يده. ووضع مناحيم الفضة على إسرائيل على جميع جبابرة البأس ليدفع لملك آشور خمسين شاقل فضة على كل رجل، فرجع ملك آشور ولم يبق هناك في الأرض»⁽⁵⁾.

وفقاً لما ذكرته بعض النصوص الآشورية من أخبار حملات "تجلات فلاستر"، فقد ورد في أحد النصوص مايلي:

(1) محمد بيومي مهران، تاريخ العراق القديم، المرجع السابق، ص383.

(2) عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية، 2012، ص782.

(3) Grayson, A.K, "Assyria: Tiglath-pileser III to Sargon II 744-705 B.C", CAH. Vol.III, Cambridge, 1991, P. 74.

(4) سفر الملوك الثاني، الإصحاح 15، فقرة 19-20.

(5) سفر الملوك الثاني، الإصحاح 15، فقرة 20.

«تسلمت الجزية من حوشتاشبي ملك كوماجين، ورصين ملك دمشق، ومناحيم ملك السامرة، وحيرام من صور، وسيبتي بعل ملك جبيل، وأوركي من قوية، وبيسيرس ملك كرقميش، وأنليل ملك حماة، وبنامو ملك سمأل، وتارهولا ملك جرجوم، وسولو مل ملك ميليتي، ودادايلو من كسكا، وأوشورما ملك تابال، أوشوتي ملك تونا، أوربلا من توهانا، وتوهامي ملك إشتوندا، وريمي ملك هوبشينا، وزيببة ملكة العرب، وتتألف من الذهب، والفضة، والقصدير، والحديد، وجلد الفيل، والعاج، وثياب من الكتان المزركش الملون، وصوف مصبوغ بالأزرق والأرجواني، وخشب الأبنوس، وخشب البقس، وكل ما هو ثمين. أودعتها الخزينة الملكية، وتسلمت أيضًا حمل صوف مصبوغ بالارجواني، وطيورًا وحشية صبغت أجنحتها باللون الأزرق، علاوة على الخيول والبغال والماشية الكبيرة والصغيرة، وذكور الجمال وإناث الجمال، مع مهورها»⁽¹⁾.

وفي نص آخر يشير إلى المضمون نفسه بفرض الجزية على مناحيم ملك السامرة: «ملوك بلاد حاتي، والآراميون على الساحل الغربي، والعرب القيدار، ورصين من دمشق، ومناحيم من السامرة، وطربائيل من صور... وزيببة ملكة العرب... وفرضت عليهم الجزية، ذهبًا، وفضة، وقصديرًا، وحديدًا، وجلد فيل، وعاج، والصوف المصبوغ بالأزرق والأرجواني، وألبسة ملونة من الكتان والنوق، ونصبت مسلة على الجبل، ونحت عليها رموز الآلهة العظيمة، أسيادي، وعلى رأسهم سيدي الأعلى الإله أشور وذكرت كل منجزاتي التي قمت بها في جميع البلاد»⁽²⁾. ونقرأ في نص آخر من حوليات الملك الأشوري "تغلات فلاستر" ما نصه: «قمت بضم جميع مدن عمري (مدن إسرائيل) في حملاتي السابقة ولم أترك سوى مدينة السامرة...أخذت نفتالي بأسرها وضممتها إلى أشور وعهدت برجالها حكاما عليها، وجميع سكان عمري وممتلكاتهم حملت إلى أشور»⁽³⁾.

⁽¹⁾ Luckenbill, (D.D), Ancient Records of Assyrian and Babylonia (ARAB), Chicago, 1927 Vol.2, No 772, p27.

⁽²⁾ Tadmor (H), The Inscription of Tiglath pileser III, King of Assyria, 1994, p. 106-109.

⁽³⁾ سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص74.

ب/ في عهد " شلمنصر الخامس" (728-722 ق.م): توفي " تجلات فلاستر الثالث" عام 727 ق.م بعد أن وصلت الإمبراطورية الآشورية إلى ذروة مجدها، وبوفاته تسلم ابنه " شلمنصر الخامس" مقاليد الحكم، وقد كان قبل ذلك واليا على "فينيقيا"⁽¹⁾، عاصر الملك شلمنصر الخامس الملك "هوشع بن أيله" ملك مملكة إسرائيل، استغل ملك إسرائيل "هوشيا" الوضع معلنا تمرده عن السلطة المركزية لآشور، حيث امتنع عن دفع الجزية التي كانت مقررة على مملكة إسرائيل معتمدا على الوعود التي قطعتها مصر له بالوقوف إلى جانبه ان هو قد تعرض لغزو من قبل الآشوريين⁽²⁾، ربما لم تتخل مصر عن سياستها المعهودة في دعم قوى المعارضة المناوئة لآشور⁽³⁾، سرعان ما جاء الرد قاسيا من قبل الملك " شلمنصر الخامس" الذي زحفت قواته نحو فلسطين وأخضع فينيقية، واجتاح مملكة إسرائيل الشمالية، ولم يستطع "هوشع" القيام بأي عمل أو مجهود ضد قوة الآشوريين التي وصلت المنطقة بصورة مفاجئة وغير متوقعة، كما أن هول تلك القوات أرعب ملك السامرة مما دفعه إلى التفكير بترك المدينة والهرب إلى مكان آخر أكثر أمنا⁽⁴⁾، إلا أن القوات الآشورية استطاعت الإمساك به وأسرته ونقله إلى آشور وتم فرض حصارا حول السامرة، وإحراق جميع المدن والقرى المحيطة بها.

ج/ في عهد سرجون الثاني (721-705 ق.م): واجه الملك الآشوري سرجون الثاني عند توليه مقاليد الحكم العديد من التحديات، ولعل أبرزها مشكلة الجبهة الغربية⁽⁵⁾ المتمثلة باستمرار تدخل مصر في شؤون الممالك السورية والفلسطينية وتحريضها ضد آشور وذلك قصد جعلها قاعدة أمامية لمنع أطماع توغل النفوذ الآشوري في مصر، لكن هذا لم يثني

⁽¹⁾Trever,A, Ahistory of Ancient Civisation ,Vol1, NewYork,1939,P96.

⁽²⁾كاظم جبر سليمان، الصلات السياسية والحضارية بين العراق القديم والعبرانيين خلال الألف الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، 2005، ص74.

⁽³⁾سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، 1979، ص224؛ رشا ثامر مزهر المهنا، التطورات السياسية للدولة الآشورية (911-745 ق.م)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، كلية التربية، جامعة بابل، 2005، ص124.

⁽⁴⁾سلمان عماد خضير، المرجع السابق، ص47

⁽⁵⁾عماد عبد العظيم أبو طالب، تاريخ العراق القديم، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ص242.

عزم "سرجون الثاني" الذي سّير حملات عسكرية استطاع بموجبها الحاق هزائم بجيش مصر⁽¹⁾ الذي كان قد أرسل لمساندة ملك أورشاليم، كما تم القضاء على القوى المناوئة له في موقعة "قرقر" الثانية⁽²⁾ عام 720 ق.م وقد جاءت بعد معركة "قرقر" الأولى بنحو 133 عاما، استطاع خلالها الملك "سرجون الثاني" أن يستولي على مملكة إسرائيل، ونصب عليها حاكما آشوريا من أجل إدارة البلاد وتحصيل الجزية التي كانت قد فرضت عليها سابقا، كما عمل على تهجير سكانها، حيث قام بنقل قرابة 27290 شخصا⁽³⁾، وأسكنهم مناطق بعيدة عن مقر اقامتهم، في بلاد ميديا وغيرها من البلاد الواقعة تحت سيطرة الآشوريين، وقد خلدت هذه الانتصارات في نصوص آشورية عدة، حيث نقرأ في بعضها ما يشير إلى هذه الانتصارات. «لقد حاصرت وفتحت السامرة، وسقت غنيمة 27290 من سكانها وقد ألفت من بينهم فرقة لخمسين عربية وجعلت الباقين من السكان يأخذون أماكنهم الاجتماعية، وقد نصبت عليهم موظفا من موظفي، وفرضت عليهم الضرائب...»⁽⁴⁾

د/ في عهد الملك سنحريب (704-681 ق.م): ورث السلطة عن أبيه "سرجون الثاني" عام 705 ق.م ولم يكن الولد البكر للملك، ولكن وقع عليه الاختيار -لأسباب تبقى مجهولة- ليكون وليا للعهد، فكان عهده عهد رخاء اقتصادي وازدهار حضاري، اتبع سياسة مغايرة لسياسة أبيه، حيث كان ميّالا للسلم اذ انتهج مبدأ الدبلوماسية الهادئة في حل المشاكل مع دول الجوار، إلا أن هذه السياسة لم تستمر طويلا معه حيث سّير العديد من الحملات العسكرية نحو الأقاليم الغربية فلسطين وفينيقيّا، التي امتنعت عن دفع الجزية لآشور، فهذا الملك "حزقيا" ملك يهوذا أصبح يفكر جديا في التمرد على الآشوريين مستغلا الحالة العامة

(1) نبيلة محمد عبد العليم، معالم العصر التاريخي في العراق القديم، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص220.

(2) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج1، المرجع السابق، ص565؛ طعمة وهيب خزعل، المملكة الآشورية من عصر القوة إلى الانهيار 722-610 ق.م، مجلة التراث العلمي العربي، عدد2، بغداد، العراق، 2015، ص337.

(3) نبيلة محمد عبد العليم، المرجع السابق، ص220.

(4) ابتهاج عادل إبراهيم الطائي، اليهود في المصادر المسمارية خلال الألف الأول ق.م، أطروحة دكتوراه، في التاريخ القديم، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2002، ص143.

المناهضة للحكم الآشوري في جميع مناطق سوريا الغربية⁽¹⁾، وفي عام 701 ق.م تولى الملك "سنحريب" بنفسه قيادة الجيش الذي اختار طريق الساحل الفينيقي حيث تمكنت قواته من احكام سيطرتها على "ببيلوس" (جبيل) و"أشود" و"مؤاب" و"عمون" و"أدوم"⁽²⁾ وتسارعت إلى أسماع مصر نبأ تحرك القوات الآشورية على مدن الساحل الفينيقي حتى سارعت إلى تقديم العون إلى ملك يهوذا "حزقيا" من أجل تأمين مملكته من الغزو الآشوري.

ونقرأ في حوليات الملك "سنحريب": السياسة التي تبنتها قواته في مواجهة مملكة يهوذا «أما حزقيا اليهودي فإنه لم يخضع لنيري فحاصرت ستا وأربعين من مدنه القوية وحصونه المسورة وعلى القرى الصغيرة المجاورة التي لا حصر لها...وقد سقت منهم مائتي ألف ومائة وخمسين صغارا وكبارا، ذكورا وإناثا، وأخذت خيلا وبغالا وحميرا وجمالا وماشية لا تحص كغنيمة»⁽³⁾

أما عن اهداف سياسة التهجير التي تبناها الآشوريون فتتمثل أساسا في⁽⁴⁾:

- القضاء على المنافسين المحتملين وعلى إمكانات المقاومة والعصيان.

- إيجاد جماعات تعتمد على السلطة الآشورية ضمن الشعوب المحكومة وموالية لها.

- **النفوذ البابلي:** بعد وفاة الملك الآشوري "آشور بانيبال" تراجع نفوذ الآشوريين بشكل ملفت مما مهد الطريق أمام ظهور نفوذ جماعات آرامية كلدانية⁽⁵⁾ خضعت في بداية أمرها لنفوذ

⁽¹⁾ أفراس سواح، المرجع السابق، ص 255.

⁽²⁾ مصطفى عبد العليم وسيد فرج، المرجع السابق، ص 157.

⁽³⁾ حسين سيد نور الأعرجي، مؤيد مجيد محمد الكعبي، نتائج التهجير القسري في العراق القديم الدولة الآشورية نموذجاً، مجلة كلية التربية، عدد 28، جامعة واسط، بغداد، العراق، ص 269.

⁽⁴⁾ توماس ل. طومسون، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ت، صالح علي سوداح، ط 1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1995، ص 234.

⁽⁵⁾ الكلدانئون: هم فرع من الأراميين، الذين يرجعون في أصولهم إلى الجماعات البدوية التي كانت تنتقل في بوادي الجزيرة الشمالية، ومنذ بداية الألف الثاني ق.م بدأت مجموعات منهم بالاستيطان تدريجيا في مناطق تقع على نهر الفرات في سوريا والعراق، ورد اسم الكلدانيين في المصادر المسمارية باسم "مات كلديا" أي بلاد كلديا، وقد شاع استخدام مصطلح "كلدانئون" وقد شاع استخدام المصطلح في الكتابات العربية والأجنبية فيما بعد. للمزيد أنظر: حياة إبراهيم محمد، نبوخذ نصر الثاني 604 - 562 ق.م، المؤسسة العامة للآثار والتراث، العراق، 1983، ص 32.

مملكة آشور، وما إن ذاع صيت "نبوبلاصر" زعيم هذه القبيلة حتى أعلن نفسه ملكا على بابل عام 626 ق.م.

بعد اضمحلال نفوذ الآشوريين وزوال ملكهم استتبشر اليهود خيرا ورءوا أن نهاية الظلم قد انتهت، وما إن ظهر نفوذ البابليين ظهرت معه مخاوف اليهود من جديد، فتأرجحت مواقف مملكة يهوذا بين من يرى في التحالف مع مصر أنها أخف الأضرار إذا ما قيسَت بأطماع البابليين؛ لذا اختار ملك يهوذا "يهوياقيم" سياسة التحالف مع مصر كقوة تقليدية عسى أن يكون في مأمن من التجاذبات الدولية وعلى رأسها القوة الصاعدة الجديدة للبابليين، ولقد أدركت بابل في بداية حكم الملك "نبوخذ نصر" (605-562 ق.م) -الذي يعد المؤسس الفعلي للإمبراطورية البابلية الحديثة⁽¹⁾- الأهمية الاستراتيجية للمنطقة الغربية لبلاد بابل كونها تمثل منفذا تجاري واستراتيجيا نحو البحر الأبيض المتوسط لضمان تدفق البضائع من وإلى بابل، استطاع البابليون تحييد قوة الميديين فتحالفوا معهم في عهد ملكهم "كياكسارس" (Cyaxares) ونظرا لتزايد أطماع مصر في ملء الفراغ الذي تركه الآشوريين على طول الساحل الفينيقي، سير الملك المصري "نخاو الثاني" (610-595 ق.م) قواته عام 609 ق.م لمساعدة ما تبقى من قوات الجيش الآشوري ضد خصومهم البابليين والميديين، ولكي يكون لمصر نفوذ ومكانة في غرب آسيا، ولقد تصدى ملك يهوذا "يوشيا" في محاولة يائسة منه للقوات المصرية لمنع تقدمها، وكان من نتائجها مقتل الملك اليهودي وسيطرة مصر على فلسطين وأجزاء كبيرة من سوريا⁽²⁾ وفي عام 605 ق.م سير الملك البابلي "نابوبلاصر" حملة عسكرية وعهد بقيادتها إلى ابنه "نبوخذ نصر الثاني" لملاقاة الجيش المصري والتصدي لأطماعه على طول الساحل الفينيقي وأجزاء واسعة من غربي آسيا،

(1) سامي سعيد الأحمد، الدولة الكلدانية زمن نابوبلاصر ونبوخذ نصر، مجلة المؤرخ العربي، عدد 29، الاتحاد العام للمؤرخين العرب، بغداد، 1986، ص 255.

(2) كاسم جبر سلمان، صلات العبرانيين بالعراق القديم من بداية العصر الآشوري الحديث حتى نهاية العصر الإخميني، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، كلية التربية، جامعة بابل، 2005، ص 96.

والتقى الجيشان المصري والبابلي في منطقة "كركميش" التي أحرز فيها الجيش البابلي انتصارا لا نظير له على القوات المصرية، وقد عبّر عنها النص البابلي كمايلي: «في السنة الحادي والعشرون مكث ملك أكد "تابوبلاصر" وحشد ابنه الأكبر وولي عهده نبوخذ نصر جيش أكد، وتولى قيادته وانطلق نحو كركميش التي تقع على ضفاف الفرات... واشتبك الجيشان في المعركة وفر جيش مصر من وجهه وانزل به الهزيمة...»⁽¹⁾

7- الحياة الاجتماعية والدينية في مملكة يهوذا والسامرة:

- الحياة الاجتماعية:

شهدت مملكتا الشمال والجنوب نوعا من عدم الاستقرار الاجتماعي، خاصة مملكة الشمال التي كانت أكثر اضطرابا من الناحية الاجتماعية كونها كانت تتكون من أكبر عدد من الأسباط. والحقيقة أنه مع انخفاض معدل التوازن الاقتصادي بدأت المشاكل الاجتماعية تطفو على السطح، وبدأ نوع من الانهيار الاجتماعي يحل بالمملكتين، فمع اتساع حدود المملكتين انكشف اللثام عن أمراض اجتماعية أصابت بناء المجتمع، حيث ظهر انقسام طبقي وغابت العدالة الاجتماعية، بدأ نظام حكم فاسد مضطهد من جانب الملوك واتباعهم من السادة ورجال الحاشية، نتج في الأساس من نظام اقتصادي فاسد، هدف لتركيز الثروات في أيدي الطبقة العليا، والسيطرة على نظام الحكم عن طريق تقديم الهدايا والعطايا، واستعباد هذه الطبقة لأبناء الطبقة الدنيا. كما فسد النظام القضائي، فأصبح يوالي الأغنياء على حساب الفقراء، فانتشرت المفاصد والآفات الاجتماعية، وانتشر الغش في الموازين إلى جانب الغش في البضاعة ذاتها رغبة في زيادة الكسب والربح، وكانت معظم معاملاتهم مع غيرهم تقوم على المراهنات وتعاطي الربا⁽²⁾، وأصبحت أيام الأعياد والراحة التي يتوقفون فيها عن العمل تسبب لهم الضيق والتذمر، وتجعلهم ينتظرونها بفارغ الصبر، وازداد ظلم الفقير

⁽¹⁾ إبراهيم محمد علي الهلالي، المرجع السابق، ص 130.

⁽²⁾ سعد المرصفي، المرجع السابق، ص 123.

وتجاهل المجتمع حقوق الارامل واليتامى وتفككت العلاقات الاسرية، ولم تعد للأب السلطة الكاملة على الأسرة⁽¹⁾، مما استدعى انطلاق الأصوات النبوية المتمثلة في الأنبياء لمعارضة مظاهر الفساد في المجتمع اليهودي طوال عهد الملكة وحتى بعد زوالها.⁽²⁾

- الحياة الدينية:

عبد اليهود الشمس والقمر وغيرها من المعبودات الوثنية فقد ورد في عهد الملك "يوشيا" الذي تميزت فترة حكمه بالتصدي للعبادات الوثنية، ومحاولة إعادة مسار العبادة الصحيحة لليهود وفق شريعة موسى النبي، حيث عزم على حرق جميع ما أودع في المعبد في أورشاليم و ذم ملوك يهوذا الذين ابتدعوا عبادة الأوثان، إذ نقرأ في سفر الملوك الثاني ما نصه "لا شيء كهنة الأصنام الذين جعلهم ملوك يهوذا ليوقيدوا على المرتفعات في مدن يهوذا وما يحيط بأورشاليم والذين يقيدون البعل للشمس والقمر والمنازل ولكل أجناد السماء"⁽³⁾. وورد في موضع آخر "وأباد الخيل التي أعطاها ملوك يهوذا للشمس عند مدخل بيت الرب، ومركبات الشمس أحرقتها بالنار"⁽⁴⁾. وفي رؤيا حزقيال نقرأ أيضاً "وإذا عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلاً ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو الشرق"⁽⁵⁾ وفي سفر الأيام الثاني وفي عهد الملك آحاز أحد ملوك مملكة الجنوب صرفت أموال طائلة في تزيين المعابد بالتماثيل المسبوكة بالذهب " وعمل أيضاً تماثيل مسبوكة للبعليم"⁽⁶⁾.

"تأثرت اليهودية بشكل أو بآخر بالتشكيل الحضاري السامي الوثني كما دخلت عليها عناصر وثنية حلولية عديدة وجدت طريقها إلى العهد القديم عند تدوينه، وعلى هذا فإن

(1) عفيفي أحمد حسن، عاموس وأثره في الديانة اليهودية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 1973، ص 68.

(2) محمود أحمد المراعي، إشعيا نبي بني إسرائيل وأزمة الكيان اليهودي القديم، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 15.

(3) سفر الملوك الثاني، الإصحاح 25، فقرة 5.

(4) سفر الملوك الثاني الإصحاح 23، فقرة 11.

(5) سفر حزقيال، الإصحاح 8، فقرة 16.

(6) سفر الأيام، الإصحاح 28، فقرة 3.

العهد القديم يعد وثيقة صراع بين اتجاهين: اتجاه توحيدي عالمي أخلاقي يؤمن بإله يسمو على العالمين ولا يفاضل بين قوم وقوم إلا بالتقوى، وهو الاتجاه الذي حمل لواءه الأنبياء والرسل، أما الاتجاه الثاني فهو اتجاه وثني حلولي قومي يرى إله اليهود يحل فيهم وحدهم ومقصود عليهم⁽¹⁾ مثلما هو الشأن لدى شعوب الأمم القديمة إذ كان لكل قبيلة ولكل مدينة إلهها الخاص بها فكما للفلسطينيين إله (داجون) ولفنيقيا إله (ملقارت) ولمؤاب إله (كموش) كان لبني إسرائيل إله (يهو) ويدّعي اليهود أنهم هم من أسسوا لفكرة التوحيد⁽²⁾ من خلال هيمنة الإله (يهو) على جميع الآلهة الأخرى، وذلك بعد أن ينتصر عليها بواسطة شعبه المختار، "الربّ الرهيب عليهم فيستأصل جميع آلهة الأرض وله يسجد الناس كل واحد من موضعه.."⁽³⁾ والوحدانية في نظرهم لم يقرها حتى إلههم (يهو) الذي يتحدث عن نفسه ويصف نفسه بالعلو والكمال على جميع الآلهة "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" وعلى الرغم من التحذيرات التي وجهها لهم إلههم إلا أنهم ظلوا طوال عهودهم يحنون إلى معبودات غيرهم من الشعوب الوثنية سوى كان ذلك بإرادة منهم أو رغما عنهم نتيجة خضوعهم للسيطرة الأجنبية، فعبدوا آلهة المصريين والآشوريين والبابليين وغيرهم من آلهة شعوب الحضارات القديمة.

- **الأصول الشرقية للطقوس اليهودية:** حفلت الديانة اليهودية بالعديد من الطقوس والممارسات التعبدية والتي كان مصدرها شعوب الشرق القديمة إذ أخذوا الكثير من الطقوس التعبدية عن الكنعانيين والآشوريين والبابليين، وهذا ما يؤكد أحمد سوسة في كتابه "العرب واليهود في التاريخ" حيث يقول: "لقد ثبت الآن أن دين العبرانيين (اليهود)

⁽¹⁾ جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ط1، ت، عادل زعير، مكتبة النافذة، 2009، ص96.

⁽²⁾ فتحي محمد الزعبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، المرجع السابق، ص685.

⁽³⁾ سفر صغنيا، الإصحاح2، الآية 11.

لا يمكن اعتباره كونه تطور ونما محليا، بل انما كانت عناصره الجوهرية قد استقيت من آراء كانت متراكمة ومن معتقدات كانت شائعة بين الأقوام السامية في الشرق.⁽¹⁾

لا شك أن العبادات من أبرز مظاهر الشعائر التي تركز عليها الأديان بغض النظر عن طبيعة الدين سوى كان ديناً سماوياً أم وضعياً، ومن الأعمال التعبدية التي كان بنو إسرائيل يتقربون بها إلى آلهتهم تقديم القرابين⁽²⁾ بجميع أنواعها وأشكالها، وذلك لنيل رضى الآلهة وتجنب غضبها وسخطها، أو الوفاء بالندور، أو الشكر على النعم، أو توسل الغفران، أو لمباركة الماشية والزرع، وتعد القرابين ركناً أساسياً من أركان العبادة اليهودية وقد كرست لها مساحة مهمة من نصوص التوراة، وبينت بالشرح والتفصيل في الشروط الواجب توفرها فيها ومناسبات تقديمها، وقد أفرط اليهود إفراطاً لا نظير له في تقديم القرابين لإلههم "يهو" حيث تم توظيف هذه الطقوس ليس من قبيل التزلف والتقرب إلى معبودهم وإنما طلب للكسب والتربح الذي مارسه كهنتهم⁽³⁾. هذا وقد مارس بنو إسرائيل تقديم قرابينهم للرب سرا وعلناً، فعندما كان بنو إسرائيل في مصر كانوا يقدمون قرابينهم سرا خوفاً من بطش الفراعنة⁽⁴⁾ طوال ذلك الوقت كان أبناء شعبك الصالحون يقدمون لك الذبائح في السر⁽⁵⁾، وفي أيام موسى عليه السلام وحسب رواية التوراة طلب الرب منه عند دخول أرض فلسطين أن يقدم بنو إسرائيل قرباناً مُحرقاً، أو ذبيحة وذلك وفاء لنذر أو نافلة⁽⁶⁾، وحتى وهم في أرض المنفى لم يتوانوا في تقديم قرابينهم "من عبر أنهار كوش المتضرعون إليّ متبديدي

(1) أحمد سوسة، العرب، المرجع السابق، ص 220.

(2) القرابين بالضم: ما قرب إلى الله عز وجل، قربت لله قرباناً وتقرب إلى الله بشيء، أي طلب به القربة عند الله تعالى، يقول الله تعالى في محكم آياته "وأتل عليهم نبأ ابني آدَمَ بالحق إذ قربا قرباناً". والقران مصدر قرب يقرب أي: يتقربون إلى الله بإزاحة دمائهم في الجهاد، وكان قربان الأمم السابقة ذبح البقر والغنم والإبل. أنظر: بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص 723.

(3) عبد السميع عماد علي، الإسلام واليهودية، دراسة مقارنة من خلا سفر اللاويين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص 355.

(4) أسامة عدنان يحيى، العبادات والطقوس في الديانة اليهودية، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد 23، عدد 97، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، 2017، ص 384.

(5) سفر الحكمة، الإصحاح 18، فقرة 9.

(6) سفر العدد، الإصحاح 15، فقرة 1-3.

يقدمون تقدمتي"⁽¹⁾ وفي أثناء التهجير البابلي في عهد الملك نبوخذ نصر حرص اليهود المهجّرون على إرسال المال لمن بقي من إخوانهم في فلسطين لشراء الذبائح على شرف الرب لتكون تكفيرا عن ذنوبهم وآثامهم⁽²⁾. وقد مرت القرايين في الديانة اليهودية بعدة مراحل:

- **القرايين البشرية:** رغم ورود العديد من النصوص الدينية التي تحرم على بني إسرائيل وتحذرهم من أن يسلكوا مسلك الوثنيين في استخدام دماء الضحايا البشرية في طقوسهم الدينية إلا أنهم مارسوها وبشكل واسع، " لا تعمل هذا للرب إلهك لأنهم قد عملوا لآلهتهم كل رجس لدى الرب مما يكرهه إذ أحرّموا حتى بنيهم وبناتهم بالنار لآلهتهم..⁽³⁾ ورغم ذلك نجدهم لا يلقون بالا لكل هذه الوصايا والمحاذير التوراتية، إذ حفل تاريخهم بقصص القرايين البشرية التي كانوا يقدموها على شرف الآلهة الوثنية تأثرا بالمناطق التي عاشوا فيها ومحاكاة أهلها وذلك بتقديم ذبائح آدمية⁽⁴⁾ من غير اليهود وتقديمها قربانا لإلههم ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التي كانت تقدم في أعيادهم الدينية، في "عيد الفصح" و"عيد استير" وذلك إرضاء لإله اليهود يهو المتعطش لسفك الدماء⁽⁵⁾ وفي أيام انتشار المسيحية كان اليهود يفضلون دم كل مسيحي نظرا للأحقاد التي يكنها اليهود للمسيحيين. أما اليوم فقد بات دم المسلمين خاصة في فلسطين مستباحا للصهاينة وهذا من خلال الجرائم اليومية التي تنتهك في حق الأطفال والنساء، تنفيذًا لوصايا إلههم "يهو"، كما أن هناك نصوصاً إجرامية كثيرة وردت في التلمود وكتب اليهود لا يتسع البحث لإدراجها.

(1) سفر صغنيا، الإصحاح 3، فقرة 10.

(2) سفر باروخ، الإصحاح 1، فقرة 6-17.

(3) سفر التثنية، الإصحاح 12، فقرة 31.

(4) أبو أنس المصري، حلمي بن محمد إسماعيل الرشدي، إرواء الضمآن بأخبار الشيطان ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2012، ص294.

(5) عبد الله التل، خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية، دار القلم، مصر، 1964، ص81.

- **القرايين الشفوية:** ارتبطت بفكرة الأدعية والصلوات التي استعيضت عن القرايين الحيوانية والبشرية، حين تم تهجير اليهود إلى بابل اكتفى المهجرين من بني إسرائيل بالتقرب من معبودهم بالصلوات والأدعية، ومع ذلك لم يمنع بعض المتشددین من اليهود من التمسك بشعيرة القربان فأصبح بالإمكان أن يذبح اليهودي قربانه في أي مكان شاء وعدم ارتباط تلك الطقوس بالمعبد أو الكهنة⁽¹⁾ ولعل هذا التطور في القرايين يعزى إلى الدور الذي لعبه أنبياء الاسر البابلي ودور بعض الكهنة الذين عملوا على انتشار العقيدة اليهودية من براثن الوثنيات التي عرفتھا الشعوب الأخرى، حيث أصبح بإمكان إله اليهود الاكتفاء بجزء من الإنسان وهو الختان بدلا من الإنسان كله.

(1) عماد علي عبد السميع حسين، المرجع السابق، ص 356.

الفصل الرابع

اليهود في ظل هيمنة
الامبراطوريات الكبرى

1- بنو إسرائيل في عهد الإمبراطورية الفارسية:

-اليهود في ظل النفوذ الفارسي: ورث الفرس الأخمينيون⁽¹⁾ الحكم الكلداني بعد سقوط بابل عام 538 ق.م، حيث توسعت أملاكهم في عهد كورش⁽²⁾ 550-530 ق.م لتشمل كل من سوريا ومصر وآسيا الصغرى ودعيت المنطقة الممتدة بين نهر الفرات شمالا وفلسطين والأردن جنوبا في المصادر الفارسية بمصطلح "خلف النهر"⁽³⁾ وبسقوط بابل توحدت غرب آسيا من البحر الإيجي إلى مشارف مصر تحت نفوذ الفرس فاستولى على بلاد الميديين والعلاميين⁽⁴⁾ وبالتالي زالت معه الحكومات السامية في غرب آسيا والتي استمر حكمها للمنطقة منذ 3000 ق.م إلى 2500 ق.م ومعه بدأ الحكم الآري لمنطقة غرب آسيا وشمال إفريقيا والذي دام حوالي ألف سنة تقريبا⁽⁵⁾، انتهز اليهود في ظل الوجود الفارسي العودة إلى ممارسة حياتهم الدينية بكل حرية والتعمق في شرح ودراسة الأسفار المقدسة وإتمام ما بدأه النبي عزرا⁽⁶⁾.

ونظرا لمرونة الجهاز الإداري عند الفرس فقد سمح للشعوب والجماعات التي كانت تابعة لإمبراطوريتهم بممارسة نوع من التسيير الذاتي في إدارة أقاليمهم، وفي فلسطين أعطوا

(1) الإخمينيون: سلالة ملكية فارسية أسسها قورش الثاني عام 550 ق.م وأطلق عليها اسم جد العائلة الأكبر أخمينيس، إثر قيام حكم هذه السلالة توحدت القبائل الفارسية العشر واستطاعت أن تتغلب على الماديين فحكمت الشرق القديم موحدة أجزاؤه، ضم قورش آسيا الصغرى إلى إمبراطوريته عام 546 ق.م واستولى على بابل عام 539 ق.م واحتل قمبيز مصر عام 525 ق.م. للمزيد أنظر: هنري. س. عبودي، معجم الحضارات السامية، ط2، طرابلس، لبنان، 1991، ص 52.

(2) كورش الكبير (558-528) هو أحد ملوك الإمبراطورية الفارسية الأولى الإخمينية ومدمر المملكة البابلية الكلدانية والليدية، كان كورش من الحكام الذين خلقوا ليكونوا حكاما، فلقد كان ملكا بحق في روحه وأعماله. للمزيد أنظر: ول وإيلر دورانت، قصة الحضارة، ج2، المرجع السابق، ص403؛ علاء حسن إسماعيل، الأرض المفقودة، د.ط، دار نون، د.ت، ص61 وما بعدها.

(3) هاشم محمد عمر خريس، آثار الأردن وتاريخه في الفترة الفارسية الإخمينية، ماجستير في التاريخ القديم، كلية الآثار والانثروبولوجيا، قسم الآثار، جامعة اليرموك، 2011، ص 40.

(4) عيلام: كلمة عيلام تعني المنطقة الجبلية، وكان سكان عيلام يطلقون على مملكتهم اسم (آنزان)، أطلق اسم عيلام في العهود القديمة على مملكة شملت المناطق التالية: (خوزستان، لرستان، جبال باختيار). يحدها من الشمال الطريق الممتدة من بابل إلى همدان ومن الجنوب الخليج حتى مدينة بوشهر وغربا يحده نهر الدجلة وشرقا جزء من مقاطعة فارس. للمزيد أنظر: حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ت، محمد نورا لدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي، ط1، الهيئة العامة للشؤون الأميرية، القاهرة، 2013، ص95.

(5) خزعل الماجدي، تاريخ القدس القديم منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الاحتلال الروماني، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2016، ص221.

(6) Heinrich Graetz, Histoire des juifs de la sortie d’Egypte (1400 A.C) à L’exode bayblonien (534 .A.C) trad. de l’allemand par, M. Wogue, tome 1°, Levy libraire, éditeur, 1882, PP 204-205.

الأولوية للكهنة في التواصل معهم واستمر الكهنة يؤدون هذه الوظيفة منذ مرسوم قورش حتى التمرد اليهودي ضد الرومان⁽¹⁾. ولقد مجّد سفر "أشعيا" الملك قورش واعتبره الرجل المنقذ والمسيح المنتظر الذي سيأخذ بيمينه، وستفتح له الأبواب وينقذهم من الكلدانيين ويعيدهم إلى أوطانهم⁽²⁾. ولقد تضمن العهد القديم نصوصا يستدل منها أن كورش هو بمثابة المسيح المخلص الذي أرسله الرب "يهو" إله بني إسرائيل، لمعاقبة البابليين الذين هجّروا شعب إسرائيل وخرّبوا بيت الرب في أورشاليم، حيث عدّ كورش بمثابة الفأس التي سحق بها "يهو" بابل «أَنْتَ لِي فَأْسٌ وَأَدَوَاتُ حَرْبٍ، فَأَسْحَقُ بِكَ الْأُمَمَ، وَأُهْلِكُ بِكَ الْمَمَالِكَ». ولقد تنبأ النبي إشعيا متفائلا بعودة بني إسرائيل إلى أورشاليم بعد النفي «مُقِيمٌ كَلِمَةَ عَبْدِهِ، وَمُتَمِّمٌ رَأْيَ رُسُلِهِ. الْقَائِلُ عَنْ أُورُشَلِيمَ: سَتُعْمَرُ، وَلِمُدُنٍ يَهُودًا: سَتُنْبَنَى، وَخَرِبَتِهَا أُقِيمُ. الْقَائِلُ عَنْ كُورَشَ: رَاعِي، فَكُلَّ مَسَرَّتِي يُتَمِّمُ. وَيَقُولُ عَنْ أُورُشَلِيمَ: سَتُنْبَنَى، وَلِلْهَيْكَلِ: سَتُؤَسَّسُ»⁽³⁾. ولعل هذا من باب الدعاية والتودد من "كورش" وكسب ثقته حتى يتمكنوا من تحقيق هدفهم، من خلال إذلال الملوك البابليين الذين هجروهم من أورشاليم⁽⁴⁾. وبعد الاستيلاء على بابل من قبل الفرس هلّل اليهود فرحا بهذا الانتصار «أَخْبِرُوا فِي الشُّعُوبِ، وَأَسْمِعُوا وَارْفَعُوا رَايَةً أَسْمِعُوا لَا تُخْفُوا. قُولُوا: أُخِذَتْ بَابِلُ. خَزِي بَبِلُ. انْصَحَقْ مَرُودُخُ. خَزِيَتْ أَوْتَانُهَا. انْصَحَقَتْ أَصْنَامُهَا»⁽⁵⁾.

انتهج الملك كورش سياسة إدارية شبيهة بالسياسة الآشورية في إدارة أقاليم الإمبراطورية، وذلك من خلال تقسيم أقاليم إمبراطوريته إلى عدة ولايات، بحيث تتمتع كل ولاية بحكم ذاتي تحت ظل الإمبراطورية الفارسية مع إرسال مراقبين معززين بقوات حماية للتأكد من سلامة الأوضاع واستمرار سيطرة الملك الفارسي⁽⁶⁾، هذا وقد اعتبرت فلسطين وفقا

⁽¹⁾ سابح حليلة، فلسطين بين اليهود والقوى العظمى القديمة، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2013، ص 191

⁽²⁾ سعد عبود سمار، أثر الميثولوجيا الدينية في السياسة التوسعية للدولة الإخمينية (559-330 ق.م)، مجلة حضارات الشرق الأدنى القديم، عدد 2، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق، مصر، 2016، ص 532.

⁽³⁾ سفر أشعيا، الإصحاح 44، الآية 26-28.

⁽⁴⁾ Schneider.Wolf, Babylon is Evry Where, London, 1963, PP 78-79.

⁽⁵⁾ سفر إرميا، الإصحاح 50، الآية 2.

⁽⁶⁾ عماد خضير، المرجع السابق، ص 199.

لهذا التقسيم ولاية فارسية وتم تعيين (شيشنصر)⁽¹⁾ حاكماً عليها، وقد خلفه في الحكم (زروابل بن شلتائيل)⁽²⁾. كما منح الملك الفارسي حرية واسعة لليهود، كما تمتعوا بقدر كبير من الاستقلال الذاتي، وقد لقي اليهود معاملة حسنة من الملك الفارسي (كورش)، ومن الممكن أن انفراد اليهود بهذه المعاملة قد يرجع إلى زواج الملك من (إستير) اليهودية وتأثيرها عليه لصالح بني قومها، بالإضافة إلى التسهيلات التي قدمها اليهود أثناء غزو الفرس لبابل حيث أيدته اليهود عسى أن يكون مخلصاً لهم من معاناة المنفى⁽³⁾، وبذلك عُدّ مرسوم كورش بمثابة مكافأة لهم على ما قدموه من خدمات للجيش الفارسي في دخول بابل⁽⁴⁾، وكان إطلاق اليهود وإرجاعهم إلى بلادهم تدبيراً سياسياً اقتضته أحوال المملكة لأن فينقيا ومصر لم تخضعا (لكورش) وبالتالي فرجع اليهود إلى بلاد كنعان سوف يكون له تأثير غير مباشر على المصالح الفارسية في المنطقة، إذ سيكون اليهود بمثابة القاعدة الخلفية للأطماع الفارسية⁽⁵⁾، لذلك نجد أن تصريح كورش ينص على أن: "يهو رب السماء قد منحه كل ممالك الأرض، كما حمّله مسؤوليات بناء المعبد في أورشليم و لذلك فقد طالب اليهود بالعودة إلى أورشليم من أجل المساعدة في إعادة بناء المعبد⁽⁶⁾. فرجعت أقلية منهم بينما بقيت أغليبيتهم في الأرض الجديدة (العراق) بعد أن أعجبتهم فاستقروا فيها. وُسّح لليهود بنوع من الحكم الذاتي تحت الهيمنة الفارسية في منطقة القدس وبمساحة لا يتجاوز نصف قطرها 20 كيلو متراً في أي اتجاه، أي بما لا يزيد عن 4.8 % من مساحة فلسطين الحالية؟!.

(1) شيشنصر: اسم بابلي (سن-أب-أوصر) معناه: (إله القمر يحمي الرب). أنظر: سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، المرجع السابق، ص 236.

(2) سفر حجي، الإصحاح 1، الآية 1؛ سامي سعيد الأحمد، المرجع نفسه، ص 235.

(3) خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 221.

(4) حسن ظاظا، القدس مدينة الله أم مدينة داود، المرجع السابق، ص 43.

(5) هارفي بوتر، مختصر التاريخ القديم، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص 157.

(6) للمزيد أنظر: سفر عزرا، الإصحاح 1، الآية من 1-11؛ عبد الرزاق سيد سليمان، إسرائيل بين الفناء والوجود ودعم الشتات اليهودي، دراسة نقدية عبر الأدب الروائي العبري، ط 2، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، 2017، ص 38؛ توماس.ل. طومسن، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ت، صالح علي سوادح، ط 1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1995، ص 239.

كان الملك كورش ينظر إلى فلسطين باعتبارها الجسر الذي يستطيع من خلاله إخضاع مصر لسيطرته وتنفيذ مشروعه في السيطرة على بلاد الشرق الأدنى القديم، ولذلك أخذ يعمل على جعلها منطقة مؤيدة لسياسته التوسعية⁽¹⁾ بعد أن تمكن من هزيمة دولتي ليديا وبابل، وتحطيم الحلف الثلاثي الذي كان يضم الأخيرتين ومصر، على أن تكون الدولة التي يقيمها بنو إسرائيل في أرض كنعان قاعدة ينطلق منها إلى مصر⁽²⁾.

• مرسوم كورش بين الحقيقة التاريخية والخيال الأسطوري:

لاشك أن الملك كورش يعد من الملوك البارزين في الدولة الفارسية والذي كتب اسمه في التاريخ وربما يعود له الفضل في وضع أول ميثاق لحقوق الإنسان، والذي تضمن أفكار حول حقوق الأمم والشعوب الخاضعة لحكمه ويمكن أن نستشف ذلك من خلال ما يعرف بأسطوانة كورش⁽³⁾ وتصف النقوش المسمارية المدونة على الأسطوانة حيثيات غزو كورش لبابل، كما تذكر أيضا كيف حرر كورش الشعوب والأمم التي استعبدها البابليون كما سمح لهم بممارسة طقوسهم الدينية بكل حرية، كما أكدت حق عودة الأقليات التي تم تهجيرها من قبل البابليين وقد شمل اليهود بهذا الحق كغيرهم من الشعوب الأخرى على الرغم من أنه لم يذكرهم بالاسم، بينما نجد ذكر اليهود في هذه الاسطوانة قد ذكرته أسفارهم في العديد منها والتي نقلها بعض الباحثين عنهم في العديد من المراجع وهو ما أستبعده في اعتقادي لأن النص التوراتي شابه التحريف والتلفيق في الكثير من نصوصه، ومع ذلك نقرأ لبعض مما ترجم لهذا النص مثلما ذكره على سبيل المثال "محمود هادي معرفة في كتابه شبهات وردود حول القرآن ما نصه: "أنا كورش ملك فارس، أرفع ندائي بأن الرب إله السماء، هو الذي منحني السلطة على جميع ممالك الأرض، وأمرني أن أعيد بناء بيته في أورشاليم التي في

(1) عماد خضير، المرجع السابق، ص200.

(2) نفسه، ص203.

(3) أسطوانة كورش: هي أسطوانة طينية تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد تم اكتشافها عام 1879م على يد عالم الآثار والدبلوماسي البريطاني (هورموزد راسام)، وقد كتبت باللغة البابلية وهي محفوظة في المتحف البريطاني بلندن، تضمنت حرية الديانة وترسيخ العدالة وغيرها من القيم والمعاني الإنسانية. للمزيد أنظر: علاء حسن إسماعيل، المرجع السابق، ص68.

يهودا. وعليه فإني أوجه ندائي إلى جميع شعوب اليهود الذين يعيشون في ظل حكومتي، من كان يريد منهم الهجرة إلى أورشاليم موطنه الأصل ويعمر بيت الإله إله بني إسرائيل، فإله معه وتحت رعايته، وعلى أولئك الذين يجاورون أبناء اليهود في أي البلاد، عليهم أن يساعدوا هؤلاء بالزاد والمال وحمولة الركوب، وهديا يقدمونها إلى بيت الرب في أورشاليم".⁽¹⁾

لا شك أن مرسوم كورش قد أثار جدلا كبيرا بين الباحثين، حيث شكك بعضهم في صحة هذا المرسوم بينما أيدته آخرون ربما لجملة من الأسباب إما أن تكون ذات طابع سياسي أو ديني أو حتى إنساني نظرا لما أتصف به الملك "كورش" من نبل القيم التي كان يبشر بها وأنه مؤيد من قبل السماء " هكذا قال كورش ملك فارس: جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب إله السماء وهو أوصاني أن أبني له بيتا في أورشاليم التي في يهوذا"⁽²⁾. وهو الذي أمر ببناء الهيكل كما صور "إشعيا" كورش بأنه المنقذ الذي أعاد اليهود إلى أرضهم وأنه المسيح المخلص لمعاناتهم.⁽³⁾ وقد يكون موافقة كورش بالسماح لليهود بالعودة إلى أورشاليم بحكم التشابه بين الديانة اليهودية والزرادشتية⁽⁴⁾ حول فكرة التوحيد كما يذهب بعضهم⁽⁵⁾، وإن كان هذا لا يمت بالحقيقة لشيء إذ لا يوجد في حقيقة الأمر أي توافق بين الديانة اليهودية والديانة الزرادشتية.

من جهة أخرى هناك من يشكك في مصداقية مرسوم كورش الذي سمح لليهود بالعودة إلى أورشاليم، وحجتهم في ذلك أن اليهود قد روجوا لهذه الدعاية من منطلقات عقدية؛ إذ اعتبروا أن الإله "يهو" كان وراء هذا الحدث بل واعتبروا كورش بمثابة المسيح المخلص لليهود.

⁽¹⁾ محمد هادي معرفة، شبهات وردود حول القرآن الكريم، ط4، منشورات ذوي القربى، قم، إيران، 2009، ص523.

⁽²⁾ سفر عزرا، الإصحاح1، الآية 2.

⁽³⁾ سفر إشعيان الإصحاح45، الآية1.

⁽⁴⁾ الزرادشتية: ديانة أهل الفرس، حيث اتخذ الفرس إلهين اثنين أحدهما يمثل النور والآخر يمثل الظلام الاول يسمى(أهيرمان) والثاني يسمى

(أهورمازاد). حول هذا الموضوع انظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج2، المرجع السابق، ص 471، وما بعدها.

⁽⁵⁾ بورتر هارفي، مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص157.

2- بنو إسرائيل في عهدي البطالمة والسلوقيين:

بعد أن تهاوت قوة الفرس وانتهت دولتهم التي دامت من (539-333 ق.م) بانتصار الإسكندر المقدوني على القائد الفارسي (داريوس) في معركة (ايسوس) ⁽¹⁾ أصبحت بلاد الشام مفتوحة أمام الإسكندر الذي وجّه جيوشه بقيادة كبار رجاله العسكريين (بارمينيو) لاحتلال دمشق؛ حيث مقر قيادة الجيش الفارسي ⁽²⁾ بينما تابع الإسكندر تقدمه على طول الشريط الساحلي للمتوسط إذ خضعت له تقريبا كل المدن ما عدا صور التي باتت عصية عن السقوط بسهولة، وفي هذه الأثناء أرسل الاسكندر إلى الكاهن الأعظم في أورشاليم يطلب منه المساعدة في الانقضاء على مدينة صور لكن الكاهن تحجج بذريعة أنه قطع عهدا على نفسه في موالة الملك الفارسي دارا الثالث، هذا ما جعل الاسكندر يذمر غضبه الى حين الانتهاء من احكام سيطرته على صور التي وطأها جيوشه بعد أن فرض عليها حصار دام تقريبا سبعة أشهر لتسقط بيده عام 332 ق.م. وبعد أن دانت له صور توجه الاسكندر إلى أورشاليم لينتقم من الكاهن الأعظم لكن دهاء اليهود وحيلتهم حيث بمجرد قربهم من المدينة خرج له اليهود يتقدمهم الكهنة بملابسهم البيضاء احتفاء بمقدم الاسكندر ⁽³⁾، الذي سرّ بحفاوة الاستقبال وعند رؤية الاسكندر للكاهن الأعظم انحنى تعظيما له وظهر اعجابه ببني إسرائيل، واذن بتقديم القرابين للهيكل كما رحّب بانضمام اليهود إلى جيشه ⁽⁴⁾، هذا وقدّم له الكاهن سفر دانيال الذي اخبر في نبوءاته بأن اندحار الفرس سوف يكون على شرف اليونانيين. ⁽⁵⁾

⁽¹⁾ "ايسوس": مدينة قديمة في جنوب شرق آسيا الصغرى قرب رأس الخليج الذي كان يعرف بنفس الاسم وهو الآن خليج الاسكندرونه. للمزيد أنظر: محاسين نجاة سليم محمود، معجم المعارك التاريخية، ط1، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011، ص73، حلمي رسول رضا، بلاد النهرين في العصر الهلنستي (331-126 ق.م)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 2015، ص55.

⁽²⁾ محمد الخطيب، حضارة إيران وآسيا الصغرى في العصور القديمة، دط، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2013، ص398.

⁽³⁾ ول وإيريل ديورانت، قصة الحضارة، ج2، ت، محمد بدران، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دت، ص398.

⁽⁴⁾ مصطفى كمال عبد العليم، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، ط1، مكتبة القاهرة الحديثة، 1968، ص30.

⁽⁵⁾ مصطفى كمال عبد العليم وسيد فرج راشد، المرجع -السابق، ص212.

باجتياح جيوش الإسكندر المقدوني الإمبراطورية الفارسية وما كان يتبعها من أقاليم، وفي مقدمتها مصر وفلسطين وبلاد العراق⁽¹⁾، وبعد وفاته المفاجئة في عام 323 ق.م انقسمت إمبراطوريته التي توزعت بين قاداته العسكريين ليحكموها بصفتهم ولاية من قبل الأسرة المالكة المقدونية، وقد اندلعت بين هؤلاء القادة حروباً طاحنة استمرت قرابة الأربعين عاماً عرفت باسم (حروب الخلفاء)⁽²⁾، مما أدى إلى انقسام هذه الإمبراطورية إلى عدة ممالك، فكان جوف سوريا وفلسطين من ضمن أملاك السلوقيين، كما خضعت مصر لحكم أسرة البطالمة، وفي خضم هذا الصراع وقعت فلسطين فريسة صراع بين قوتين متنافستين، بين السلوقيين من جهة والبطالمة من جهة أخرى في إطار ما يعرف بالحروب السورية والتي كان لها بالغ الأثر على فلسطين⁽³⁾، الحرب السورية الأولى كانت عام 286 ق.م وانتهت بفرض البطالمة سيادتهم على كل من جوف سوريا وفلسطين لما تمثله المنطقة من أهمية استراتيجية بالإضافة إلى غناها بالموارد الطبيعية خاصة ثروة الأخشاب التي عرفت بها منطقة لبنان ذات الأهمية في بناء السفن⁽⁴⁾.

والحرب الثانية كانت عام 262 ق.م وانتهت بالصلح بين الطرفين وخضوع فلسطين للبطالمة، وقد ظلت فلسطين تتجاذبها حيناً قوة البطالمة وحيناً آخر كانت تخضع للقوة السلوقية، إلى أن استقر وضعها تحت نفوذ السلوقيين نهائياً في عهد انطوخوس الثالث (223-187 ق.م)⁽⁵⁾ الذي عرف كيف يستميل اليهود بحيث لم يتوانوا في تقديم يد

(1) تركي قاسم الزغبى، اليهود وأرض كنعان، دط، دار مؤسسة رسلان، سوريا، دمشق، 2012، ص 175.

(2) هاني عبد العزيز جوهر، اليهود في فلسطين في العصرين البطلمي والسلوقي المكابيون: دراسة في الناحية الدينية والسياسية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2005، ص 13.

(3) Diodorus Siculus, trans, M.G, Russel, XX, London, 1967, PP113,114.

(4) حمدي سعد علي، العلاقات السياسية بين مملكة البطالمة والمملكة السلوقية وأثر التدخل الروماني عليها، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، كلية الآداب، جامعة طرابلس، طرابلس، 2012، ص 35.

(5) خضير سلمان المحمدي، يهود فلسطين في ظل الإمبراطورية اليونانية، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، عدد 33، جامعة واسط، العراق، بغداد، 2019، ص 215.

العون لجيشه في طرد الحامية البطلمية من القدس⁽¹⁾، وهذا من خلال الدور الذي قدمه الكاهن الأعظم (شمعون الثاني) في إعطاء بعدا دينيا لتدخل أنطوخوس في تحرير القدس من تسلط واستبداد البطالمة⁽²⁾ وفي ظل هذه الأوضاع وجد اليهود أنفسهم أمام وضع جديد وهو ضرورة التكيف مع الواقع الجديد، وقد لعب الكهنة اليهود دورا بارزا في التوفيق بين المحافظة على تقاليدهم الدينية وضرورة الانفتاح على الثقافة الهلينية.

عامل انطوخوس الثالث اليهود معاملة حسنة حيث اهتم بدور العبادة عند اليهود، كما أعفى الكهنة ورجال المعبد وأعضاء (السندهرين)⁽³⁾ من دفع الضرائب، كما أعاد إعمار القدس ومنح للفارين منها حق العودة مع تمتعهم بممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية، مما ساعد على عودة نشاط ودور الكاهن الأكبر في تنظيم الحياة العامة لليهود في الوقت الذي بدأ فيه تراجع نفوذ وتأثير اليهود المتأغرقين على المشهد العام، وبشكل عام يمكن ان نقول أن أنطيوخوس الثالث منح اليهود حكما ذاتيا في اطار الدولة السلوقية تحت رعاية الكاهن الاكبر⁽⁴⁾، لكن هذا الوضع لم يستمر على هذا الحال حيث شهد مطلع عام 189 ق.م بداية التدخل الروماني وهزيمة السلوقيين أمام القوات الرومانية في معركة مغنيسيا⁽⁵⁾ (Magnesia)، حيث اضطروا إلى توقيع معاهدة صلح (أفاميا)⁽⁶⁾ عام 188 ق.م، والذي بموجبه تم تنازل انطوخوس الثالث عن أملاكه في آسيا الصغرى، وتقليص عدد سفن

⁽¹⁾Andrea M. Berlin ,Archaeological Sources for the History of Palestine Between Large Forces Palestine in the Hellenistic Period, Publication of American schools of Oriental Research,Vol 60, N1, 1997, PP10-12.

⁽²⁾Josephus , Antiquities of the Jews, tr, by Ralph Marcus, Harvard university Press, London, 1943, , L XII,XIV, 6-10.

⁽³⁾السندهرين: صيغة عبرية للكلمة اليونانية «سندريون» وتعني «مجلس». وقد كان هذا الاسم يُطلق على الهيئة القضائية العليا المختصة بالنظر في القضايا السياسية والجنايية والدينية المهمة في المناطق التي كان يعيش فيها اليهود، ومن مهامه أيضا التحضير للاحتفالات الكهنوتية في المعبد، وكان السندهرين يقوم أيضاً بوظيفة محكمة الاستئناف. والسندهرين أعلى سلطة قضائية لليهود وله الرأي النهائي في تفسير القوانين وإصدارها، وقد كانت أحكامه تُصدّر بموافقة أغلبية الأعضاء. للمزيد أنظر: عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، ج3، 4، ط، مزيدة ومنقحة، دار الجليل للنشر، عمان، الأردن، 2016، ص145.

⁽⁴⁾Helfield,M., Ant,iochus IV and Jews of Palestine,Ontario,Canada, 2004,p69.

⁽⁵⁾علي شحات، عبد العزيز الياس الحمداني، مختصر تاريخ العراق، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص155

⁽⁶⁾محاسين نجاة سليم محمود، المرجع السابق، ص46.

الأسطول إلى عشرة سفن فقط وأن لا يقوم هذا الأسطول بأي عمليات غربي المتوسط (غربي كيليكيا) ⁽¹⁾ ودفع التعويضات للرومان عن نفقات الحرب ⁽²⁾.

ومع مطلع عام 187 ق.م وعلى إثر وفاة الملك (أنطوخوس الثالث) وتولي سلوقس الرابع السلطة في ظروف غير مواتية خصوصا الأعباء المالية المفروضة من قبل روما والتي وردت في صلح أفاميا، ورغبة منه في إيجاد حلول مستعجلة لدفع الجزية التي كانت قد فرضتها روما سابقا في عهد أبيه، اذ لم يجد سوى سبيل وضع يده على ودائع هيكل القدس، حيث أوكل هذه المهمة إلى وزيره "هيليودورس" ليصادر ما في الهيكل من أموال، إلا أن عمله هذا قوبل برفض الكاهن الأكبر "حونيوس" فعاد إلى أنطاكية خال الوفاض، مخلفا وراءه مشاعر السخط والكراهية بين اليهود ⁽³⁾. ولعل السياسة التي تبناها سلوقس الرابع تجاه اليهود هي التي زادت في انقسام المجتمع اليهودي إلى طائفتين:

الأولى: طائفة الحسديم (Hasidim) ⁽⁴⁾: وهم طائفة علماء الشريعة من المتشددین في تطبيق الشريعة اليهودية ⁽⁵⁾، وهم أكثر اليهود التزاما بالتعاليم التلمودية وقد عارضو فكرة نشر الثقافة الهلينستية بين اليهود في فترة حكم البطالمة، وتعد طائفة الفرسيين ⁽⁶⁾ من أشد الفرق التابعة للحسديم الذين يعتبرون التلمود وتعاليمه أكثر قداسة من التوراة نفسها؛ فقد جاء في التلمود: «من أحتقر أقوال الحاخامات استحق الموت، دون من احتقر أقوال التوراة؛ لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى» ⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ Polybius, XXI, 43, 12, The Histories, trd, W.R. Paton, Loed Classical Library, 1968.

⁽²⁾ عماد خضير سلمان المحمدي، المرجع السابق، ص 215.

⁽³⁾ هاني عبد العزيز جوهر، المرجع السابق، ص 23.

⁽⁴⁾ الحسديم: وتعني التقى والورع، وقد كانوا يسمون أنفسهم بالقدسيين، شارك هؤلاء النقا في التمرد على القيم والثقافة الإغريقية في الفترة من 175 ق.م _ 163 ق.م معارضة منهم في نشر الثقافة الهلينية بين اليهود. للمزيد أنظر: هشام أبو حكمة، المرجع السابق، ص 270.

⁽⁵⁾ Guignebert, Charles, Le Monde juif vers le temps de Jésus, Paris, 1935, P213.

⁽⁶⁾ الفرسيون: طائفة يهودية اشتق اسمها من الكلمة العبرية "بيروشم" أي المنزلون، وقد دخل الفرسيون في صراع مع "الصدوقيين" على النفوذ والمكانة والامتيازات في العناية بالهيكل ودور العبادة. للمزيد أنظر: أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغبی، العنصرية اليهودية وأثارها على المجتمع الإسلامي، ج 1، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1998، ص 103.

⁽⁷⁾ حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، المرجع السابق، ص 252.

الثانية: طائفة مؤيدة للحضارة والثقافة الهلينية وقد أصبحت هذه الطائفة متميزة عن غيرها من الطوائف الأخرى وذلك من خلال:

- استخدام اللغة اليونانية بدلا من اللغة الآرامية التي كان يحض اليهود على تعلمها على يد معلمين إغريق.

- استخدام الأسلوب المعماري الإغريقي في فنون العمارة سوى كانت ذات طابع ديني أو دنيوي.

- تسمية أبنائهم بأسماء يونانية خالصة أو الجمع بين الاسم الإغريقي إلى جانب الاسم اليهودي.⁽¹⁾ ومن الأسماء الإغريقية التي وجدت على شواهد قبور اليهود نذكر مايلي: (أورسيوس، تاتيا، فيكتورنيوس، جوليانا، بومبيانا، إيرين...الخ).⁽²⁾

- تقمص عادات وتقاليد الإغريق في ثقافتهم وتقاليدهم الاجتماعية والثقافية اليومية، ولا أدل على ذلك ما أقدم عليه الكاهن اليهودي (يوشيا) الذي غير اسمه إلى اليونانية تحت اسم (ياسون)، من التقرب من السلوقيين في إقامة دار للرياضة (جمنازيوم)⁽³⁾ التي أصبحت تستقطب أبناء اليهود الذين انغمسوا في الحضارة الإغريقية قصد ممارسة الألعاب الأولمبية، حيث مارسوا التدريبات الرياضية في الجمنازيوم وهم عراة محاكاة للتقاليد الإغريقية بل وحتى الكهنة اندمجوا في هذه الرياضات وكانوا يخفون علامات الختان حتى لا يشعروا بالخجل،⁽⁴⁾ كما أهملوا خدمة الهيكل واستهانوا بطقوسهم لينالوا حضا من ألعاب الإغريق المحرمة...

وفي عهد الملك السلوقي (انطيخوس الرابع 175-164 ق.م): تعرض اليهود إلى أبشع حالات الاضطهاد والتكيل؛ حتى باتت تطلق المصادر اليهودية على سياسته التي

(1) هشام أبو حاكم، المرجع السابق، ص 270.

(2) زبيدة محمد عطا، اليهود وتجارهم في مصر الإسلامية، دط، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2007، ص 11.

(3) هشام أبو حاكم، المرجع السابق، ص 272.

(4) سفر المكابيين الثاني، الإصحاح 4، فقرة 14-15.

مارسها ضد اليهود اسم " جيزيروت" (Gezerot) وهي كلمة تعني " القرارات الشريرة" ⁽¹⁾ هذا ما دفع المؤرخ ديودور الصقلي يقدم تبريرا لموقف انطيخوس الرابع من اليهود فيقول: لقد أخذ انطيخوس على نفسه عهدا بتحطيم عادات وتقاليد اليهود الذين ما فتئوا يحملون الكراهية والحقد لكل الجنس البشري ⁽²⁾، جراء تعاونهم مع البطالمة في مصر ضد السلوقيين، حيث أجبر اليهود على اعتناق الوثنية ⁽³⁾، فاستبدل عبادة اليهود التي تقوم على التوحيد بعبادة الإله زيوس الأولمبي، كما أوقف التعامل بالشعائر الدينية اليهودية واستبدالها بالأحكام الإغريقية الوثنية وكان ينظر إلى كل من يعارض هذه الإجراءات أنه خارج عن القانون يجب معاقبته بالتعذيب حتى الموت ⁽⁴⁾، وأرغم اليهود على الانسلاخ من ممارسة عاداتهم وتقاليدهم التي أليفوها منذ قرون كعادة الختان والعمل يوم السبت ⁽⁵⁾، كما تم تدمير دور عبادتهم.

وفي الجانب الاقتصادي ادخل انطيخوس الرابع نظاما جبايا جديدا لتحصيل الضرائب؛ وذلك باستبدال نظام الجزية السنوية التي كان الكاهن الأكبر يقوم بجمعها وتسليمها للملك السلوقي، بنظام يقوم على فرض الضرائب بصورة مباشرة على الأفراد، كما شملت أيضا ضرائب جديدة على الأراضي الزراعية، حيث بلغت الثلث على إنتاج الحبوب، والنصف على إنتاج الفاكهة ⁽⁶⁾، ولعل إقدام انطيخوس الرابع على هذه الإجراءات للحاجة للمال؛ فالتركة الثقيلة التي ورثها انطيخوس الرابع عن خليفته انطيخوس الثالث والمتمثلة في التعويضات المالية التي فرضتها روما على الدولة السلوقية والتي حددتها مقتضيات صلح أباميا (Apamia) عام 188 ق.م الذي تمثلت بنوده في الآتي:

⁽¹⁾ فرح أبو اليسر عبد العظيم، موقف الملك انطيخوس الرابع من اليهود في فلسطين، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، عدد 25، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، 2008، ص 38.

⁽²⁾ Diodore de sicile, Bibliothèque Historique, Trad, A.F. Milot, Paris, 1934, XXXIX, V, I.

⁽³⁾ محمد برهام المشاعلي، المرجع السابق، ص 66.

⁽⁴⁾ هشام أبو حاكمة، المرجع السابق، ص 278.

⁽⁵⁾ فرح أبو اليسر عبد العظيم، المرجع السابق، ص 38.

⁽⁶⁾ Markholm Otto, Studies in the Coinage of Antiochus IV of Syria, published by Ejnar Munksgaard, Copenhagen, 1963, P146.

_ أن يلتزم أنطيوخس الثالث التنازل عن أملاك السلوقيين في آسيا الصغرى.

_ أن يدفع تعويضات مالية كبرى تعويضا عن نفقات الحرب التي تكبدها الرومان.

_ التخلي عن وحدات الأسطول البحري⁽¹⁾.

مما لا شك فيه أن بنود هذه الاتفاقية قد أثقلت كاهل الملك انطيوخس الثالث، وأدخلت البلاد في عجز مالي رهيب⁽²⁾، الشيء الذي دفع بالملك إلى فرض المزيد من الضرائب على الشعوب المهزومة والخاضعة لسلطة السلوقيين، ومن بينهم اليهود الذين فقدوا ودائع معابدهم التي كانت تعج بأنفس المودعات⁽³⁾

جدير بالذكر أن النبي دانيال كان قد تنبأ بما سيحدث للشعب اليهودي من ويلات على يد خصومهم، حيث نقرأ ما نصه: «وَتَقُومُ مِنْهُ أَدْرُعٌ وَتُنَجِّسُ الْمَقْدِسَ الْحَصِينَ، وَتَنْزِعُ الْمُحْرِقَةَ الدَّائِمَةَ، وَتَجْعَلُ الرَّجْسَ الْمُخْرِبَ. وَالْمُتَعَدُّونَ عَلَى الْعَهْدِ يُغْوِيهِمُ بِالتَّمْلَقَاتِ. أَمَّا الشَّعْبُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ إِلَهُهُمْ فَيَقْوُونَ وَيَعْمَلُونَ. وَالْفَاهِمُونَ مِنَ الشَّعْبِ يُعَلِّمُونَ كَثِيرِينَ. وَيَعْتَرُونَ بِالسَّيْفِ وَبِالْهَيْبِ وَبِالسَّبْيِ وَبِالنَّهْبِ أَيَّامًا. فَإِذَا عَثَرُوا يُعَانُونَ عَوْنًا قَلِيلًا، وَيَتَّصِلُ بِهِمْ كَثِيرُونَ بِالتَّمْلَقَاتِ. وَبَعْضُ الْفَاهِمِينَ يَعْتَرُونَ امْتِحَانًا لَهُمْ لِلتَّطْهِيرِ وَلِلتَّبْيِضِ إِلَى وَقْتِ النِّهَايَةِ. لِأَنَّهُ بَعْدُ إِلَى الْمِيعَادِ»⁽⁴⁾.

كان من نتائج هذه السياسة أن اندلعت ثورة المكابيين والتي استمرت تقريبا القرن وربع القرن من (166-37ق.م) كرد فعل على السياسة التي تبناها البطالمة والسلوقيين خصوصا ضد المجتمع اليهودي والتي ساهمت في حدوث التقارب بين الرومان واليهود على حساب النفوذ البطلمي السلوقي.

⁽¹⁾ هاني عبد العزيز سالم، المكابيون دراسة في الناحية الدينية والسياسية الفترة (167 - 37ق.م)، رسالة ماجستير في الآداب فرع التاريخ العبري، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 1999، ص13.

⁽²⁾ Edwyn, Robert Bevan, The House of Seleucus, Vol II, bub , Edward ,Arnold, London, 1902, P128.

⁽³⁾ Tcherikover, Vector, Hellenistic civilization and the jews, trans, S.Applebaum, Atheneum, New York, 1979, P 172.

⁽⁴⁾ سفر دانيال، الإصحاح 11، الآية 31-33.

- سياسة انطيخوس الرابع وبداية حركة التمرد المكابي:

حرص البطالمة على استمرار هيمنتهم على إقليم جوف سوريا بما فيه فلسطين لما يشكله هذا الإقليم من أهمية استراتيجية واقتصادية هائلة، وقد تزامن هذا الحرص مع سعيهم إلى عدم أحداث أي تغيرات قد تؤدي إلى إثارة القلاقل في هذا الإقليم، وقد اتخذ البطالمة في ذلك أقصى التدابير للدفاع عن هذه المنطقة ضد منافسيهم السلوقيين⁽¹⁾، وقد عانى اليهود الموجودين هناك من هذا الصراع المستمر بين البطالمة والسلوقيين نتيجة ما كان يفرض عليهم من جزية سنوية ارهقت كاهلهم، واستمر الوضع هكذا إلى أن استطاع "انطيخوس الثالث" (223ق.م-187ق.م) من احكام سيطرته على إقليم جوف سوريا بعد أن أوقع هزيمة قاسية بجيش "بطليموس الخامس عام 199ق.م في معركة (باننيون)، وقد انتهت هذه المواجهات بسيطرة السلوقيين على كل المنطقة المتنازع عليها من غزة إلى أنطاكية⁽²⁾ ومن عمان إلى دمشق، واستمروا يحكمونها باستثناء فترات قصيرة.⁽³⁾

اعتلى انتيخوس الرابع "أبيفانس" العرش السلوقي في أنطاكية - بعد وفاة أخيه "سلوقس الرابع"-، مغتصبا إياه من ابن أخيه الوريث الشرعي، وقد أطلق على نفسه اسم (ثيوأبيفانس) أي الإله الظاهر المتجلي.

عمل انطخوس الرابع جاهدا على تحقيق الوحدة السياسية والثقافية للأقاليم التي كانت تحت سلطته بصبغها بطابع الحضارة الهلينية، خصوصا لما أعلن نفسه إله أو الإله الظاهر (تيوس أبيفانس) وقرن نفسه (بزيوس ألبوريوس) كبير الآلهة اليونانيين⁽⁴⁾، وعلى هذا

⁽¹⁾ مراد محمد إسماعيل، عصر انطيخوس الرابع (175-163ق.م) دراسة سياسية حضارية، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، (2014-2015)، ص132.

⁽²⁾ أنطاكية: عرفت مدينة أنطاكية عند القدماء بانطيوخيا وأول من بناها انطيخوس في السنة السادسة من موت الاسكندر ولم يكمل بناءها فاتمها من بعده سلوقس الاول وسماها على اسم والده انطيخوس. للمزيد أنظر: الحموي شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان ط1، ج1، مطبعة السعادة، القاهرة، 1984، ص102؛ سعد صائب، دور سوريا في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1994، دمشق، سوريا، ص90.

⁽³⁾ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص984.

⁽⁴⁾ Josèphe Flavius, Antiquités judaïques, trad. par Buchon aux éditions Delagrave, Paris 1836, livre XII, chV & 5.

الأساس «كتب الملك انطيوخس الرابع إلى مملكته كلها بأن يكونوا جميعهم شعبا واحدا، ويتركوا كل واحد سنته، فأذعنت الأمم بأسرها لكلام الملك»⁽¹⁾ شكل وصول انطيوخس الرابع إلى السلطة خبرا غير سار من بعض اليهود الذين رعوا فيه الرجل المستبد، الذي جاء لصد اليهود الملتزمين عن عقيدتهم واصباغهم بطابع الهلينة، كما أوجس اليهود خيفة من سياسته خصوصا أن أطماعه باتت تتجه إلى الأموال والكنوز الهائلة التي كان يتمتع بها المعبد⁽²⁾. شهدت فترة حكمه تنافس محموم على منصب الكهانة بين رؤساء الكهنة خاصة بين عائلي ("طوبيا" و"أونياس") حيث ظلت عائلة طوبيا مسؤولة مدة عشرين سنة تقريبا عن جمع الضرائب وتوريدها للسلطة المشرفة سوى في عهد البطالمة أو في عهد السلوقيين، إذ ومنذ وصول انطيوخس الثالث إلى السلطة أصبحت عائلة "طوبيا" هي المسؤولة عن جمع الضرائب وتقديمها لوالي سوريا إذ ذاك.

شكلت إصلاحات انطيوخس الرابع رأيا عاما لدى اليهود الملتزمين بتعاليم الديانة اليهودية والذين عرفوا إذ ذاك "بالحشمونيين"

- الثورة اليهودية بزعامة يهوذا المكابي (166 ق.م - 160 ق.م): بدأت في شكل تمرد وقع عام 167 ق.م في قرية "موديعين" والتي تقع شمال غرب القدس، تزعم التمرد أسرة تسمى بالأسرة "الحشمونية"⁽³⁾ والذين دعوا "بالمكابيين"⁽⁴⁾ إذ في يوم 17 من شهر جوان من تاريخ 167 ق.م توجهت قوة سلوقية محدودة العدد إلى قرية "موديعين" بقيادة القائد

(1) سفر المكابيين الأول، الإصحاح 1، فقرة 42-44.

(2) Jusephus , Jewish Antiquities, trans By ,Ralph Marcus, London , L.C.L ,1963, XII,236.

(3) اختلف الباحثون حول التسمية، منهم من يرى أن حشموني هو حشمان الذي يعني "كردينال" وهو ما ذهب إليه "Russel.D.S" في كتابه: The jews from Alexander to Herod, Oxford1978,P44. ومنهم من يرى أن أصل الكلمة يعود إلى الجد الأول للحشمونيين "حاسمون" والذي إليه ينسب إليه الحشمونيين. أنظر: نزار صميده، النصوص الرؤية الكتابية مجالاتها وتداعياتها على الفكر الديني الكتابي قديما وحديثا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص300.

(4) المكابيون: اختلف الباحثون في أصل ومعنى هذا المصطلح، فمنهم من رأى أن كلمة "كابي" وتعني "المطرقة" فلقب يهوذا بهذا الاسم لشجاعته وقوته، ومنهم من رأى أن مكابي تعود لاختصار الأحرف الأولى لفقرة في سفر الخروج (15-16) هي "مي كموخاه بيوليهم" (م.ك.ب.ي) أي "من كمثلك بين الآلهة يا رب" وهو النشيد الذي كان يردده بنو إسرائيل أيام موسى عليه السلام أثناء انتصارهم على فرعون مصر. للمزيد أنظر: هاني عبد العزيز جوهر، المرجع السابق، ص51.

العسكري السلوقي "أبيلس" (Apiles) في إطار دورية تفقدية عادية لا تحمل طابع المباغثة أو أي طابع عسكري ضد سكان القرية الآمنة، وربما كان غرض هذه الدورية هو تفقد ما إذا كان اليهود ملتزمين بالمراسيم التي أصدرها الملك السلوقي "أنطيوخوس الرابع" والتي تحرم على اليهود ممارسة شعائرهم الدينية، كيوم السبت والختان وتحريم أكل لحم الخنزير، وقد مكثت هذه الدورية برهة من الزمن في القرية والتي سبق أن أقيم بها مذبحا على شرف الآلهة الإغريقية، وطلبت من زعيم القرية (ماتيتياس الحشموني) تقديم قربانا للمذبح وإقامة الطقوس الوثنية كدليل على احترام اليهود للآلهة الوثنية اليونانية، فتقدم أحد اليهود المتأغرقين لتنفيذ أوامر القائد العسكري السلوقي فأرداه قتيلا، فاختلف الجمع وتقدم أبناء الكاهن (ماتيتياس) الخمسة (حنا، سمعان، إلعازر، ويهوذا، يهوناتان) لمساعدة أبيهم وهاجموا الجنود السلوقيين، قبل أن يسيطروا على الأوضاع، كما تم تدمير المذبح الوثني⁽¹⁾ وقد اتخذوا من الجبال ملجأ لهم وطلبوا من أنصارهم الالتحاق بهم، وقد سجل سفر المكابيين هذه الواقعة حيث جاء فيه: «إن الذين أرسلهم الملك ليحبسوا الناس على الارتداد قدموا إلى مدينة مودين ليزبحوا.. وخاطبوا متاتيا قائلين أنت رئيس شهير عظيم في هذه المدينة، ومعزز بالبنين والإخوة، فتقدم أنت أولا لتنفيذ أوامر الملك كما فعلت الأمم كلها ورجال يهوذا وكل من بقي في أورشاليم، فتكون أنت وآل بيتك من أصدقاء الملك وتكرم أنت وبنوك بالذهب والفضة والهدايا الكثيرة فأجاب متاتيا بصوت عظيم وقال: إنه وإن اطاعت الملك جميع الأمم التي في دار ملكه وارتد كل أحد عن دين آبائه ورضي بأوامره، فأنا وبنائي واخوتي نسير على عهد آبائنا فحاشا لنا أن نترك الشريعة والأحكام.»⁽²⁾

⁽¹⁾ Grazel, S, A history of the jews, published by, publishing Group, U.S.A , 1966, p58.

⁽²⁾ سفر المكابيين الأول، الإصحاح 1، فقرة 15-21.

وفي عام 166 ق.م مات (ماتيتياس) فخلفه ابنه (يهوذا) (165-160 ق.م) في قيادة الثورة المكابية التي اخذت اسمها منه وأزره اخوته وانصاره، بينما أصبح "سمعان" الزعيم السياسي للحركة، استعد السلوقيين في اعداد جيش جرار تزعمه (أبلونيوس) لمواجهة اليهود في السامرة، واتخذ أنصار يهوذا أسلوب حرب العصابات في مواجهة قوات السلوقيين مستغلين جغرافية المنطقة ذات التلال الوعرة، وقد ارتكزت المواجهات بالهجوم على المدن الصغيرة والساحلية للانتقام ممن أعطى ولاءه للسلوقيين ضد أبناء جلدتهم⁽¹⁾، واستطاع يهوذا المكابي خلال المواجهات من هزيمة القائد السلوقي (أبلونيوس) وقتله وتمكن من الاستيلاء على غنائم كثيرة من بينها سيف (أبلونيوس) نفسه وقد ظل يقاتل به يهوذا بقية حياته⁽²⁾.

ولما تنادت أخبار هزيمة جيش السلوقيين إلى الملك أمر بتجهيز جيش أكثر عدة لمواجهة المكابيين، وعقد لواءه للقائد العام للجيش السلوقي "سارون" ذو الكفاءة العسكرية العالية، «ولما سمع "سارون" قائد جيش سوريا أن يهوذا جمع فوجا وجماعة من المؤمنين يسرون معه للقتال، قال أقسم لنفسى اسما واتمجد في المملكة وأقابل يهوذا والذين معه والذين مستهينين بأمر الملك، فخرج هو أيضا ومعه جيش قوي للانتقام من بني إسرائيل»⁽³⁾.

«وجمع أبلونيوس أمما من السامرة قوة عظيمة لمحاربة إسرائيل»⁽⁴⁾

والتقى الفريقان عند "عقبة بيت حرون"⁽⁵⁾ وقد كتب النصر فيها مرة أخرى لليهود المكابيين، رغم قلة عددهم وعدتهم، وقتل "سارون" القائد السلوقي في المعركة «فقال يهوذا يسير على الله أن يدفع كثيرين بيد قليلين وليس اختلاف عند إله السماء أن ينجى بكثير أو بقليل»⁽⁶⁾ ويعود انتصار يهوذا في هذه المعركة إلى حنكته في اختيار أرض المعركة ذات

⁽¹⁾ هاني عبد العزيز جوهر، المرجع السابق، ص 49.

⁽²⁾ محمد بيومي مهران، تاريخ بنو إسرائيل، ج2، المرجع السابق، ص 997.

⁽³⁾ سفر المكابيين 1، الاصحاح 3، فقرة 13-15.

⁽⁴⁾ سفر المكابيين 1، الاصحاح 3، فقرة 10.

⁽⁵⁾ بيت حرون (Beth Huron) كلمة عبرية وتعني بيت المغارة ويطلق هذا الاسم على قريتين حورون العليا وحورون السفلى قريبتين من القدس،

تعرفان اليوم باسم بيت عور الفوقية وبيت عور السفلى. انظر: سفر يوشع الاصحاح 10، فقرة 10، 11، 16.

⁽⁶⁾ سفر المكابيين 1، الاصحاح 3، فقرة 18.

التضاريس الوعرة من جهة وتمرسه في فن حرب العصابات وعدم اشتراك القوة الأساسية للجيش السلوقي في المعركة نظرا لانشغالها في معارك في بلاد فارس، واعتلاء "انطيخوس الخامس يوباتور" 164-161 ق.م (Ant.louchusV.Eupator) سدة الملك خلفا لأبيه الذي وافته المنية حيث كان أقل بأسا من ابيه تجاه اليهود، تمكن يهوذا واتباعه من دخول اورشاليم في نهاية عام 164 ق.م وربما كان هذه المرة بتدخل المساعدة الخارجية المتمثلة في الدور الذي لعبته روما في تشجيع حركات التمرد داخل الإمبراطورية السلوقية من اجل اضعافها، من خلال مجهودات الواليين الرومانيين "كونتيوس ميموس" و"تيتوس مانيليوس"⁽¹⁾، وذلك من اجل ان يكون لروما نفوذ وحضور سياسي وليكون لهم أيضا تأثير حاسم على مجرى التطورات اللاحقة خصوصا اذا علمنا أن روما تربطها علاقات صداقة متينة مع البطالمة الذين هم أعداء تقليديين للسلوقيين، مثلما تدخلت روما عام 168 ق.م وارغمت الملك السلوقي انطيخوس الرابع من الانسحاب من مصر التي كانت خاضعة لنفوذ البطالمة اذ ذاك.⁽²⁾

استطاع يهوذا المكابي الدخول إلى اورشاليم من جديد وعمل على القضاء على كل مظاهر الوثنية التي أحيها السلوقيون، وأعاد تطهير الهيكل وتأثيثه من جديد وقد عُِد هذا اليوم بالنسبة لليهود عيدا لتجديد العهد (الحنوخاه)⁽³⁾ وانتخب سمعان شقيق يهوذا كاهنا اعظما عام 141 ق.م وحاكما في نفس الوقت على اورشاليم، وبذلك ظهر مرة أخرى حكم الكهنة الملوك أي الجمع بين السلطة الزمنية والروحية، ونعم اليهود بالحرية الدينية التي كانت منتهى غاية التأثيرين وبالتالي انتهت معها مرحلة اصطلاح على تسميتها بمرحلة (حرب

⁽¹⁾ اندري لومير، تاريخ الشعب العبري، ط1، عوידات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 1999، ص77.

⁽²⁾ محمد الرزين، الحلف المكابي الروماني فصل من تاريخ فلسطين في العثر الهلنستي، مجلة دراسات تاريخية، العددان 68-69، سوريا، 1999، ص26.

⁽³⁾ الحنوخاه: أي التدشين وهو عيد ذو صبغة سياسية وتاريخية ويقع في الخامس والعشرين من شهر "كسلو" أي ديسمبر ومدة الاحتفال به ثمانية أيام ويتم في هذا العيد اشعال الشموع لمدة أسبوع كامل وهو العيد الذي يخلد دخول المكابيين إلى اورشاليم، وما زال اليهود يحيونه اليوم في كل عام من شهر ديسمبر. للمزيد انظر: زكي شنودة، المرجع السابق، ص282؛ هاني عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص56.

للرب ولمقدساته) لتبدأ مرحلة جديدة للمكابيين والتي يمكن ان نسميها بمرحلة (حرب الطمع والاتساع والضلالة).

- الثورة بقيادة سمعان (143-134 ق.م): تقلد "سمعان" "شمعون" أو "سيمون" (Simon) الثورة سنة 143 ق.م في مرحلة وصلت فيها قوة اليهود إلى مرحلة الذروة تمكن من خلالها المكابيون السيطرة على المعبد والتربع على مقاليد الكهانة العظمى إذ استغل فرصة النزاع القائم بين البارثيين (Parthians)⁽¹⁾ والسلوقيين والمصريين، والرومان فانتزع استقلال بلاد اليهودية من أيدي الملوك السلوقيين⁽²⁾، وفي عام 141 ق.م تقلد زمام الملك باعتراف ومباركة الملك السلوقي ديمتريوس الثاني (Demetrus.II.Nicator) ولعل ذلك كمكافأة منه، جراء وقوف شمعون مع ديمتريوس في حربه ضد "تريفون" الذي كان ينازعه في الحكم على مملكة السلوقيين إذ تكفل "شمعون" بدفع رواتب الجنود المرتزقة الذين كانوا يحاربون مع "ديمتريوس الثاني"، استغل "شمعون" الاعتراف السلوقي له -كما وجد في الرومان خير حليف إذ أرسل (نومينوس) عام 140 ق.م مبعوثا لروما قصد تجديد التحالف التقليدي مع الحشمونيين⁽³⁾ - في العمل على توسيع حدود مملكة الحشمونيين، فقام باحتلال جيزر (Gezer) وضمها إلى مملكته، وطرد الكثير من سكانها غير اليهود، كما وضع يده على يافا؛ بحيث كسب منفذا بحريا على البحر الأبيض المتوسط، وبذلك أصبحت مملكة الحشمونيين مملكة مستقلة بذاتها وليست ولاية أو مقاطعة تابعة للسلوقيين⁽⁴⁾.

(1) البارثيون أو الفرثيون Parthians شعب من الشعوب الإيرانية القديمة (عرفوا في البداية باسم برني (Parni) استقر بعد ترحال في منطقة بارثية Parthia خراسان التي تؤلف الجزء الشرقي من إيران، وتمكن من التخلص من السيطرة السلوقية خلال القرن الثالث قبل الميلاد، وإقامة حكم أرستقراطي إقطاعي بزعماء أرشاك أو أرشاق Arsakes زعيم إحدى قبائلهم الذي أسس سلالة ملكية حاكمة عرفت باسمه (الأرشاقيون)، دامت ما يقرب من خمسة قرون. للمزيد أنظر: محمد علي، حضارة الفرس، ط1، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، 2016، ص55.

(2) ول وإيرل ديورانت، قصة الحضارة، ج3، مج3، ت، محمد بدران، دار الجيل، بيروت، لبنان، دت، ص161.

(3) Smallwood, E., The Jews Under Roman Rule From Pompey to Diocletian, Leiden, 1976, pp10, 11.

(4) هشام أبوحاكمة، تبيان الحدود بين تاريخ بني إسرائيل وتاريخ اليهود في العصور القديمة، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، الأردن، 2014، ص298؛ فراس سواح، تاريخ أورشاليم، المرجع السابق، ص259.

- الثورة المكابية بقيادة يوحنا هيركانوس (134 - 104 ق.م): بعد مقتل شمعون تولى حكم المملكة الحشمونية ابنه يوحنا هيركانوس (John Hyrcanus) حيث جمع بين منصب الكاهن الأعظم ومنصب القائد الأعلى للجيش بالإضافة إلى ملك المملكة الحشمونية و قد اعتقد أن الحكمة الإلهية قد اختارته لإعادة فتح كنعان على طريقة يوشع فبدأ بتجهيز جيشا من المرتزقة الذين أنفق عليهم بسخاء⁽¹⁾، بلغت يهوديا في عهده أقصى اتساع لها، قام بغزو عبر الأردن وأدوم التي أجبر أهلها على اعتناق اليهودية، كما احتل شكيم (نابلس)⁽²⁾ ودمّر المعبد السامري⁽³⁾، مما أحدث شرخا كبيرا بين اليهود والسامريين انعكست نتائجه على تماسك البنية الاجتماعية والجغرافية ليهوديا (Ioudaia) على مدى زمن طويل من تاريخ اليهود القديم⁽⁴⁾، كانت تغذيه من جهة أطماع السلطة التي أعمت الكثير من القادة اليهود، ومن جهة أخرى التباين الفكري والروحي بين الفرسيين والصدوقيين، ففي الوقت الذي عارض الفرسيون توسعات يوحنا هيركانوس وامتعاضهم من جمعه للسلطتين الدينية والزمنية لتعارض ذلك مع الناموس اليهودي⁽⁵⁾، في المقابل أيد الصدوقيون سياسة هيركانوس التوسعية⁽⁶⁾.

(1) أسد رستم، مخطوطات البحر الميت، ط2، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، 1990، ص41.

(2) Peter F.E., History of the Near East from Alexander the Great to the triumph of Christian, London, 1972, p287.

(3) وليام ماك دونالد، تفسير الكتاب المقدس للمؤمن العهد القديم، ج4، (أشعيا. ملاخي)، دار الاخوة للنشر، 2018، ص276.

(4) Goggins, R., Samaritans and The Jews, Oxford, 1975, p 79.

(5) هشام أبوحاكمة، المرجع السابق، ص306.

(6) Siker, M., Between Rome and Jerusalem, 300 years of Roman-Judean relations, New York, 2001, P33.

• الثورة المكابية بقيادة الكسندر ينايوس (exander Jannaeus):

دخل ألكسندر ينايوس في مغامرة غير محمودة العواقب مع الملك النبطي عبادة الأول عندما كشف عن نواياه التوسعية، ففي الوقت الذي كان المكابيون يسعون إلى الاستقلال التام والخلاص من الحكم الأجنبي كانوا يسعون إلى الاستيلاء على أراضي الأدوميين والتوغل في أراضي الأنباط مما أثار سخط الملك النبطي عبادة الأول الذي أعلن الحرب على الحشمونيين (أنظر الملحق رقم 08) ونزلهم في معركة حامية الوطيس عام 90 ق.م عند (جدارة أم قيس) إلى الشرق من بحيرة طبرية، انتهت بانتصار الملك عبادة الأول، وإجبار ينايوس على التخلي عن أحلامه التوسعية، وإرجاع ما تم الاستيلاء عليه من مؤاب وجلعاد إلى ملك الأنباط عبادة الأول⁽¹⁾، بعد هذه الهزيمة انتهز الفريسيون هذا الحدث وثاروا على الملك وانتقدوه واعتبروا تصرفاته منافية لتعاليم الشريعة التوراتية.

عمل الكسندر ينايوس على صك العملة حيث كتب على جانبيها باللغة اليونانية (بازليوس الكسندروس) أي الملك الكسندر وعلى الجانب الثاني رسم قرن الخصوبة الذي يرمز للخصوبة والنماء⁽²⁾. وعلى صعيد العلاقات الدبلوماسية لم تشهد مرحلة حكمه علاقات تحالف مع روما كما عهدناها عند من سبقه من الملوك المكابيين إذ لم يثق ينايوس بالرومان الذين وصفهم بالانتهازيين الباحثين عن تحقيق مصالحهم.

توفي الكسندر ينايوس عام 76 ق.م بعد أن ترك انطبعا سيئا عند اليهود الذين وصفوه بأبشع الاوصاف.

• الثورة المكابية بقيادة الكسندرا سالومي⁽³⁾ (Alexandra salome) 76 ق.م 67 ق.م:

تولت الكسندرا الملك بعد وفاة زوجها ألكسندر يوناثان عام 76 ق.م، وهي ثاني امرأة بعد

(1) عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2006، ص106؛ علي شحيلات، عبد العزيز إلياس الحمداني، مختصر تاريخ العراق، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007، ص230.

(2) هشام أبو حاكم، المرجع السابق، ص309.

(3) Louis H.Feldman,Gohei.Hata, Josephus, The Bible and history, Leiden.E.J. Brill.1989, P135.

الملكة (عتليا) ⁽¹⁾ تولت الملك على اليهود، كان لها ولدان هركانوس الثاني وقد أسندت له منصب الكاهن الأعظم، وأرسطوبولس الثاني الذي تولى قيادة الجيش، وقد حظيت هذه القرارات بمباركة مجلس السنهدرين اليهودي، عكفت الكسندرا سالومي طوال فترة حكمها على العمل على اعداد مؤسسة عسكرية قادرة على تحمل أعباء حماية البلاد من الأعداء المحتملين الذين يتربصون بالمملكة، فضاعفت عدد قواتها المسلحة التي تضمنت بالإضافة إلى الجيش الوطني، قوات من المرتزقة حتى أصبحت مملكتها تهابها القوى المحيطة بها، كما عملت على استمالة جماعة الفريسيين الذين بايعوها على الحكم مقابل تمتعهم بصلاحيات واسعة في الشؤون القضائية والإشراف على دور العبادة ⁽²⁾.

بعد وفاة الملكة سالومي ⁽³⁾ تركت عرشها على صفيح ساخن إذ سرعان ما دب الصراع بين ابنيها ارسطوبولس الثاني وهركانوس الثاني حول السلطة، فقامت بين الاخوين حرب أهلية غذتها أطراف خارجية، إذ راح كل منهما يستجد بدولة اجنبية من دول الجوار لتكون له الغلبة، فاستجد هركانوس بملك العرب الحارث الثالث ملك الأنباط، الذي كان قد انتصر على السلوقيين في معركة مؤتة عام 86 ق.م؛ مما سمح بامتداد نفوذ الانباط إلى دمشق حيث أصبحت القوات النبطية على مشارف مملكة المكابيين اليهودية أين خاضت قواته معارك دامية استطاع من خلالها الانتصار على المكابيين اليهود في معركة (ديدا) التي يعتقد أنها (اللّد) ⁽⁴⁾، ثم حاول فتح القدس عام 66 ق.م لكنه توقف بعد أن وصلت جيوش الرومان بقيادة بومبي لمناصرة ارسطوبولس، حيث تمكن هذا الأخير من دخول القدس (أنظر

⁽¹⁾ Richard R. Losch, All the People in the Bible, An A-Z Guide to the Saints, Scoundrels, and other Characters in scripture , grand Rapids, Michigan, Cambridge, U.K, 2008, P147.

⁽²⁾ هاني عبد العزيز جوهر، المرجع السابق، ص 108.

⁽³⁾ يوسف الدبس، تاريخ سوريا الديني والديني، ج3، دار نظير عبود، د، دار نشر، دت، ص193.

⁽⁴⁾ عبد الله محمد أبو علم، أسماء ومسميات فلسطينية وعربية وأجنبية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، 2017، الأردن، ص116.

الملحق رقم 09) وإعلان الهيمنة الرومانية وبه تنتهي فترة طويلة من الحكم اليوناني وتنتهي معها سيادة المكابيين أيضا على منطقة يهوديا (Ioudaia) ⁽¹⁾.

3- بنو إسرائيل في ظل النفوذ الروماني (63ق.م - 70م): انتهجت روما سياسة ملء الفراغ في مناطق نفوذ اليونانيين الذين لم يفلحوا في اقامة نظام سياسي في شرق المتوسط مبنى على قيم المزوجة بين إرث الغرب والموروث الحضاري العريق للشرق، إذ وبظهور روما على مسرح الاحداث مع بداية القرن الثالث ق.م، مستفيدة من الموروث الحضاري اليوناني من جهة ومعتمدة على ما تملكه من مقومات عسكرية وظفتها في فرض هيمنتها على الشعوب المستضعفة، حيث استطاعت أن تكون هي سيدة البحر المتوسط بصفته الغربية والشرقية مدة زمنية طويلة، كما أصبحت هي الفاعل الرئيسي في أي صراع، فبانتصار روما على قرطاجة في ما يعرف بالحروب البونية (264ق.م - 146ق.م) وانتصارها على السلوقيين في معركة مغنيزيا 190ق.م، واستمرار ولاء البطالمة للرومان لم يبق لروما في شرق المتوسط سوى منطقة جوف سوريا، اذ وبعد انتهاء فترة الاخوة المكابيين الذين سبق وان قاتلوا عن عقيدة وايمان، نتيجة انحرافهم وانغماسهم في شهوة السلطة وتحول ملوك الأسرة الحشمونية إلى طغاة مستبدين، وفقدانهم للوعاء الجماهيري، الشيء الذي شجع الأقاليم والمقاطعات التابعة للمملكة اليهودية على الانفصال والاستقلال ⁽²⁾. كل هذه المعطيات وفرت غطاء للتدخل المباشر لروما بعد أن كانت تدير المنطقة من بعيد حتى تاريخ 65ق.م بظهور شخصية القائد الروماني بومبي (pomey) ⁽³⁾؛ الذي عينه مجلس الشيوخ الروماني قائدا عاما للشرق بموجب قانون جابينيوس (Gabinus) والذي منح له سلطات واسعة في محاربة ظاهرة القرصنة التي باتت تهدد روما في حوض البحر الأبيض المتوسط.

⁽¹⁾ عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، المرجع السابق، ص39.

⁽²⁾ فراس سواح، تاريخ اورشليم والبحث عن مملكة اليهود، المرجع السابق، ص 263.

⁽³⁾ ميخائيل مكسي، القدس عبر التاريخ دراسة جغرافية تاريخية أثرية للمدينة المقدسة، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1972، ص63.

وصل بومبي إلى سوريا في حدود 65 ق.م - 63 ق.م حيث أعاد تشكيلها سياسيا في وحدات إدارية جديدة تحت اسم ولاية سوريا (Provincia Syria)⁽¹⁾ بعد أن كانت مملكة سوريا وأصبحت عاصمتها انطاكية. تابع بومبي طريقه نحو اخضاع المملكة اليهودية -التي كان يتنازعها على السلطة اذ ذاك كل من (هركانوس الثاني) و(أرسطوبولس الثاني) الاخوين الاشقاء بعد وفاة أمهما الكسندرا سالومي (Alexandra Salomi) التي تولت العرش وصية عليهما- وتم فتحها من قبل قوات بومبي بعد معركة دامية دامت قرابة الشهرين تمكن من خلالها بومبيوس من دخول حرم هيكل اليهود رغم حرمة إلا على كبير الكهنة⁽²⁾، ونُصّب (هركانوس الثاني) كاهنا أعظم وحاكما سوريا على بلاد اليهودية التي تقلصت حدودها بعد أن كانت تشمل الأراضي التي احتلها الحشمونيون في شرق الأردن والجليل والساحل وفصلها عن يهودا، ومنح لها حكما ذاتيا تحت امرة أمراء محليين بوصاية روما⁽³⁾، بينما اقتيد (أرسطوبولس الثاني) أسيرا إلى روما⁽⁴⁾، وما لبث أن عاد بومبي إلى روما بعد أن عين "سكاوروس" واليا على سوريا (65 ق.م - 57 ق.م) وكانت حدود ولايته من نهر الفرات حتى حدود مصر واسند له كتيبتان رومانيتان تساعداه في مهامه⁽⁵⁾.

- اليهود في فترة حكم جابينوس (Gabinus) 57 ق.م - 55 ق.م: يعد جابينوس أحد الموظفين الرومان الأكفاء الذين عهد إليهم بومبي ولاية سوريا، عمل منذ تقلده السلطة في ولاية سوريا الرومانية إلى تقسيم المناطق التي يسكنها اليهود في فلسطين كأقليات إلى خمس مناطق هي: أورشاليم، جديرا، أمثايوس، أريحا، صفورية، يحكم كل منها مجلس (سنهدين)

⁽¹⁾ إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ج2، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، طرابلس، ليبيا، 1973، ص455؛ محمد عواد حسين، الثورة الرومانية المرحلة الثالثة الصراع بين بومبي وقيصر حتى الحرب الاهلية 78 ق.م - 50 ق.م، مجلة عالم الفكر، مجلد12، عدد3، الكويت، 1981، ص102.

⁽²⁾ Tacitus, The Histories, V, 9.

⁽³⁾ الياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949م، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت لبنان، 1996، ص127.

⁽⁴⁾ Joseph Flavivus, Antiquités Judaïques, trad, Joseph Chamonard, Ernest Leroux, 1904, Paris, L XIV, IV, §79, P215.

⁽⁵⁾ ibid, LXIV, chap V, §V.

وذلك من أجل اضعاف اليهود وتسهيل جمع الضرائب منهم، كما جرد الكاهن الأعظم (يوحنا هيركانوس) من رتبة الملكية على ان يحكم البلاد كتابع لروما⁽¹⁾. هذا وقد أمر بإعادة بناء كل المدن التي دمرت من قبل ومن بينها السامرة وبيت شان⁽²⁾ في هذه الأثناء استطاع (ألكسندر بن أرسطوبولس) الفرار من منفاه في روما عام 57 ق.م بمعية ابنه، وحاولا جاهدين تحريض اليهود ضد الوجود الروماني الا أنهما فشلا نتيجة المساعدة التي قدمها ملك الأدوميين (أنتيباتر) لجابينوس (Gabinus) ليقтуда إلى روما أسيرين مرة أخرى.

شهد عام 49 ق.م قيام حرب أهلية في روما بين أنصار قيصر وأنصار بومبي⁽³⁾ القائد العسكري، وما ان جاءت نهاية هذه السنة حتى اعتلى يوليوس قيصر عرش روما بينما هرب بومبي إلى مقدونيا ثم مصر، اعتمد قيصر على (أرسطوبولس) الذي كان اسيرا في روما حيث ارسله الى سوريا بعد اسند له كتيبتين رومانيتين للتصدي لقوات وأنصار بومبي لكنه مني بهزيمة في معركة فارسالوس عام 48 ق.م⁽⁴⁾، وماهي إلا أسابيع قليلة حتى تم اغتيال بومبي على يد رجال قيصر عند وصوله إلى مصر. وعندما آلت زعامة روما لقيصر تم تعيين هركانوس من قبل قيصر كاهنا أعظم على اورشاليم، كما أعلن (أنتيباتر) مواطنا رومانيا مسؤولا على جباية الضرائب في اورشاليم كما استطاع انتيبار بدعائه من التودد والتقرب من الرومان في عهد يوليوس قيصر الذي أغدق على اليهود العديد من الامتيازات، ومع ذلك لم تشفع له حيث تنكر له اليهود ولم يعتبرونه أصلا يهوديا⁽⁵⁾، وبتولي انتيبار الحكم على اليهودية قام بتعيين ولده البكر (فاسيل) حاكما على اورشاليم وابنه الثاني (هيرود) حاكما على الجليل، وبعد اغتيال يوليوس قيصر 44 ق.م⁽⁶⁾ واستمرار الصراع بين

⁽¹⁾ibid, L XIV, chap V, §IV.

⁽²⁾ibid, L XIV, chap V, 3

⁽³⁾حسن طوكان عبد الله، موقف القادة والاباطرة الرومان من اليهود (66ق.م-138م)، مجلة جامعة ذي قار، مجلد13، عدد 3، 2018، ص144.

⁽⁴⁾المرجع نفسه، ص219.

⁽⁵⁾فتحي محمد الزغبى، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، المرجع السابق، ص291-292.

⁽⁶⁾Josèphe Flavius, Op.cit., XIV, XI, I.

انصار قيصر وانصار بومبي، وفي خضم هذا الصراع وصل كاسيوس إلى سوريا من أجل ترتيب الأوضاع فيها بما يخدم استمرار مصالح روما، غير أن الأوضاع في روما لا تبشر بخير بعودة وتجدد الحرب الاهلية بين انصار أنطونيوس وأكتافيوس؛ مما استدعى بعودة كاسيوس على عجل إلى روما، استغل الفارثيين⁽¹⁾ (الفرس) الفراغ السياسي الذي تركه توري قيصر عقب اغتياله، وتجدد الحرب الاهلية في روما بغزو سوريا بقيادة الملك (أكوروس أوروديس) حيث وجدوا السند في الأسرة الحشمونية، إذ تمكن (أنتيغوس بن أرسطوبولس الثاني) من الحصول على تأييد القائد الفرثي (برزفرانس) ضد أبناء أنتيباتر (فصايل) و(هيرود) للانتقام منهما، وفي عام 40 ق.م وصل الفرثيون إلى القدس ونتيجة لذلك عين القائد الفرثي برزفرناس Barzapharnas أنتيجونوس متثياس⁽²⁾ Mattathias

Antigonos (37-40 ق.م) - آخر ملوك السلالة الحشمونية وابن أرسطوبولس - حاكماً على الولاية اليهودية وكبير الكهنة، كما صك نقوداً باسمه لإعطاء طابع الشرعية على حكمه، في هذه الاثناء لجأ هيرودوس إلى الأنباط⁽³⁾ طالبا النصرة والمساندة ضد الفرثيين إلا أن طلبه قوبل بالرفض مما أجبره على التوجه نحو روما حيث لم يجد الرومان في عهد

(1) الفرثيين: شعب من الشعوب الإيرانية القديمة ينتمون إلى قبيلة فارني أو بارني استقروا بعد ترحال في منطقة بارثيا (بارثا) (خراسان) التي تؤلف الجزء الشمال الشرقي من إيران . ويعتقد عدد من الباحثين أن هناك أقوام كانت تسكن في إقليم بارثيا هم أقدم عهدا من الأقوام التي نزحت إليه فيما بعد واتخذت اسم الإقليم بعد اختلاطهم بالسكان الأصليين الذين يمكن اعتبارهم الفرثيين الأصليين. للمزيد أنظر: بلقاسم مرزوقي، الديانتان الزرادشتية والبوذية ودورهما في النظام السياسي للشرق القديم في الفترة نابين 630 ق.م إلى 630م دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2019، ص53؛ ميثم عبد الكريم جواد النوري، المرجع السابق، ص19 وما بعدها.

(2) ماتاتياس أنتيجونوس: هو ابن أرسطوبولس الثاني، قاد حملة عسكرية بتحالفه مع ملك الفرثيين (باخوروس) على أورشليم حيث استطاع استلام السلطة من هيركانوس واستسلم هذا الأخير وتم إيداعه السجن. للمزيد أنظر:

George.J.Brook and Jesper Hogenhaven.The Mermaid and the Partridge.Essays from Cave Four.Leiden Brosto.2011.P263.

(3) الأنباط: كلمة نبط اختلف المؤرخون في تفسيرها فمنهم من ردها إلى (نبيط) و(نبايوت) وهو الابن البكر لإسماعيل بن إبراهيم الخليل من زوجته هاجر، ومنهم من فسر كلمة (نبيط) لكثرة الماء، أقام عرب الأنباط دولتهم في بادية الشام واتسعت حتى وصلت نفوذها إلى شمال الحجاز اتخذ الأنباط من البتراء عاصمة لهم والتي ورد ذكرها في الكتابات اليونانية القديمة، وقد عاصر الأنباط البطالمة في مصر والسلوقيين في سوريا. للمزيد أنظر: راجح زاهر محمد محمود، علاقة الأنباط بالدول والشعوب المجاورة، أطروحة دكتوراه، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق، مصر، 2004، ص3 وما بعدها.

انطونيوس⁽¹⁾ مانعا من تقديم المساعدة لهيرودوس من أجل تأمين عودته إلى سدة الحكم في إقليم اليهودية، والانتقام من أعدائهم الفرثيين⁽²⁾.

- **مرحلة حكم هيرودس الكبير (37ق.م - 4ق.م):** ولد هيرودس الكبير في نهاية السبعينيات من القرن الأول ق.م من عائلة أدومية أرستقراطية كانت قد اعتنقت اليهودية قبل تلك الفترة بنصف قرن في فترة حكم يوحنا هيركانوس الأول⁽³⁾، بدأ هيرودس حكمه الفعلي على إقليم اليهودية (Ioudaia) عام 37ق.م إلى غاية 4م، اتخذ لنفسه لقب ملك اليهود إلا أنه كان حليف الشعب الروماني حيث كان يأتذر بأوامر روما، كانت الدولة اليهودية تحت حكم هيرودس مملكة تحت رعاية روما⁽⁴⁾، استطاع بذكاء في اللعب على الصراعات بين القادة العسكريين الرومان الذين كانت تراودهم الرغبة في الوصول إلى السلطة⁽⁵⁾، نعتته بعض الكتابات اليهودية بالطاغية القاتل مُريق الدماء، حيث أهدر دم الكثير من العائلة الحشمونية كهركانوس الثاني وأرستوبولس الثالث، وقد وصل به الهوس إلى قتل العديد من زوجاته بسبب الاشتراك في مؤامرات ضده من أجل السلطة، ومن أجل إنهاء الجفاء بينه وبين اليهود الذين دائما ما كانوا يعتبرونه غير يهوديا، عمل هيرودس على احضار هيركانوس رئيس الكهنة المخلوع من منفاه لدى الفرثيين في بابل وقربه منه حيث اسند له سلطة الكهانة وذلك من أجل إرضاء اليهود الناقمين عليه، كما قام أيضا

⁽¹⁾ إبراهيم أبو راميس، هيروديوم دراسة تاريخية أثرية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، عدد 28، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2012، ص 316.

⁽²⁾ بركات محمد عبد الغني إحميد، المرجع السابق، ص 37.

⁽³⁾ يوحنا هيركانوس الأول: كان رئيس الكهنة وأمير عائلة الحشمونيين ولد عام 175ق.م وتوفي في عام 104ق.م كان حكيما وعادلا زماريا بارعا، حارب ضد الآشوريين وهزمهم، كان قد نجح في الهروب من أريحا بعد أن قام صهره (potolemy) باغتيال والده سمعان المكابي. للمزيد أنظر: ج. كازجيان، هيرودس الكبير سفاح بيت لحم وملك اليهودية، د. دار النشر، دت، ص 1.

⁽⁴⁾ Peter Schäfer, The History of the Jews in the Greco-Roman World, published by Routledge London, 2003, P89.

⁽⁵⁾ س. سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون، ت، حسان ميخائيل اسحق، ط2، دار علاء الدين، سوريا، 2007، ص 47.

بإقامة علاقة مع أحد فروع العائلة الحشمونية وذلك من خلال زواجه من مريمان حفيدة أرسطوبولس.

تمتعت يهودا تحت حكم هيرود بالثراء والأمن، بفضل سياسته التي انتهجها مع حلفائه الرومان الذين كانوا يرون في استقرار يهوذا تحت حكم ساسة موالين لها سوف يؤمن لها استمرار مصالحها في كل من مصر وسوريا اللتان تعدان من أهم الولايات الرومانية⁽¹⁾، بما تجود به من عائدات تحصيل الضرائب ونشاط التجارة والإفادة من مكوسها.

ما إن استلم هيرودوس الحكم في اليهودية سنة 37 ق.م حتى انبرى بسيفه في مواجهة خصومه، حيث شن حربا على العرب الأنباط - بإيعاز من روما ومن كليوباترا التي كانت تريد إضعاف كل من الأنباط ويهودا-⁽²⁾ ونازلهم عند بلدة (ديوسبوليس) وهي مدينة (اللد)⁽³⁾ حاليا بفلسطين ولقد كانت على مر التاريخ ملتقى للطرق التجارية الرئيسية في المنطقة، واستطاع الانتصار عليهم (أنظر الملحق رقم 10) إلا أن العرب الأنباط تجهزوا في جولة ثانية واستطاعوا منازل قوات هيرود وانتصروا عليهم في موقعة قانتا (Cantha) وهي منطقة بالأردن حاليا.

إلا أنه لم يلبث أن اصطدم بالشعب لأنه مال كثيرا إلى اصباح مقاطعة اليهودية بطابع المدينة اليونانية⁽⁴⁾، عمل على تزويد أورشليم بكل مرافق المدينة الرومانية حيث بنى المسارح وشيد مدرجات للألعاب تقام حفلاتها على شرف الأباطرة الرومان أولي نعمته⁽⁵⁾. عمل هيرود طوال فترة حكمه للمملكة اليهودية على نبذ روح العصبية الدينية؛ إذ أتاح

⁽¹⁾ رشاد الشامي، اليهود واليهودية في العصور القديمة بين وهم الكيان السياسي وأبدية الشتات، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001، ص191.

⁽²⁾ Joseph Flavivus, Op.cit., XV, 110,119.

⁽³⁾ اللد مدينة قديمة ذكرت في الكتاب المقدس عدة مرات، وهي مدينة كنعانية، وعن سبب إطلاق اللد على هذه المدينة ربما للمعنى الذي تأخذه كلمة "اللد" بمعنى شديد الخصومة. للمزيد أنظر: مصطفى محمد الفار، مدينة اللد موقعا وشهرة وتاريخا ونضالا، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2009، ص25 وما بعدها.

⁽⁴⁾ جيمس و. إرماتنغر، زمن العهد الجديد، ت، ثائر ديب، ط1، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، 2011، ص196.

⁽⁵⁾ الأب ديلي، المرجع السابق، ص402.

لشعوب مملكته حياة دينية حرة، كما شجعها على ممارسة طقوسها وبناء دور عباداتها، عرف عن هيرود كما وصفته كتابات المؤرخين، أنه كان مواطناً عالمياً يؤمن بوحدة الأديان والثقافات ونبذ الانغلاق والتعصب الديني، ولعل هذا ما جعله يكن العداء لليهود المتعصبين والذين بدورهم كانوا يبادلونه نفس الشعور⁽¹⁾.

بعد موت هيرودس عادت الفوضى إلى البلاد من جديد، بسبب كثرة أبنائه من زوجاته العشر، حيث اندلعت الكثير من الثورات في أماكن متفرقة من البلاد، وقامت أحزاب معتدلة ومتعصبة انتهى بها الأمر إلى خراب أورشليم عام 70م، وما ساعد في ظهور هذه التيارات الدينية هو أن الكثير من الشعب اليهودي قد آثروا تقاليد وعادات اليونانيين والرومان بتواطؤ مفضوح من قبله كبار كهنة اليهود⁽²⁾، لهذا ظهرت العديد من الجماعات اليهودية التي تدعو إلى ضرورة العودة إلى التمسك بالقيم والتقاليد اليهودية التي أقرتها الشريعة اليهودية، كجماعة "الفرسيين" و"الصدوقيين"⁽³⁾.

أقام الرومان حكماً مباشراً على البلاد⁽⁴⁾ رغم وجود وصية هيرودوس قبل موته بتقسيم أملاكه بين أولاده الثلاثة: أرخيلاس و أنتيباس و فيلبس، وقد أقر الإمبراطور أوغسطس الوصية ولكن لم يلقب خلفاء هيرودوس بملوك بل جعلهم ولاية خاضعين لروما بصورة غير مباشرة. فمنح حكم السامرة ويهودية وإيدومية إلى "أرخيلاس" (Archelaus) والجليل وشرقي الأردن إلى "إنتيباس" (Antipas) ومنح إقليم المدن العشرة (Decapolis)⁽⁵⁾ إلى "فليب

(1) س. سفنيسكايا، المرجع السابق، ص 111.

(2) محسن نعيم، نبوات ورؤى (النبوات في الكتاب المقدس بين التحقيق والرسالة دراسات في النصوص النبوية والرؤية في الكتاب المقدس)، ج 2، دار الثقافة، القاهرة، 2011، ص 78.

(3) الفرسيون: جماعة يهودية وكلمة فرسيين كلمة عبرية "فروشم" أو "بروشيم" وتعني المغرورون أو الانفصاليون وذلك لاتهامهم بانفصالهم عن عامة الناس، أما فيما بينهم فكما يلقبون أنفسهم بالرفقاء، الزملاء، الاحبار، أما فرقة الصدوقيين وهي فرقة يهودية تأتي في المرتبة الثانية من حيث الشهرة، ويذكر المؤرخون أن الصدوقيين سمو بهذا الاسم نسبة إلى رجل اسمه صدوق وهو رجل من كبار الكهنة اليهود، إلا أن الصدوقيين يرفضون هذا الانتساب ويلحون على أنهم ينتسبون إلى النبي داود عليه السلام. للمزيد أنظر: بخوش عبد القادر، نزعة الاختلاف في الفكر اليهودي (الفرق الدينية اليهودية)، جامعة الأمير عبد القادر، دن، دس، ص 63 وما بعدها.

(4) أحمد الدبش وآخرون، المرجع السابق، ص 396.

(5) المدن العشرة (Decapolis) تسمية إغريقية أطلقت على مجموعة من المدن المتهلينة الواقعة اليوم شمال غرب الأردن وجنوب سوريا وشمال فلسطين، ورد ذكرها في العهد الجديد. أنظر: إنجيل متى، الإصحاح 4، الآية 25.

تراكونيتيس" غير أنه وبعد موت " أرخيلاس " سنة 6م ألحق الرومان إقليم يهودية والسامرة إلى الحكم الروماني المباشر واعتبروا المنطقة رومانية صرفه.

• حكم خلفاء هيرودوس:

حكم ارخيلاس: وُلّي على يهودا والسامرة وأدومية من (ق4ق.م - ق6م) في عهده انتقلت عاصمة اليهودية من أورشاليم إلى قيصرية المدينة المطلة على البحر والتي كان قد بناها هيرودوس، عرف عنه ميله إلى البطش والتتكيل بكل من سولت له نفسه معارضة حكمه وقد تصدى بحزم للمعارضة التي ثارت ضده بعد موت أبيه، استمر في الحكم مدة عشرة أعواما لم يحض فيها بالقبول من قبل اليهود الذين ما فتئوا يناصبونه العداء، مما اضطرت روما إلى الاستتجاد (بفاروس) والي سوريا وبأريetas ملك العرب للتصدي لإخماد ثورة اليهود، فأنجده كلا منهما بعشرين ألف فارس، ولإحكام روما سيطرتها على يهودا تم عزل أرخيلاس من قبل يوليوس قيصر وابعاده إلى بلاد الغال بعد أن جرده من كل امتيازاته وممتلكاته، ودخلت يهودا تحت الإدارة الرومانية المباشرة من خلال تعيين والي روماني يدعى كوبونيوس (Caponius) ومنحه سلطات مطلقة في الإقليم بما فيها حق الحياة والموت⁽¹⁾، وكان ذلك عام 11م، ومنذ هذا التاريخ دخلت يهودا تحت الحكم المباشر لروما⁽²⁾. تميزت فترة الحكم الروماني المباشر لليهود بفترتين: الفترة الأولى: (6م-40م) حيث تولى حكم إقليم يوديا (Ioudaia) عدد من الولاة الرومان تباينت سياسة معاملتهم لليهود، منهم من هادئهم واحسن معاملتهم، ومنهم من أساء وضيق عليهم، فهذا فاليريوس جراتوس (Gratus Valerius 15م-26م) استغل تنافس اليهود على منصب الكاهن الأعظم، فكان يبيع المنصب لمن يدفع رشاًوى أكبر، أو ممن يساير السياسة الرومانية في

⁽¹⁾ ياسين سويد، المرجع السابق، ص44.

⁽²⁾ Dio Cassius, Liv, LV, 27.

المنطقة⁽¹⁾. ثم حكم بعده بيلاطس البنطي (26م-36م): استمر حكمه لليهودية عشرة أعوام، بدأ حكمه بتحدي صارخ لليهود حيث نقل مقر قيادة الحامية العسكرية من قيصرية إلى أورشليم ذات الخصوصية الدينية لليهود، كما قام بتنصيب تمثال قيصر وشعار الإمبراطورية (النسر الذهبي) ونصبهما ليلا في مدخل أورشليم مما أثار حفيظة اليهود الذين زاد ضغطهم على الوالي الروماني الذي أُجبر على الرضوخ لمطالب اليهود، واستمرت الخلافات بين بيلاطس واليهود حول أموال الهيكل التي رغب في استغلالها في مشاريع تساهم في نهضة المدينة فقبل بمقاومة عنيفة من قبل جماعة من الجليليين⁽²⁾ كونهم كانوا أكثر اليهود تمسكا بقيمهم الدينية، فبتاريخ 6م ثار "يهودا الجليلي" ضد الوجود الروماني في إقليم اليهودية مستغلا السياسة التي تبناها الولاة الرومان في إحصاء اليهود من أجل فرض الضرائب عليهم إذ اعتبر هذه الساسة بمثابة الاعتراف والقبول بسلطان روما على اليهود، إلا أن هذه الثورة التي كان منطلقها منطقة الجليل⁽³⁾ لم يكتب لها النجاح إذ سرعان ما نال سيف روما منهم الكثير كما يخبرنا المؤرخ يوسيفوس⁽⁴⁾. انتهى حكم بيلاطس البنطي عام 36م على إثر شكوى تقدم بها اليهود إلى الامبراطور الروماني "تيريوس" حيث تم تنحيته وتعين مارولوس واليا على اليهودية بدلا عنه واستمر حكمه من سنة 36م إلى عام 41م حتى تحول الوضع السياسي في الإقليم من ولاية رومانية إلى أن صارت مملكة يهودية في عهد الملك اغريباس الأول من علم 41م إلى 44م حفيد هيرودوس، كافأ الامبراطور "كلوديوس" بوصوله إلى سدة الحكم في روما "أغريبيا الأول" بأن منحه الملك على أراضي جده "هيرودوس الأول" المتمثلة

⁽¹⁾ عماد خضير سلمان المحمدي، اليهود في فلسطين في العصر الروماني، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، جامعة الأنبار، 2019، عدد69، ص347.

⁽²⁾ الجليليون: طائفة يهودية متعصبة تسبب الى يهوذا دي جملا المعروف بيهودا الجليلي أصيل منطقة الجليل بشمال فلسطين ولقد تميزت هذه الفرقة عن غيرها من الفرق اليهودية بكونها لم تهتم بالقضايا العقائدية والدينية بل اتجهت الى الناحية السياسية من خلال مقاومة الاستعمار الروماني. للمزيد انظر: بخوش عبد القادر، المرجع السابق، ص72.

⁽³⁾ Peter Schäfer, Op.Cit, P103.

⁽⁴⁾ Flavius Josèphe, Antiquités judaïques, traduit par Buchon aux éditions Delagrave, 1836. XVIII, III, 2.

في منطقة " يوديا " (Ioudaia) والجليل وبيراية وباشنيا⁽¹⁾ وأضفى عليه صفة الملك، وحتى تكون هذه القرارات ذات مصداقية أمر بأن تنقش على صفائح من نحاس وتعلق على جدران الكابيتول الروماني⁽²⁾، سعى "أغريبيا" منذ عودته من روما الظهور بمظهر الرجل المتدين المحافظ على الناموس، والتقاليد الدينية، فقرب إليه جماعة الفريسيين المتدينين والذين يثق بهم عامة الناس، كما لم يتوانى ولا ليوم واحد على تقديم الذبائح والقربان وتطهير الهيكل⁽³⁾، ومحاربة المسيحيين الأوائل الذين كانوا يمارسون نشاطهم الديني في اليهودية وهذا ما نقرأه في أعمال الرسل: "وفي ذلك الوقت مد هيرودس الملك "أغريباس الأول" يديه ليسيء إلى أناس في الكنيسة"⁽⁴⁾. وبوفاة الملك "أغريبيا الأول" عام 44م عاد من جديد إقليم " يوديا " (Ioudaia) تحت النفوذ المباشر لروما.

أما المرحلة الثانية تبدأ من 44م إلى 66م حيث عادت من جديد اليهودية إلى الحكم الروماني المباشر، توالى على حكم اليهودية بعد أغريبيا عدد من الولاة الرومان وهم على التوالي: "كوسبيوس فادوس" (CuspiusFadus) (44م - 46م) ثم تيباريوس (TiberiusJulus Alexander) وكان يهودي الأصل إلا أنه ارتد عن اليهودية (46م - 48م) ثم كومانوس (Cumanus Ventidius) (48م - 52م) ثم "ماركوس انطونيوس فيلكس" (MarcusAntonius Felix) (52م - 60م) ثم بوركيوس فستوس (PorciusFestus) (60م - 62م) ثم "لوكيوس ألبينوس" (Albinus Lucius) (62م - 64م) ثم جاء بعده "جيسيوس فلوروس" (Gessius Florus) 64م - 66م.

⁽¹⁾Sorek, S., The Jews Against Rome, Continuum press, New York, 2008, P12.

⁽²⁾Josephus, Bell. Jud, II, 12, 5.

⁽³⁾Josephus, Ant. Jud, XIX, 6, 1.

⁽⁴⁾ أعمال الرسل، الإصحاح 12، الآية 1-4.

4- الحرب اليهودية الرومانية من نيرون إلى تيتوس (66م-70م) ودمار أورشليم (القدس):

- الأوضاع العامة لليهود قبيل الحرب: تميز الوضع العام لليهود في فلسطين بالتردي على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية خاصة ابان الهيمنة الرومانية المباشرة على البلاد اليهودية ابتداء من سنة 44م إلى 66م اذ هيا اليهود في الدخول في مواجهة دامية مع الرومان.

- سياسيا: بعد موت هيرودس أغريبيا الأول سنة 44م⁽¹⁾ عادت البلاد اليهودية من جديد تحت الحكم المباشر للرومان واستمرت إلى تاريخ قيام الحرب اليهودية الأولى على الرومان عام 66م حيث لم يكتب للبلاد اليهودية الاستقرار والأمن منذ تعيين الولاة الرومان عليها ابتداء من سنة 44م، ومرد ذلك سياستهم القائمة على الهيمنة ومحاولة رومنة كل المناطق التي يصل إليها نفوذهم، فقد تولى في الفترة ما بين 44م إلى 66م سبعة من الحكام الولاة الرومان كلهم سيئو الأخلاق ومرتشون⁽²⁾، ساهموا بسياستهم في غضب اليهود وزيادة حقدهم على سياسة روما تجاههم، ناهيك عن احداث الفوضى التي كانت تشتعل تارة بين طوائف اليهود المختلفة، وبين اليهود من جهة وطبقات المجتمع التي كانت تربطها بروما مصالح مادية وهم في الغالب من المتأغريقين⁽³⁾. فهذا كاسبيوس فادوس الوالي الروماني وهو أول حاكم روماني يعينه الامبراطور كلاوديوس حاكما على إقليم اليهودية، قام بالعديد من الإجراءات من أجل القضاء على ظاهرة اللصوصية وقطاع الطرق الذين كانوا ينشطون في الإقليم ويشكلون خلايا إجرامية إرهابية احترفت

(1) عارف العارف، المرجع السابق، ص45؛ متى المسكين، تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين، ط1، مطبعة دير القديس أنبا مقار، القاهرة، 1997، ص313.

(2) أحمد سوسة، أبحاث في اليهودية والصهيونية، دار الأمل للنشر والتوزيع، اريد، الأردن، 2003، ص122.

(3) مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص239.

أسلوب الاسترزاق، حيث استطاع كبح جماحها⁽¹⁾. كما وقف في وجه ظاهرة الأنبياء الكذبة الذين زعموا أنهم مبعوثين لتخليص اليهود من الحكم الأجنبي وإقامة العدل، ومن أبرزهم ثيوداس (Theudas) الذي تمكن من اقناع أنصاره من اليهود عن قدرته على شق البحر، حيث تصدى له كاسبوس فادوس الحاكم الروماني ونفذ فيه حكم الاعدام⁽²⁾. وفي محاولة أخرى كانت أقل ما يقال عنها أنها يائسة عين الامبراطور الروماني كلاوديوس على إقليم (اليهودية) تبريوس جوليوس ألكندر (46م-48م) وهو أحد الشخصيات اليهودية، ينتمي إلى عائلة يهودية مصرية، إذ اعتقد فيه الامبراطور الروماني كلاوديوس أنه الشخص الاجدر في إدارة إقليم (اليهودية)، لكن ما حدث كان العكس إذ تكرر تبريوس للديانة اليهودية وكان أكثر انجذابا للوثنية⁽³⁾، مما جعل اليهود ينظرون إليه نظرة احتقار فلم يجد منهم العون والمساندة⁽⁴⁾، وقد شهدت فترة حكمه تردي الأوضاع الاقتصادية والتي لم يشهد لها مثيلا إذ انتشرت المجاعة نتيجة القحط والجفاف الذي ضرب أقاليم الشرق الروماني مع مطلع القرن الأول للميلاد⁽⁵⁾، وقد أُستغل هذا الوضع من قبل اليهود الذين حملوا السلطات الرومانية التي كانت تدير الإقليم مسؤولية عجزهم في تأمين حياة كريمة للناس، فكانت فرصة لليهود في رفض هذا الواقع الذي فرض عليهم.

واستمرت سياسة روما في تولية حكاما لإقليم اليهودية الواحد تلو الآخر، وكان آخرهم جيسيوس فلوروس (Gessius Florus) الذي ساهم بتصرفاته الرعناء في التعجيل بإعلان المواجهة الدامية مع اليهود، كما شهدت فترته عودة الصراع بين الوثنيين والمتدنيين

⁽¹⁾Yoder, J.,Representatives of Roman Rule,Roman Governors in LukeActs, University of NotreDame,Indiana,2012, P228.

⁽²⁾Josephus, Ant. Jud, XX, 5,1.

⁽³⁾Josephus, Ant. Jud, XX, 5, 2.

⁽⁴⁾Siker, M.,Between Rome and Jerusalem: 300 years of Roman-Judean relations,New York,2001,P137.

⁽⁵⁾Bloom.J.,The Jewish Revolts Against Rome,McFarland Company, North Carolina ,2010,P56.

اليهود⁽¹⁾، هذا ما جعل المؤرخ الروماني تاكيتوس يقول: "صبر اليهود وتحملهم دام حتى تسلم فلوروس منصب الوكيل، فاندلعت الحرب في أيامه⁽²⁾."

ب/ اقتصاديا واجتماعيا: انتهج الولاة الرومان في إقليم اليهودية وباقي الأقاليم التي دانت لهم سياسة اقتصادية قائمة على جباية الضرائب التي تنوعت مصادرها حسب تنوع مصادر الثروة لدى اليهود، بحيث يمكن ان نميز بين نوعين من الضرائب:

ضرائب مباشرة، وأخرى غير مباشرة تفرض على البضائع المستوردة، وعلى الأرباح المستخلصة من الأراضي وضرائب خدمات الأموال المتبادلة نتيجة عملية التجارة⁽³⁾، وفي فترة الهيمنة الرومانية على اليهود حيث يمكن أن نلاحظ مستوى التراجع الرهيب في امتلاك الأراضي الزراعية، في أوساط اليهود، إذ باتت الأرض نقمة على أصحابها من جراء الأعباء المالية التي كانت تفرضها السلطات الرومانية على ملاك الأراضي، الشيء الذي دفع الكثير منهم إلى بيع أراضيهم إلى الأثرياء من جامعي الضرائب، والملوك الكبار بسبب عدم قدرتهم على دفع الضرائب المفروضة عليهم وتحولهم مع عائلاتهم إلى أجراء يوميين، ومنهم من امتنهن مهنة جباية الضرائب، حيث كان التنافس شديد بين اليهود في الضفر بهذا المنصب من السلطات الرومانية⁽⁴⁾، وكان في الغالب هذا العمل ما يدر عوائد مالية لصالح السلطات الرومانية من جهة، ولصالح الجباة الذين لم يتوانوا في تحديد اقساطا من الضرائب لفائدتهم الخاصة⁽⁵⁾، هذا ما جعل المؤرخ الروماني تاكيتوس (Tacitus) يقر في معرض حديثه عن ولاية سوريا وجودايا (اليهودية) انهما قد أرهقتا بالضرائب التي كانت مفروضة من الرومان⁽⁶⁾ ولصالحهم. هذا وقد كانت تفرض ضريبة دينية (ضريبة العشر) على كل يهودي

⁽¹⁾Sorrells,W.,The Jewish Revolts Against the Seleucid and Roman, Empires, Kansas, 2004,P34.

⁽²⁾Tacitus, Histories,V ,10 .

⁽³⁾زياد منى، مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ط1، بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت، لبنان، 2000، ص160.

⁽⁴⁾Paulus , S ., The Second Temple Period, Yad Izhak Ben Zivi press , Al Quds ,2002 , p 32 .

⁽⁵⁾سامي حلاق، مجتمع يسوع تقاليده وعاداته، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1999، ص90.

⁽⁶⁾Tacitus,The Histories, tr.,Clifford,H, L.C.L,1968, II , 42 , 7 .

غنيا كان ام فقيرا مقيما في فلسطين او خارجها، وهذه الضريبة مخصصة كما جاء في التوراة لخدمة الهيكل⁽¹⁾ وفقراء اليهود، وفي حقيقة الأمر أن هذه الضريبة استأثر بها الكهنة دون غيرهم⁽²⁾. كل هذه الأوضاع ساهمت بشكل مباشر في وجود بيئة خصبة لاحتضان الثورة والتمرد على السلطة الرومانية في إقليم (اليهودية).

- اليهود يعلنون التمرد:

حصلت الحرب الرومانية اليهودية الأولى خلال الأعوام (66م/70م) وتسمى بالثورة الكبرى عند اليهود (هاميريد هاجادول)، في عهد الامبراطور نيرون أعلن اليهود الثورة والتمرد ضد الوجود الروماني، بدأت الشرارة الأولى للثورة في إقليم قيصرية⁽³⁾ المدينة التي بناها الملك "هيرود" لتكون مدينة ذات طابع ثقافي يوناني⁽⁴⁾، ومقرا لإقامة الوكلاء الرومان، وقد جسدت هذه المدينة في البداية إمكانية التعايش بين الوثنيين الذين كانوا ممثلين في طائفة الصدوقيين، والذين كانوا يمثلون الحزب الارستقراطي ويحتكرون الوظائف، وكانوا في الغالب يحصلون على دعم وتأيد روما، واليهود المتدينين، لكن مع مرور الزمن طفى الصراع بينهما في شكل حرب أهلية، فاشتعلت الجموع بالغيض وأشعلوا النيران في القصور والابنية العامة الرومانية، كما استولوا على قلعة انطونيا واحرقوها وذبحوا حراسها⁽⁵⁾ في مطلع عام 66م، كما سيطروا على قصر الملك هيرودس الكبير الذي تحصن داخله مجموعة من الجنود الرومان والذين لم يقدرؤا على مواجهة جموع المنتفضين اليهود مما أجبرهم على الاستسلام حيث أعدموا عن بكرة أبيهم⁽⁶⁾. تناهت إلى علم "سيسيتيوس غالوس" حاكم سوريا

(1) سيد محمد عاشور، اليهود في عصر المسيح، دار القلم، دمشق، د، ت، ص 57.

(2) سامي حلاق، المرجع السابق، ص 91.

(3) مدينة قيصرية من المدن التي بناها هيرودوس الكبير وسماها بقيصرية تكريما للقادة الرومان وتعبيرا منه عن الدعم والولاء للسلطة الرومانية كما أظهرت الارتباط والالتزام من قبل هيرودوس بالسلام الروماني (pax romana). للمزيد أنظر: فلاديسلاف باياس، حمام البلقان، ت، تبج عادل عبد السميع، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2021، ص 381.

(4) Roller, D.W., The Building Program of Herod the Great, Berkeley, University of California Press, 1998, PP134 - 136.

(5) ماجد عزت إسرائيل، أرمن مصر أرمن فلسطين بعيدا عن السياسة، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017، ص 123.

(6) يوسف الدبس، تاريخ سوريا الديني والديني، ج3، المرجع السابق، ص 256.

فأعد العدة لمحاربة اليهود فاستنفر الفرقة الثانية عشر (أنظر الملحق رقم 11) المرابطة في سوريا وزحف على القدس عام 66م وعسكر بقواته على سفوح جبل "سكوبس" (جبل المشارف) ⁽¹⁾ الواقع على مسافة قصيرة من القدس، لكن اليهود استطاعوا أن يلحقوا بقواته ضربات موجعة على رواية "يوسيفوس" ⁽²⁾ بموجبها تراجعت قواته حتى لا تتجرع مزيداً من الهزائم ⁽³⁾.

- فاسباسيان يقود الثورة ضد اليهود:

عهد نيرون -الذي تلقى بألم بالغ هزيمة غالوس وجنوده علي أيدي اليهود- إلى فاسباسيان القائد العسكري المحنك مهمة اخماد تمرد اليهود ضد السلطة الرومانية في القدس، حيث رافقه ابنه تيتوس (Titus)، مع مطلع عام 67م بدأ القائد فاسباسيان في تجهيز جيشه المكون من الفرقتين العاشرة والخامسة اللتان كانتا تتمركزان في سوريا، بالإضافة ثمان عشرة من الكتائب المساعدة الأخرى ⁽⁴⁾، (أنظر الملحق رقم 12) وقد تعززت هذه القوات بقوات حليفة من الملوك المتحالفين مع روما، كقوات سوهيموس الإمسي ملك مملكة إميسا من حمص السورية، وقوات أغريبيا الثاني، وقوات ملك الأنباط "مالك الثاني" ⁽⁵⁾. فسار بجيشه نحو الجليل أولاً فهاه خبره اليهود الذين سارعوا إلى الانفضاض من معسكر يوسيفوس والمرابطين في الجليل، قبل أن يروا جيش فاسباسيان ⁽⁶⁾، وتم إلقاء القبض على يوسيفوس

⁽¹⁾ سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 124.

⁽²⁾ يوسيفوس فلافيوس: اسمه يوسف بن متى (37م/98م) بزغ نجمه عام 64م عندما أرسله اليهود إلى روما للدفاع عن الاحبار الذين سجنوا بأمر من المفوض الروماني، وقد نجح في مهمته ثم عاد إلى القدس، واشترك في ثورة ضد الرومان انتهت باسره، إلا أن القائد الروماني فاسباسيان أنقذه وسرعان ما نال تقديره، وصحبه معه إلى روما وهناك كتب يوسف بن متى كتبه المعروفة، والتي من أهمها: أثار اليهود، والحروب اليهودية في سبعة أجزاء ثم كتابه تاريخ اليهود القديم في عشرين جزء منذ بدأ الخليقة حتى عام 66م. للمزيد أنظر: نواف عبد الكريم حمد، تاريخ الجزيرة العربية، الجندرية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2018، ص 77؛ عبد الله بن عبد الرحمان الجبار، يوسف بن متى والجزيرة العربية، ت، إبراهيم السايح، دار الملك عبد العزيز، مكتبة الملك فهد للنشر، المملكة العربية السعودية، 2017، ص 23 وما بعدها.

⁽³⁾ Joseph Flavius, Guerres des juifs contre les romains, traduit sur l'original grec par Mr. Arnold D'Andilly, II, XIX, P223.

⁽⁴⁾ Bloom, J., op. cit, p 116.

⁽⁵⁾ Bowersock, G.W., Roman Arabia, Cambridge, Harvard University Press, London, 1983, P72.

⁽⁶⁾ يوسف الدبس، تاريخ سوريا الديني والديني، ج 3، المرجع السابق، ص 263.

الذي راح يمتدح القائد فاسباسيان ونبأه بأنه سوف يكون هو الإمبراطور القادم، فاستبقاه عنده وأكرم نزله⁽¹⁾.

بعدها سیر فاسباسيان حملة عسكرية إلى "طبرية" التي دخلها دون مقاومة تذكر، ثم لحقتها حامية "ماجدالا"، ثم لحقتها كل حاميات الضفة الغربية للأردن.

- تيتوس يتسلم القيادة:

تلقى القائد تيتوس الأوامر من والده -الذي تم تنصيبه إمبراطورا خلفا لنيرون عام 68م-⁽²⁾، مهمة توجيه قواته المرابطة في الإسكندرية نحو أورشاليم (أنظر الملحق 13)، وقد أمده بالعدة والعتاد استغلت القيادة الرومانية الجديدة الأوضاع التي عاشتها أورشاليم؛ نتيجة اندلاع حرب أهلية بين التيار المتهلين من الشباب المسالمين الذين رأوا في ضرورة مسايرة روما واطماعها بدلا من الدخول في حرب غير متكافئة معها، وبين تيار الغيورين الممثل في "طائفة الزيلوت"⁽³⁾ وهم طائفة متدينة ومتشعبة بالمبادئ اليهودية المتطرفة والذين يؤمنون بضرورة مقارعة الوجود الأجنبي. نجح القائد الروماني "تيتوس" في تطهير تخوم أورشاليم (أنظر الملحق 14) من الثوار قبل أن يطبق حصاره الأخير عليها عام 70م و سحق ثورة طائفة من اليهود الذين آثروا الحرب على السلم والأمان اللذان قطعهما القائد "تيتوس" لليهود رغم محاولاته المتكررة لهم إكراما للأميرة "برنكي" اخت الملك أغريبيا الثاني والتي كانت في حقيقة الأمر معشوقته، وقد تمكنت جيوش القائد "تيتوس" في الأخير من الدخول إلى القدس (أنظر الملحق 15) بعد معارك طاحنة، كما أمر بتدمير هيكل اليهود في القدس عام 70م⁽⁴⁾، فاستحالت المدينة بذلك إلى خراب واسع، كما حضر على من تبقى من اليهود

⁽¹⁾ يوسف الدبس، المرجع نفسه، ص 264.

⁽²⁾ Flavius Josephe , opcit, livre IV , X , 4 , 6.

⁽³⁾ طائفة الزيلوت: اختلف الباحثون حول هذه الطائفة سواء من ناحية تاريخ ظهورها، وتسميتها ومعتقداتها وافكارها، ومن أهم التسميات التي أطلقت عليها: الغيورون، الجليليون، السيكاريون... إلخ وكلمة زيلوت كلمة يونانية وتعني الغيور، أي من اشتد غضبه. للمزيد أنظر: كمال الصليبي، البحث عن يسوع قراءة جديدة في الإنجيل، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، دت، ص 132.

⁽⁴⁾ سيد أحمد علي الناصري، الناس والحياة في مصر زمن الرومان 30ق.م-641م، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995، ص 31.

الدخول إليها⁽¹⁾، كما عين حامية رومانية على القدس، وأسر من تبقى من اليهود وبيعوا عبيدا في روما، وكانت أمنية اليهودي أن يشتريه من يرفق به فلا يرسله إلى حلقة المصارعة مع الوحوش التي اعتاد الرومان التلذذ بمنظرها وهي تلتهم الناس، وفي عهد الامبراطور الروماني هادريانوس 135م تم إعادة بناء مدينة القدس وأصبحت إذ ذاك مدينة وثنية أطلق عليها تسمية (Aelia Capitolina Colonia) تشير التسمية إلى أن الأرض مستعمرة رومانية، وقد سماها فيما بعد، العرب الفاتحين في عهد عمر بن الخطاب باسم "إلياء".

⁽¹⁾ سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 30.

خاتمة

ختاما لموضوع بحثنا هذا يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

أن فلسطين كانت وظلت مسكونة من عدة شعوب، تتالوا عليها أو تجاوروا فيها وهم اليبوسيون، الكنعانيون، الفلسطينيون، العماليق، العرب وغيرهم، وفي المقابل نجد أن الإسرائيليين لم يكونوا إلا مجموعات هامشية نمت وسيطرت لفترة قصيرة على منطقة محدودة من المرتفعات والتلال في فلسطين.

بعد التنقيبات الأثرية التي حدثت في ربوع منطقتنا العربية وفلسطين تحديدا كان الهم الرئيسي للباحثين الغربيين ذوي الخلفية التوراتية هو السعي إلى اثبات وتأييد ما ورد في نصوص العهد القديم، وأن كل ما ورد فيه حقيقي وصحيح لا يخالطه الشك، غير أن الأمور سارت على غير هوى هؤلاء الباحثين، إذ أثبتت أبحاث من تميز منهم بالموضوعية والنزاهة على دحض مزاعم نصوص التوراة وقصصها الأسطورية.

أن وعد الله لبني إسرائيل بأرض فلسطين كان مشروطا بإتباع أنبيائه والعمل بوصاياهم، وما دام أن اليهود كذبوا الأنبياء والرسل الذين بعثوا فيهم فإن هذا الوعد لم يعد ليستحقوه، بل أصبح الوعد لمن آمن وأتبع الرسل والأنبياء، وهم في حقيقة الأمر المسلمين الذين جاءوا من بعهدهم.

لم تكن فلسطين عبر تاريخها الحافل وطنا قوميا لبني إسرائيل، بل كانت على الدوام أرض غربة لآل إسحاق وآل يعقوب وقبلهم إبراهيم، وهذا باعتراف التوراة أصلا حيث ورد في سفر التكوين الاصحاح 21 في الآية 34 " وتغرب إبراهيم في أرض فلسطين أياما كثيرة".

لقد حان الوقت لجعل الرواية التوراتية تحت المجهر في دراسة علمية جادة معتمدة على علم الآثار كمصدر بعيدا عن أي تحيز حتى نستطيع غربة التاريخ الفلسطيني وكذا تاريخ بني إسرائيل في المنطقة.

لقد توصلت الأبحاث الاثرية أنه لم يكن للعبرانيين وجود حسب ما تدعيه التوراة من الفرات إلى النيل، فأقصى اتساع لهم لم يتجاوز جبل الكرمل وتل القاضي في شمال فلسطين وبئر السبع في صحراء التقب جنوبا، وهذا أقصى اتساع للمملكة العبرانية حتى في عهد داود وسليمان، وأن مملكتهم لم تكن سوى مملكة صغيرة ظهرت على تخوم مصر وبلاد الرافدين مستغلة انحسار القوتين العظمتين في ذلك الوقت وانشغالها بظروفها الداخلية ألا وهما القوة المصرية والآشورية.

أن مملكة داود وسليمان كانت وقتية آلت إلى الزوال وانتهت بالفوضى السياسية والدمار لأنها في حقيقة الامر حملت مع ميلادها بذور فنائها، فتاريخ اليهود لا يمثل إلا فترة قليلة الأهمية إذا ما قورن بتاريخ الامبراطوريات الكبرى في الشرق الأدنى القديم، فلا وجه للمقارنة بينهما، فحتى وهم في أقصى مجدهم إن كان لهم مجد، لم يستطيعوا فتح بلدان، ولم يقووا على فتح أقاليم جديدة، ولم يستطيعوا حتى تكوين دولة تقف على قدم المساواة مع غيرها من دول المنطقة.

أن العبرانيين لم ينتجوا أثرا حضاريا دالا عنهم، رغم احتكاكهم بغيرهم من شعوب الشرق، ولم ينالوا من حظ الحضارة، بل تمسكوا ببداوتهم فكانوا مقلدين لغيرهم.

أن العبرانيين هم الامة الوحيدة التي كتبت تاريخها بيدها من خلال كتابهم التوراة الذي كتب على يد بعض الكتبة المتأخرين أثناء وجودهم في السبي البابلي حوالي القرن السادس قبل الميلاد، فكانت بذلك كتاباتهم لتاريخهم ماهي الا مجرد اقتباسات لمأثورات الشعوب القديمة التي احتكوا بها، من السومريين والبابليين والآشوريين، فنسجوا من ذلك كله أسطورة اختلطت فيها شرائع الأنبياء، وحكمة الحكماء بحكايا الأبطال الخرافيين، وترجمات تكاد تكون حرفية لملاحم من أمم أقدم منهم، ثم زعموا أن ذلك التاريخ قد أنزل من السماء.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1- المصادر باللغة العربية:

1. القرآن الكريم
2. الكتاب المقدس، الأبوان بولس الفغالي وأنطوان عوكر، العهد القديم العبري، عبري عربي، الجامعة الأنطونية، المكتبة البوليسيا، ط1، لبنان، 2007.
3. ابن أبي العز الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق، جماعة من العلماء، تخريج، ناصر الدين الألباني، ط9، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987.
4. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي)، الكامل في التاريخ، ج1، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1985.
5. ابن العبري غريغوريوس المالطي، تاريخ مختصر الدول، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1958.
6. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، قصص الأنبياء، تحقيق، محمد أحمد عبد العزيز، ط5، مكتبة دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1996.
7. ابن كثير، البداية والنهاية، تح، أحمد بن شعبان أحمد، ج1، ط1، مطابع دار البيان الحديث، القاهرة، 2003.
8. ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تح محمد ناصر الدين الألباني، ط3، مكتبة المعارف، الرياض، 2008.
9. ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، لسان العرب، مادة عهد، ج3، ط1، دار بيروت للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 1968.

10. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر، ط1، ج1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1998.
11. أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، دط، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914.
12. أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992.
13. أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، دار الجيل، بيروت، لبنان.
14. الترمذي أبو عيسى، سنن الترمذي، ج2، تح، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 1996.
15. تقي الدين المقرئ، تاريخ اليهود وأثارهم في مصر، تحقيق عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة.
16. الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق، محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة.
17. الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بالمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 22، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة، (د. ت.).
18. الطبري أبو جعفر ابن جرير، تاريخ الملوك والأمم، ج1، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
19. الطرطوسي المالكي (أبو بكر محمد بن الوليد الفهري)، الكتاب المسبوك في نصائح الملوك، ط1، مطبعة الحرية، مصر، 1306هـ.

20. عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.
21. عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ط3، د ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
22. القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ج1، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1980.
23. لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمذاني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكواع الحوالي، ط1، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، 1990.
24. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، أخبار الزمان، ط1، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، 1938.
25. المقرئزي تقي الدين ، تاريخ اليهود وآثارهم في مصر ، 1442، دراسة وتحقيق عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة، (د. ت).

2- المصادر باللغة الأجنبية:

- 1- Diodore de sicile, Bibliothèque Historique, Trad, A. F. Milot, Paris, 1934, XXXIX, V, I.
- 2- Diodorus Siculus, trans,M. G, Russel, XX, London, 1967.
- 3- Flavius Josèphe, Antiquités Judaïques, trad, Joseph Chamonard,Ernest Leroux,1904,Paris , L XIV,IV, §79.
- 4-Flavius Josèphe, Guerres des juifs contre les romains, traduit sur l'original grec par Mr. Arnold D'Andilly, II,XIX.
- 5- Flavius Josephus, Life of Josephus, trad, Stev ,M , library of con gress, Brill, U. S. A, 2001, IX.

- 6- Flavius Josephus, the Antiquities of the Jews, Book V, chap 1, §2, Transl by William Whiston, London, 1737.
- 7- Hérodote, Histoire, trad, Larcher, Avec des notes, de Bochart, Wessling, Scaliger, Etc., Charpentier, Libraire-éditeur, 17, Rue de Lille, 1850, Paris, L. VII, 91
- 8- Plinius Secundus, Natural history, ed, H. Rackham, Cambridge, 1958, Bk VI, ch, 30-32.
- 9- Strabo, The Geography, trans by, Horace Leonard Jones, Cambridge, 1917-1949, B xvi, CH, 4:21-27
- 10- Tacitus, The Histories, tr., Clifford, H. L. C. L, 1968, II, 42, 7.

ثانياً: المراجع

1- المراجع باللغة العربية:

1. الكتب باللغة العربية:

1. الأب أي. بي. براناتيس، فضح التلمود تعاليم الحاخامين السرية، ط4، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1991.
2. إبراهيم الحارثي، الصهيونية من بابل إلى بوش، دط، دار البشير للثقافة والعلوم، دت.
3. إبراهيم رزقان وآخرون، مصر والشرق القديم، دط، دار مصر للطباعة، دت، القاهرة
4. إبراهيم فؤاد عباس، الآثار الفلسطينية إثبات لعروبة فلسطين تاريخاً وجغرافياً وحضارة، ط1، مؤسسة الدار للنشر والتوزيع، غزة، فلسطين، 2016.
5. إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ج2، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، طرابلس، ليبيا، 1973.
6. إبراهيم يوسف عبيد، الآثار الفلسطينية إثبات لعروبة فلسطين تاريخاً وجغرافياً وحضارة، ط1، 2016.

7. أبكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1967.
8. ابو المحاسن عصفور، المدن الفنيقية، دط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981.
9. أبو أنس المصري، حلمي بن محمد إسماعيل الرشدي، إرواء الضمآن بأخبار الشيطان ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2012.
10. أبو بكر فادية محمد، دراسات في العصر الهلنستي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998.
11. أبي معاذ مصطفى بن حسين آل عوض، الكتاب المفقود حقائق موثقة حول الكتاب المقدس، ط1، دار الإمام البر بهاري، القاهرة، مصر، 2014.
12. أحمد أرحيم هبو، معالم حضارة الساميين وتاريخهم في سوريا وبلاد الرافدين، ط1، دار القلم العربي، سوريا، 2003.
13. أحمد الدبش وآخرون، موجز تاريخ فلسطين، من أقدم العصور حتى مشارف القرن الحادي والعشرين، ط1، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، 2010.
14. أحمد أمين سالم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، لبنان، 1989.
15. أحمد إيبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه، دط، دار قنتيبة، دمشق، سوريا، 2006.
16. أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغبيني، العنصرية اليهودية وأثارها على المجتمع الإسلامي، ج1، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1998.

17. أحمد داود، تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحريّر، ط3، دار الصفدي، دمشق، 1997،
18. أحمد ربيع أحمد يوسف، أرض الميعاد بين الحقيقة والمغالطة مناقشة للنصوص التوراتية، دط، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية.
19. أحمد سوسة، أبحاث في اليهودية والصهيونية، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2003.
20. أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ط2، العربي للإعلان والنشر والطباعة، دمشق، سوريا دت.
21. أحمد سوسة، مفصل تاريخ العرب واليهود في التاريخ، ط1، الوراق للنشر، الأردن، 2014.
22. أحمد شلبي مقارنة الأديان - اليهودية -، ط2، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1967.
23. أحمد عبد الحميد يوسف، مصر في القرآن والسنة، ط خاصة، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2001.
24. أحمد عبد الوهاب، فلسطين بين الحقائق والأباطيل، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1972.
25. أحمد فخري، مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 ق م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2012.
26. أحمد لطفي عبد السلام، جذور العنف والعنصرية في الفكر الديني اليهودي وامتداده إلى الدولة الإسرائيلية، دط، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، 2001.
27. أحمد محمد خليفة، تاريخ الديانة اليهودية، دار الثقافة العربية، القاهرة.

28. أسد رستم، مخطوطات البحر الميت، ط2، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، 1990.
29. إسرائيل ولفسون، تاريخ اللغات السامية، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر، 1929.
30. اسماعيل راجي الفاروقي، أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ط2، دار التضامن للطباعة، القاهرة، 1988.
31. إسماعيل ناصر الصمادي، التأريخ التوراتي المزيف بين إسرائيل الكنعانية وإسرائيل العبرية وإسرائيل الصهيونية، ط1، دار علاء سوريا، دمشق، 2005.
32. اندري لومير، تاريخ الشعب العبري، ط1، عوידات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 1999.
33. باقر طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق للنشر، الطبعة الأولى، بغداد، 2009.
34. بخوش عبد القادر، نزعة الاختلاف في الفكر اليهودي (الفرق الدينية اليهودية)، جامعة الأمير عبد القادر، دن، دس.
35. بشار خليف، العبرانيون في تاريخ المشرق العربي، القديم مقاربات أركيولوجية تاريخية نفسية، دط، دت.
36. بطرس عبد الملك، جون الكساندر طمس، قاموس الكتاب المقدس، ط2، د. دار نشر، دس.
37. بلقاسم رحمان، حضارة العرب القديمة " الحضارة اليمنية نموذجاً"، دط، مطبعة بغيجة، قسنطينة، 2009.
38. بورتر هارفي، مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.

39. بولس عياد، الآراميون في مصر منذ بداية ظهورهم في القرن السابع ق. م حتى اختفائهم في ق 2 ق. م، دط، القاهرة، 1975.
40. بيومي مهران، بنو إسرائيل، ج2، دار المعرفة، القاهرة، 1999.
41. بيومي مهران، بنو لإسرائيل منذ دخولهم فلسطين حتى الشتات الروماني 135م، ج1 دط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، القاهرة، 1999.
42. تركي قاسم الزغبى، اليهود وأرض كنعان، دط، دار مؤسسة رسلان، سوريا، دمشق، 2012.
43. ثروت أنيس الأسيوطي، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين، دط، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1966.
44. ج. كازجيان، هيرودس الكبير سفاح بيت لحم وملك اليهودية، د. دار النشر، دت.
45. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج1، ط2، 1993.
46. جودت السعيد، أوهام التاريخ اليهودي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1998.
47. جوزيف صابر وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، ج4، ط3، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1992.
48. حامد عبد القادر، الأمم السامية، مصادر تاريخها و حضارتها، دط، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، 1981.
49. حبيب سعيد، أديان العالم، دط، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، دت، القاهرة.
50. حسن الباشا، الميثولوجيا الكنعانية والاعتصاب التوراتي، ط1، دار الجليل للطبع والنشر، دمشق، سوريا، 1988.

51. حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم تعريف بالقرارت اللغوية والحضارية عند العرب، ط2، دار القلم دمشق، والدار الشامية، بيروت، 1990.
52. حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، دط، مهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث الفلسطينية، القاهرة، 1971.
53. حسن ظاظا، القدس مدينة الله ام مدينة داود، مطبعة جامعة الإسكندرية، القاهرة، 1970.
54. حلمي محروس إسماعيل، الشرق العربي القديم وحضاراته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1979.
55. حياة إبراهيم محمد، نبوخذ نصر الثاني 604 - 562 ق.م، المؤسسة العامة للآثار والتراث، العراق، 1983.
56. خالد الدسوقي، دراسات في شعوب الشرق القديم، د. ط، مكتبة احمد حسن سعد، 1982.
57. خالد محمد غازي، سيرة مدينة القدس، ط1، دار الهدى للنشر، القاهرة، 1998.
58. خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2001.
59. خزعل الماجدي، تاريخ القدس القديم منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الاحتلال الروماني، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2016.
60. خليل، أحمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، الطبعة، 1 دار الطليعة، بيروت، 1986.
61. دعاء الشريف، التوراة تثبت أن فلسطين أرض عربية، ط1، دار أبعاد، 2016.

62. ربيع عبد الرؤوف الزواوي، اليهود المفسدون في الأرض تاريخهم الأسود مخططاتهم نفوذهم، المستقبل للإسلام، دط، دار الإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2002.
63. رجاء عبد الحميد عرابي، سفر التاريخ اليهودي - اليهود تاريخهم عقائدهم فرقهم نشاطهم سلوكياتهم الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2004.
64. رشاد الشامي، اليهود واليهودية في العصور القديمة بين وهم الكيان السياسي وأبدية الشتات، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001.
65. رشاد الشامي، رؤى إسرائيلية في إشكاليات التاريخ والفكر الديني اليهودي، ط1، الدار الثقافي للنشر، القاهرة، 2007.
66. رشاد عبد الله الشامي، إشكالية اليهودية في إسرائيل، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997.
67. رمضان أحمد محمد، إسرائيل ومصير الإنسان المعاصر دراسة في سيكولوجية التاريخ اليهودي وعلاقته بفلسفة التاريخ الإنساني العام، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، 1987م.
68. زبيدة محمد عطا، اليهود وتجارتهن في مصر الإسلامية، دط، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2007.
69. زكي شنودة، المجتمع اليهودي، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، دت.
70. زهير عبد المجيد الفاهوم، فلسطين ضحية وجلادون، ط2، شمس للنشر والاعلام، القاهرة، 2012.

71. زياد منى، مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، ط1، بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت، لبنان، 2000.
72. سامي حلاق، مجتمع يسوع تقاليده وعاداته، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1999.
73. سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، 1979.
74. السحمراني أسعد، من اليهود غل الصهيونية، ط2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2000.
75. سعد المرصفي، أسطورة الوطن اليهودي، ط1، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1992.
76. سعد صائب، دور سوريا في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1994، دمشق، سوريا.
77. سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في اليهودية والنصرانية، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997.
78. سلوى ناظم، الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، دط، د. دار نشر، دت.
79. سليم حسن، مصر القديمة، ج7، دط، مطبعة جامعة فؤاد الأول، مصر، 1952.
80. سليم حسن، مصر القديمة، ج9، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001.
81. سليمان ناجي، اليهود عبر التاريخ، ط1، دار قتيبة، 2007.
82. سنقراط داود عبد الغفور، جذور الفكر اليهودي، ط2، دار الفرقان، عمان، الاردن، 1984.

83. سيد أحمد علي الناصري، الناس والحياة في مصر زمن الرومان 30ق. م-641م، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995.
84. سيد القمني، النبي موسى واخر ايام تل العمارنة، ط1، دت.
85. سيد طنطاوي، بنو اسرائيل في القران والسنة، ط2، دار الشروق، مصر، 1968،
86. سيد فرج راشد، القدس عربية إسلامية، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1986.
87. سيد محمد عاشور، اليهود في عصر المسيح، دار القلم، دمشق، د، ت.
88. شريف حامد سالم، نقد العهد القديم دراسة تطبيقية على سفر صمويل الأول والثاني، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2011.
89. الشيخلي عبد القادر، المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول الوجيز في تاريخ العراق القديم، كلية التربية، جامعة بغداد، 1990.
90. صالح عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ج.1.
91. صوفي حسن أبو طالب، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، دط، منشورات جامعة القاهرة، دت.
92. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الوراق للنشر المحدودة، بغداد، 2009.
93. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج2، ط1، دار الوراق للنشر، بغداد، 2011.
94. ظفر الاسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، ط1، در النفائس، بيروت، 1973.

95. عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ج1، ط5، مطبعة المعارف، القدس، 1999.
96. عباس فضل حسين، القصص القرآني إichأؤه ونفحاته، ط2، دار الفرقان، عمان الأردن، 1992.
97. عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2006.
98. عبد الرزاق سيد سليمان، إسرائيل بين الفناء والوجود ودعم الشتات اليهودي، دراسة نقدية عبر الأدب الروائي العبري، ط2، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، 2017.
99. عبد الستار قاسم، إبراهيم عليه السلام والميثاق مع بني إسرائيل في التوراة والإنجيل والقرآن، ط1، الجمعية الفلسطينية للشؤون الدولية، القدس، فلسطين، 1991.
100. عبد السميع عماد علي، الإسلام واليهودية، دراسة مقارنة من خلا سفر اللاويين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.
101. عبد العزيز صالح، الأسرة في المجتمع المصري القديم، ط1، دار القلم، القاهرة، 1961.
102. عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية، 2012.
103. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، هل لإسرائيل حف تاريخي في فلسطين، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
104. عبد الفتاح مقلد، الكنعانيون وتاريخ فلسطين القديم، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2003.

105. عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1993.
106. عبد اللطيف عبد الحمان حسن، أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة، ط1، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 2014.
107. عبد الله التل، خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية، دار القلم، مصر، 1964.
108. عبد الله محمد أبو علم، أسماء ومسميات فلسطينية وعربية وأجنبية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، 2017، الأردن.
109. عبد الله محمد أبو علم، اليهود لا موثيق ولا عهود، دط، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن.
110. عبد الملك بن عبد الله، شفاء الغليل في ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، ط3، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1989.
111. عبد الوهاب عبد السلام طويلة، مغالطات اليهود وردّها من واقع أسفارهم، دط، دار القلم، دمشق، سوريا، دت.
112. عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، ج3، 4، ط، مزينة ومنقحة، دار الجليل للنشر، عمان، الأردن، 2016.
113. عدنان جندي، الفن العموري، دط، دت.
114. عرب معن، صور حاضرة فينيقيا، دار المشرق، ط1، بيروت، لبنان، 1970.
115. عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، ط1، دار عمّار، عمان، الأردن، 1997.

116. عصام الدين حنفي ناصيف، موسى وفرعون بين الأسطورة والتاريخية، ط1، دار العالم الجديد، القاهرة، 1975.
117. عصام سخيني، فلسطين والفلسطينيون، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 2003.
118. عصام موسى قنبي، نقاط على الحروف موطن اليهود القدماء والمعاصرون، ط1، دار العوالم للطباعة والنشر، سوريا، دمشق، 2009.
119. عقراوي ثلماستيان، المرأة دورها ومكانتها في العراق القديم، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1978.
120. علاء حسن إسماعيل، الأرض المفقودة، د. ط، دار دؤن، د. ت.
121. علي أحمد سليم، تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل التاريخ حتى نهاية العصر الأموي، ط3، جوهرة الشام، دمشق، 1994.
122. علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، الطبعة الثانية، بغداد، 1993.
123. علي سري محمود المدرس، العهد القديم دراسة نقدية، ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006.
124. علي شحلات، عبد العزيز الياس الحمداني، مختصر تاريخ العراق، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.
125. عماد عبد العظيم أبو طالب، تاريخ العراق القديم، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014.

126. عماد علي عبد السميع حسين، الأسلام واليهودية دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004.
127. عمر الالح البرغوثي و خليل طوطح، تاريخ فلسطين، دط، مكتبة الثقافة الدينية، الاسكندرية، مصر، دت.
128. عواطف بنت أديب بن علي سلامة، أهل مدين دراسة للخصائص والعلاقات 1100-1350 ق. م، دط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2001.
129. غطاس عبد الملك الخشبة، رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج، دط، دار الهلال، القاهرة، دت.
130. فتحي محمد الزغبى، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، مصر، 1994.
131. فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ط3، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2003.
132. فراس سواح، آرام دشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1995.
133. فراس سواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ط3، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، 1997.
134. فرج الله عبد الباري، اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، د. ط، دار الأفاق العربية، د. ت.

135. فهد حجازي، الوظيفة اليهودية من أرتحششتا إلى بلفور، ط1، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2016.
136. فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية، دط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دت.
137. القديس كيرلس الإسكندري، الكنوز في الثالوث والمساوي، ط1، مؤسسة القديس أنطونيوس المركز الأرثوذكسي للدراسات، القاهرة، 2011.
138. القس صمويل يوسف، المدخل إلى العهد القديم، ط2، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 2003.
139. القمص روفائيل البرموسي، الحياة اليهودية بحسب التلمود، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، 2003.
140. كمال الصليبي، البحث عن يسوع قراءة جديدة في الإنجيل، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، دت.
141. كمال سعبان، اليهود تاريخ وعقيدة، ط1، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، 1981.
142. ليلى حسن سعد الدين، مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا، ط1، دار الفكر، الأردن، عمان، 1984.
143. ماجد عبد الله الشمس، الحضارة والميثولوجيا في العراق القديم، دط، دار رسلان، سوريا، 2017.
144. ماجد عزت إسرائيل، أرمن مصر أرمن فلسطين بعيدا عن السياسة، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017.

145. متى المسكين، تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين، ط1، مطبعة دير القديس أنبا مقار، القاهرة، 1997.
146. محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، طبعة مزيّدة ومنقّحة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، لبنان، 2012.
147. محسن نعيم، نبوات ورؤى (النبوات في الكتاب المقدس بين التحقيق والرسالة دراسات في النصوص النبوية والرؤية في الكتاب المقدس)، ج2، دار الثقافة، القاهرة، 2011.
148. محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، مطبعة المصري، القاهرة، 1968.
149. محمد آل يوسف حسين، أصول العرب البابلية مبتدأ العاربة وخبر المستعربة دراسة تاريخية توضح الجذور البابلية للأمة العربية، ط1، دار الرافدين، بيروت، لبنان، 2013.
150. محمد الخطيب، حضارة إيران وآسيا الصغرى في العصور القديمة، دط، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2013.
151. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، الدار التونسية للنشر، 1984.
152. محمد الطيب النجار، تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن والسنة النبوية، دط، دار الاعتصام، القاهرة، دت.
153. محمد العضايلة، القدس بوابة الشرق الأوسط، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007.

154. محمد برهام المشاعلي، إسرائيل من أين إلى أين، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008.
155. محمد بن بسطام الخوشابي، عرائس القرآن ونفائس الفرقان وفرادس الجنان، - قصص الأنبياء-، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.
156. محمد بن علي بن محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين عرض ونقد، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 2003.
157. محمد بيومي مهران، تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، مصر، 1990.
158. محمد خليفة حسن احمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، د ط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.
159. محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، دط، دار الثقافة العربية، القاهرة، 2002.
160. محمد سيد طنطاوي، بنو اسرائيل في القرآن والسنة، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2000.
161. محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ج1، دط، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، دت.
162. محمد علي البار، القدس والمسجد الأقصى عبر التاريخ، ط2، دار الفقيه، القاهرة، 2013.
163. محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1990.

164. محمد علي، حضارة الفرس، ط1، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، 2016.
165. محمد عوض الهزايمة، الأيديولوجيا اليهودية - دراسة في أيديولوجية مسيرة اليهود التاريخية والإعتقادية، دط، دار الحامد، عمان، الأردن، 2009.
166. محمد هادي معرفة، شبهات وردود حول القرآن الكريم، ط4، منشورات ذوي القربى، قم، إيران، 2009.
167. محمود أحمد المراعي، إشعيا نبي بني إسرائيل وأزمة الكيان اليهودي القديم، ط1، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1992.
168. مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج1، القسم1، دار الهدى، القاهرة، مصر، 1991.
169. مصطفى زرهار، مقاربات في دراسة النص التوراتي، سفر ارعون نموذجاً، ط1، دار صفاء للدراسات والنشر، سوريا، دمشق، 2012.
170. مصطفى كمال عبد العليم وسيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1995.
171. مصطفى كمال عبد العليم، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، ط1، مكتبة القاهرة الحديثة، 1968.
172. مصطفى محمد الفار، مدينة اللد موقعا وشهرة وتاريخا ونضالا، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2009.
173. مفتاح محمد سعد البركي، الصراع القرطاجي الإغريقي من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق. م، مجلس الثقافة العام، الجماهيرية العربية الليبية، 2008.

174. منصور محمد أبو المحاسن، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987.
175. ميخائيل مكسي، القدس عبر التاريخ دراسة جغرافية تاريخية أثرية للمدينة المقدسة، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1972.
176. ناصر مكارم شيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج10، ط1، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، العراق، دت.
177. نبيلة محمد عبد العليم، معالم العصر التاريخي في العراق القديم، دار المعارف، القاهرة، 1983.
178. نجيب زينب، التاريخ الحقيقي لإسرائيل منذ نشأتهم الأولى وحتى الآن، ط3، دار الهادي، بيروت لبنان، 2007.
179. نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ج2، ط3، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1962.
180. نزار صميده، النصوص الرؤية الكتابية مجالاتها وتداعياتها على الفكر الديني الكتابي قديما وحديثا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.
181. نزيه الشوفي، التلفيق الصهيوني وإغتيال التاريخ كشف الحقائق التاريخية، ج2، دط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003.
182. نزيه الشوفي، كشف الحقائق التاريخية التلفيق التوراتي ولوعي الوثني، ط2، مزيدة ومنقحة، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات، دمشق، 1998.
183. نضال عباس دويكات، تيه بني إسرائيل بين القرآن والتوراة دراسة مقارنة، دط، د. دار النشر، 1429هـ.

184. نعوم بك شقير، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، ط1، دار الجليل، بيروت، لبنان، 1991.
185. نواف عبد الكريم حمد، تاريخ الجزيرة العربية، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2018.
186. هارفي بورتر، مختصر التاريخ القديم، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.
187. هارون يحي، موسى عليه السلام حياته وجهاده كما يصورها القرآن الكريم، دط، دت، دن، د سنة. ن.
188. هاني عبد العزيز جوهر، اليهود في فلسطين في العصرين البطلمي والسلوقي المكابيون: دراسة في الناحية الدينية والسياسية، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 2005.
189. هشام أبو حاكم، تبيان الحدود بين تاريخ بني اسرائيل وتاريخ اليهود في العصور القديمة، ط1، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 2014.
190. هشام أبو حاكم، أوهم اليهود في الوطن الموعود، دار الإسرائ، عمان، الأردن.
191. هشام محمد أبو حاكم، الأساطير المؤسسة للتاريخ الإسرائيلي القديم، ط1، دار الجليل، عمان، الاردن، 2006.
192. هشام محمد أبو حاكم، مسجد داود وليس هيكل سليمان، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، 2008.
193. ولفونسون، تاريخ اللغات السامية، ط1، مطبعة الإعتدال، القاهرة، مصر، 1929.
194. وليام ماكdonald، تفسير الكتاب المقدس للمؤمن العهد القديم، ج4، (أشعيا. ملاخي)، دار الاخوة للنشر، 2018.

195. الياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949م، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت لبنان، 1996.
196. ياسين سويد، التاريخ العسكري لإسرائيل من خلال كتابهم، ج1، ط3، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 2007.
197. يحيى وزيري، التطور العمراني لمدينة القدس الشريف، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، 2005.
198. يوسف الدبس، الموجز في تاريخ سوريا، دط، مؤسسة هنداوي سي أي سي، القاهرة، مصر، 2017.
199. يوسف الدبس، تاريخ سوريا الديني والديني، ج3، دار نظير عبود، د، دار نشر، دت.

200. يوسف الدبس، تاريخ سوريا، ج2، دط، دار نظير عبود، دت.

ب. الكتب المترجمة

1. الأب ديلي، تاريخ شعب العهد القديم، ت، الأب جرجس ماروني، ط3، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1961.
2. الأب مايكل برير، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني، ت، أحمد الجمل، ط2، قدس للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2004.
2. أبراهام ملومات، حايم تدمور، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ت، رشاد الشامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001.

3. أدين شتاينسالتز، مدخل إلى التلمود، ت، فينيتا الشيخ، ط1، دار الفرقد، دمشق، سوريا، 2006
4. إسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ت، حسن حنفي، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005.
5. إسرائيل فنكلشتاين، نيل إشير سلبيرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ت، سعد رستم، دط، صفحات للدراسات والنشر، دت.
6. امانويل فليكوفسكي، عصور في فوضى، ج2، ت، أحمد عمر شاهين وآخرون، ط1، العروبة للدراسات والأبحاث، القاهرة، 2002.
7. أندرو كولينز كريس أوجليفي هيرالد، توت عنخ آمون مؤامرة الخروج، ت، رفعت السيد علي، ط1، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.
8. تريغوربرايس، ت، رفعت السيد علي، رسائل عظماء الملوك في الشرق الأدنى القديم، ط1، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة.
9. توماس. ل. طومسن، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ت، صالح علي سوداح، ط1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1995.
10. ج. م. ن. جفريز، فلسطين إليكم الحقيقة، ج1، ت، أحمد خليل الحاج، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مصر، 1971.
11. جان بوتيرو، ولادة اله التوراة والمؤرخ، ت، جهاد الهواش، وعبد الهادي عباس، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة، 1999.
12. جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ط1، ت، عادل زعيتر، مكتبة النافذة، 2009.

13. جون . أ. هامرتن، تاريخ العالم، مج2، ت، ادارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت.
14. جيمس هنري برستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى العصر الفارسي، ت، حسن كمال، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1990.
15. جيمس هنري برستيد، انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، ت، أحمد فخري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.
16. جيمس و. إرماتنغر، زمن العهد الجيد، ت، ثائر ديب، ط1، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، 2011.
17. حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ت، محمد نورا لدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي، ط1، الهيئة العامة للشؤون الأميرية، القاهرة، 2013.
18. دونالد ريدفورد، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة، ت، بيومي قنديل، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2015.
19. ديتيان مارسيل، اختلاق الميثولوجيا، ت، مصباح الصمد، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008.
20. روبنسن تيودور . ه، إسرائيل في ضوء التاريخ تاريخ العالم، ترجمة عبد الحميد يونس، مج2، النهضة المصرية، القاهرة، د. ت.
21. روجيه جارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ت قصي أتاسي و ميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1991.

22. س. سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون، ت، حسان ميخائيل اسحق، ط2، دار علاء الدين، سوريا، 2007.
23. سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ت، السيد يعقوب يكر، د ط، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968.
24. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت، أحمد الخراط، ج2، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1406هـ.
25. شلمو ساند، إختراع أرض إسرائيل، ت، أنطوان شلحت و أسعد زعبي، طبعة خاصة بالعالم العربي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2014.
26. عبد الله بن عبد الرحمان الجبار، يوسف بن متى والجزيرة العربية، ت، إبراهيم السايح، دار الملك عبد العزيز، مكتبة الملك فهد للنشر، المملكة العربية السعودية، 2017.
27. غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ت، عادل زعيتر، ط1، مكتبة النافذة، القاهرة.
28. غوستاف لوبون، سيكيولوجية الجماهير، ت، هاشم صالح، ط1، دار الساقى، بيروت، لبنان، 1991.
29. فروهاجن، هانس، فلسطين والشرق الأوسط بين الكتاب المقدس وعلم الآثار، ت، سمير طاهر، ط1، الكتب خان للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2017.
30. فلاديسلاف باياس، حمّام البلقان، ت، تبيح عادل عبد السميع، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2021.

31. فليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج1، ت، جورج حداد وعبد الكريم رافيق، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دت.
32. فليب حتي، لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور إلى عصرنا الحاضر، ترجمة، أنيس فريحه، مراجعة نقولا زيادة، الدار الثقافية، بيروت، 1959م.
33. كارين أرمسترونج، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ت، فاطمة نصر ومحمد عناني، دط، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، 1998.
34. كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ت، عفيف الرزاز، ط6، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت لبنان، 1997،
35. كيث ويتلام، إختلاق إسرائيل القديمة، ت، سحر الهندي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.
36. كيث ويتلام، توماس طومسون، وآخرون، الجديد في تاريخ فلسطين القديمة، ت، عدنان حسن وزياذ منى، ط1، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2004.
37. لورناس أوليفانت، أرض جلعاد ورحلات في لبنان وسوريا والأردن، ت، أحمد عويدي العبادي، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004.
38. مازيل، جان، تاريخ الحضارة الفنيقية الكنعانية، ت، ربا الخش، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 1998.
39. مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ترجمة متن التلمود، (المشناة) ط1، دار طيبة للطباعة، القاهرة، مصر، 2008.
40. مؤلف مجهول، التوراة تاريخها وغاياتها، ت، سهيل الديب، ط2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1977.

41. هانس فروهاجن، فلسطين والشرق الأوسط، ت، سمير طاهر، ط1، دار الكتب خان، القاهرة، 2017.
42. ول وايرل ديورانت، قصة الحضارة، ت، محمد بدران، ج2، مج1، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، دت.
43. ول وايرل ديورانت، قصة الحضارة، ج3، مج3، ت، محمد بدران، دار الجيل، بيروت، لبنان، دت.
44. يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ت، مرقص داود، د، دار نشر، دت.
45. يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس اللاتينية، ت، عبد الحفيظ عبد الخالق البناء، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 2001.

2- المراجع باللغة الأجنبية:

- 1- Aden. C. Review of The Emergence of Early Israel in Historicol. Perspective. By,R. B. Coote and K. W, Whittellam and the Archaeology of The Israelite Settlement,By,I. Finkelstein,American Journal of Archaeology,1989.
- 2- Adolphe. Lods. Israëlfromeits Beginning to the Middle of the Eight Century. London 1962.
- 3- Albrieght. W. f , The Biblical period from Abraham to Ezra , New York, 1963.
- 4- Albright ,W. F, Archaeologiy and the religion of Israel, fifth ed, the John Hopkins Press, Baltimore, 1968.
- 5- Albright, W. F. From the stone Age to cristianity, second ed, The Johns Hopkins Press,1946.
- 6- Albright, William F. Archaeology and thereligion of Israel ,John hopkins,Press,1942.
- 7- Andrdre Chouraqui, L'univere de la Bible, tom1, Ed,Lidis, Paris, 1983.

- 8- Andrea M. Berlin ,Archaeological Sources for the History of Palestine Between Large Forces Palestine in the Hellenistic Period, Publication of American schools of Oriental Research,Vol 60, N1, 1997.
- 9- Ann E. Killebrew and Gunnar Lehmann, The Philistines And Other “Sea Peoples” inText And ArchaeologySociety of Biblical Literature, Atlanta, Georgia, 2013.
- 10- Barnavi, Elie,Histoire universelle des juifs: de la genèse au XXIe siècle,Edit,Hachette Littératures, Paris, 2002.
- 11- Baron Salo Wittmayer, A Social And Religious History Of The Jews, Vol. 1, Ancient Times, Part1, Columbia University Press, New York, 1952.
- 12- Bloom. J. ,The Jewish Revolts Against Rome,McFarland Company, North Carolina ,2010.
- 13- Bowersock,G.W. ,Roman Arabia,Cambridge,Harvard University Press, London,1983.
- 14- Bowman ,R. A , Arameans ,Aramic and the Bible, Journal of Near Eastern Studies,VII, Published by: The University of Chicago Press,1948.
- 15- Bright John, A History of Israel, Printed By Offset In Great Britain, Published by SCM, London, 1966.
- 16- Brinkman. J. A. Afurther note on the date of the battele ofQarqar and neo-Assyrian chronology,V30, N3, Chicago Press, 1978.
- 17- Budge E. A. W. A Guide To The Babylonian and Assyrian Antiquities, London, 1922.
- 18- Charles Gates, The archaeology of urban life in the Ancient Near East and Egypt, Greece, and Rome, first pub,byRoutledge, London,2003.
- 19- Edward lipinski ,The Aramaeans their Ancient History, Culture, Religion, ed,Leuven, Sterling Virginia,2000.
- 20- Edwyn, Robert Bevan, The House of Seleucus, Vol II, bub , Edward ,Arnold,London,1902.
- 21- Eric Cline, the Ancient World Civilisations of the Near East and South West Asia, Vol 4, The George Washington University, 2007.
- 22- Foucounau, J, Les Peuples de la mere et leur Histoire, Ed, L’harmattan, Paris, 2003.

- 23- G, Maspero, Histoire ancienne des peuples de l'orient, troisième éditions, Paris, 1921.
- 24- George. J. Brook and Jesper Hogenhaven. The Mermaid and the Partridge. Essays from Cave Four. Leiden Brosto. 2011.
- 25- Goggins, R. , Samaritans and The Jews, Oxford ,1975 .
- 26- Grayson, A. K, "Assyria: Tiglath-pileser III to Sargon II 744-705 B. C",CAH. Vol. III, Cambridge, 1991.
- 27- Grazel, S, Ahistory of the jews, puplished by, publishing Group, U. SA , 1966.
- 28- Guignebert, Charles, Le Monde juif vers le temps de Jésus, Paris, 1935.
- 29- H. G. Wells, The Outline of History, cassel and Co,Ltd, Twelfth Edt, London,1951.
- 30- H. R. Hall, The Ancien History of the Near East from the Earliest Times to the Bttel of Salamis, London, 1936.
- 31- Hastings, James, Dictionary of The BIBLE , Revised Edition by Frederick C. Grand and H. H. Rewles, Charles scribner's sons, New York, 1963.
- 32- Heinrich Graetz, Histoire des juifs de la sortie d'Egypte (1400 A. C) à L'exode bayblonien (534 . A. C) trad. de l'allemand par, M. Wogue, tome 1°, Levy libraire, éditeur,1882.
- 33- Helfield,M , Ant,iochus IV and Jews of Palestine,Ontario,Canada, 2004.
- 34- Ian shaw And Robert Jameson, Dictionary of Archaeology firstpublished, Malden Massachusetts, U. S. A ,1999.
- 35- James. B. Pritchared, The AncientNear East An Anthology Of Texts And Pictures, Princeton UniversityPress, London, 1985.
- 36- Lods Adolphe, Israel From Its Beginning To The Middle Of The Eight Century Translated By S. H. Hooke, Routledge&Kegan Paul Ltd. , London,4th impression, 1962.
- 37- Louis H. Feldman,Gohei. Hata, Josephus, The Bible and history, Leiden. E. J. Brill. 1989.
- 38- Luckenbill (D. D). Ancient Records of Assyrian and Babylonia (ARAB), Vol. 1. No. 610-611 Chicago, 1926

- 39- Luckenbill, (D. D), Ancient Records of Assyrian and Babylonia (ARAB), Chicago, 1927 Vol. 2, No 772.
- 40- Luke, Sir Henry and Edward Keith Roach, Handbook Of Palestine and Transjordan, 3rd, Ed, Macmillan, And, CO LTD, London,1934.
- 41- Markholm Otto, Studies in the Coinage of A ntiochus IV of Syria, published by Ejnar Munksgaard, Copnenhagen, 1963.
- 42- Milliard (A. R); Tadmor (H), "Add-Nirrari III in Syria", Vol35, N1, Pub, British Institute for the study of Iraq, 1973.
- 43- Montgomery, James, Arabia and the Bible,University of Pennsylvania, Pres, Philadelphia, 1934.
- 44- Olmstead, (A. T), History Of Palestine And Syria, New York, 1931.
- 45- Paul Downs, B. A, Phoenicia, Philistia, and Judah as Seen Through the Assyrian Lens, Master of Arts degree in the Graduate School of the Ohio State University, 2015.
- 46- Paulus, S, The Second Temple Period, Yad Izhak Ben Zivi press, Al Quds, 2002.
- 47- Peter F.E, History of the Near East from Alexander the Great to the triumph of Christian, London, 1972
- 48- Peter Schäfer, The History of the Jews in the Greco-Roman World, published by Routledge London, 2003.
- 49- Peter. James, Centuries of Darkness, A Challenge to the Conventional Chronology of Old World Archaeology, published by Jonathan Cape, London, 1991.
- 50- Pfeiffer. Charles. F, An Outline of Old Testament History, Chicago, moody Press, 1981.
- 51- Reynold. A. Nicholson,M. A. A,literayHistory of the Arabes, London, 1907.
- 52- Richard R. Losch, All the People in the Bible, An A-Z Guide to the Saints, Scoundrels, and other Characters in scripture , grand Rapids, Michigan, Cambridge,U. K,2008.
- 53- Robinson, Theheodor,H, History of Hisrael, vol I , Oxford ,1957.

- 54- Roller, D,W,The Building Program of Herod the Great, Berkeley, University of California Press,1998.
- 55- Sarna,N ,M, Exploring Exodus The Heritage of Biblical Israel, Schocken Books, New York, 1986.
- 56- SayedAbd-Alim, jornal of Faculty of Arts ad Humanits , Suez Cnal University, V4,2013.
- 57- Schneider. Wolf, Babylon is Evry Where, London, 1963.
- 58- Shigeo YAMADA, Incriptions of Tiglath-pileser III, Chronographic-Literary Styles and the King's Portrait, ORIENT, Volume49, The Society for Near Eastern Studies in Japan2014.
- 59- Siker,M. ,Between Rome and Jerusalem , 300 years of Roman-Judean relations,New York,2001.
- 60- Smallwood,E,The Jews Under Roman Rule From Pompey to Diocletian,Leiden, 1976.
- 61- Sorek, S. ,The Jews Against Rome,Continuum press, New York,2008.
- 62- Sorrells,W. ,The Jewish Revolts Against the Seleucid and Roman, Empires, Kansas, 2004.
- 63- Tadmor (H), The Inscription of Tiglath pileser III, King of Assyria, 1994.
- 64- Tcherikover,Vector, Hellenistic civilization and the jews, trans, S. Applebaum, Atheneum, New York, 1979.
- 65- Trever,A, Ahistory of Ancient Civisation ,Vol1, NewYork,1939.
- 66- Trevore Bryce, Ancient Syria, A three Thousand Year History, First edit, Oxford Universsity Press in the UK, 2014.
- 67- Walter Brueggeman, An Introduction te the Old Testament , The canon and Christian Imagination, first Ed, Louis ville,Kentucky, West mister John Knox, Press, 2003.
- 68- Wells, H. G, The Outline Of History, Cassel and Co, Ltd, Twelfth Edt, London, 1951.
- 69- Whinston. W, The Life and Works of Josephus, Book ii, chap. xi, Philadelphia, 1957.
- 70- Wright , G. E Route of Exdous, in the interpreter's Dictionary of the bible ,Vol2, Edt, by Buttrick, G. A Abingdon Press, New York, Nachville,1962.

71- Yoder, J., Representatives of Roman Rule, Roman Governors in Luke Acts, University of Notre Dame, Indiana, 2012.

ثالثاً: المجلات والموسوعات:

1. إبراهيم أبو راميس، هيروديوم دراسة تاريخية أثرية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، عدد 28، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2012.
2. حسين بن علي الزومي، الفتوحات في عهد يوشع بن نون عليه السلام، دراسة تاريخية نقدية، مجلة الراسخون، مج 1، العدد 1، ص 14، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2015.
3. أسامة عدنان يحي، العبادات والطقوس في الديانة اليهودية، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد 23، عدد 97، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، 2017.
4. أنمار أحمد محمد، نبي الله يوشع بن نون في ثنايا أسفار العهد القديم، مجلة الجامعة الإسلامية، عدد 23، دت، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
5. أنمار عبد الجبار قاسم، صراعات الممالك اليهودية في فلسطين في الألف الأول ق. من مجلة مداد الأدب، كلية الآداب الجامعة العراقية، عدد خاص، 2019.
6. أنور محمد زناتي، القدس بين إقرار النصوص التوراتية وكلمة التاريخ المنهجية، مجلة كان التاريخية، العدد 6، 2009، متاحة على الخط:
https://kan.journals.ekb.eg/article_100249_8a7f209c162ef49027211085389a95a8.pdf
7. أنور محمود زناتي، القدس بين إقرار النصوص التوراتية وكلمة التاريخ المنهجية، مجلة كان التاريخية، الإلكترونية العدد 6، 2009.
8. حسن طوكان عبد الله، موقف القادة والباطرة الرومان من اليهود (66ق. م-138م)، مجلة جامعة ذي قار، مجلد 13، عدد 3، 2018.

9. حسين سيد نور الأعرجي، مؤيد مجيد محمد الكعبي، نتائج التهجير القصري في العراق القديم الدولة الآشورية نموذجاً، مجلة كلية التربية، عدد28، جامعة واسط، بغداد، العراق.
10. الحضارة المصرية في مصادر بلاد الشام وبلاد النهرين في عصر الانتقال الثالث،
11. خضير سلمان المحمدي، يهود فلسطين في ظل الإمبراطورية اليونانية، مجلة لارك Polybius, Histories,V للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، عدد33، جامعة واسط، العراق، بغداد، 2019.
12. خليل اقطيني، مملكة ماري من اعظم حضارات العالم القديم في حوض الفرات، مجلة كان التاريخية، العدد 4، 2009.
13. رولان دوفو، بنو إسرائيل مؤسساتهم وتشريعاتهم في ضوء العهد القديم، مج1، دط، ت، عبد الوهاب علوب، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، عدد42، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 2010.
14. سامي سعيد الأحمد، الدولة الكلدانية زمن نابوبلاصر ونبوخذ نصر، مجلة المؤرخ العربي، عدد29، الاتحاد العام للمؤرخين العرب، بغداد، 1986.
15. سعد عبود سمار، أثر الميثولوجيا الدينية في السياسة التوسعية للدولة الإخمينية(559-330ق.م)، مجلة حضارات الشرق الأدنى القديم، عدد2، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق، مصر، 2016.
16. سلطان محيسن، دمشق من المستوطنة إلى المملكة، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، عدد خاص عن دمشق عاصمة الثقافة العربية، 2008.
17. سيد عبد العظيم، الحضارة المصرية في مصادر بلاد الشام وبلاد النهرين في عصر الانتقال الثالث، مجلة جامعة قناة السويس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 4، 2013.

18. صالح الرقيب، ليس لليهود حق ديني في فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية، مج6، العدد1، 1998.
19. سامي سعيد الاحمد، هيرودوتس وكتاباتة، مجلة المؤرخ العربي، عدد27، مطبعة دار القادسية، بغداد، 1986.
20. نزار مصطفى كحلة، غزوات شعوب البحر، مجلة افاق ثقافية، العدد4، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2017.
21. طعمة وهيب خزل، المملكة الآشورية من عصر القوة إلى الانهيار 722-610 ق. م، مجلة التراث العلمي العربي، عدد2، بغداد، العراق، 2015.
22. عباس فرج، حملات الملك الآشوري شلمنصر الثالث، (824/858ق. م) على سوريا ومحاولات السيطرة عليها، مجلة الدراسات والبحوث، عدد 638، 2016.
23. عبد الحميد أحمد أبو سلة، الكنعانيون والعبرانيون و صراع المسميات، المجلة العلمية لكلية التربية، مج1، عدد10، جامعة مصراتة، ليبيا، 2018.
24. عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 1975.
25. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج3، ط1، دار الشروق، مصر، 1999.
26. عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج5، ط1، القاهرة، 1999.
27. عماد خضير سلمان المحمدي، اليهود في فلسطين في العصر الروماني، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، جامعة الأنبار، 2019، عدد69.

28. عيد مرعي، دمشق في المصادر الآشورية الحديثة، مجلة مهد الحضارات، العدد الخامس، مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، دمشق، سوريا، 2008.
29. فرح أبو اليسر عبد العظيم، موقف الملك انطيوخوس الرابع من اليهود في فلسطين، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، عدد 25، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، 2008.
30. فكري جواد عبد، كتاب التلمود وأثره في الفكر اليهودي، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 6، جامعة الكوفة، بغداد، العراق، 2007.
31. محمد أبو زيد أبو زيد، أرض الميعاد نظرة قرآنية في العهود التوراتية، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، عدد 85، دمشق، سوريا، 2002.
32. محمد الزين، الحلف المكابي الروماني فصل من تاريخ فلسطين في العشر الهلنستي، مجلة دراسات تاريخية، العددان 68-69، سوريا، 1999.
33. محمد شامة، لا سند تاريخي لادعاءات اليهود في أرض فلسطين، مجلة الرابطة، عدد 443، 2001.
34. محمد صالح توفيق، التابوت في لغة العرب دراسة تأصيلية دلالية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، عدد 13، 1415هـ.
35. محمد عواد حسين، الثورة الرومانية المرحلة الثالثة الصراع بين بومبي وقيصر حتى الحرب الأهلية 78 ق.م_50 ق.م، مجلة عالم الفكر، مجلد 12، عدد 3، الكويت، 1981.
36. الموسوعة الأثرية العالمية، تأليف نخبة من العلماء، ترجمة محمد عبد القادر محمد وزكي إسكندر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة، 1997.

37. نجاة خير الله كاظم، الإمبراطور شلمنصر الثالث (824/858 ق. م) سيرته وإنجازاته، مجلة الأستاذ، عدد 224، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، 2018.
38. هديب يحيوي غزالة، رشا ثامر المهنا، مجد الدولة الآشورية في العصر الحديث (911-612 ق. م)، مجلة القادسية، مج 11، عدد 4، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2008.

رابعاً: المعاجم والقواميس

1. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1987.
2. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979.
3. الحافظ ابي القاسم سليمان بن احمد الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ج 12، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت.
4. الحموي شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان ط 1، ج 1، مطبعة السعادة، القاهرة، 1984.
5. عبد المالك بطرس وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ط 2، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، د.ت.
6. محاسين نجاة سليم محمود، معجم المعارك التاريخية، ط 1، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011.
7. محمد كمال صدقي، معجم المصطلحات الأثرية، ط 1، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1988.
8. معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج 1، ط 2، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مصر، 1970.

9. النجفي حسن، معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم، ط1، بغداد، 1982.
10. هنري. س. عبودي، معجم الحضارات السامية، ط2، طرابلس، لبنان، 1991.
11. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، بيروت، 1979.

خامسا: الأطروحات والرسائل

1. ابتهاج عادل إبراهيم الطائي، اليهود في المصادر المسمارية خلال الألف الأول ق. م، أطروحة دكتوراه، في التاريخ القديم، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2002.
2. إبراهيم محمد علي الهلالي، علاقة بلاد الرافدين بالساحل الفينيقي، من العصر الآشوري الحديث حتى نهاية العصر الكلداني (911ق. م - 539ق. م)، دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، 2013.
3. أحمد زيدان خلف صالح الحديدي، علاقات بلاد آشور مع الممالك الحثية الحديثة في شمال سوريا (911-612ق. م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005.
4. أرحام سلمان سليم العودات، سفر الخروج في تورا اليهود عرض ونقد، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2010.
5. بركات محمد عبد الغني إحميد، حكم هيرودس الكبير على فلسطين (40 ق. م - 4ق. م)، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، فلسطين، 2013.

6. بلقاسم مرزوقي، الديانتان الزرادشتية والبوذية ودورهما في النظام السياسي للشرق القديم في الفترة نابين 630ق. م إلى 630م دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2019.
7. حلمي رسول رضا، بلاد النهرين في العصر الهلينستي (331-126ق. م)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 2015.
8. حمدي سعد علي، العلاقات السياسية بين مملكة البطالمة والمملكة السلوقية وأثر التدخل الروماني عليها، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، كلية الآداب، جامعة طرابلس، طرابلس، 2012.
9. رابح بوترفاس، أسطورة الخلق في ديانات الشرق القديم واليهودية دراسة مقارنة، مذكرة ماجستير، في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، 2013.
10. راجح زاهر محمد محمود، علاقة الأنباط بالدول والشعوب المجاورة، أطروحة دكتوراه، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق، مصر، 2004.
11. راهم نور الدين، التجارة عند الفينيقيين 1200ق. م - 814ق. م، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010.
12. رشا ثامر مزهر المهنا، التطورات السياسية للدولة الأشورية (911-745ق. م)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، كلية التربية، جامعة بابل، 2005.
13. رشاد محمود عبد المجيد بغدادي، العلاقات بين الجزيرة العربية وفلسطين حتى الفتح الإسلامي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1987.
14. رمضان بن يوسف عبد الهادي الصفي، منهج القرآن في التعامل مع جرائم اليهود، دراسة تطبيقية بين الماضي والحاضر، رسالة ماجستير، جامعة غزة، فلسطين، 2009.

15. سايح حليلة، فلسطين بين اليهود والقوى العظمى القديمة، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2013.
16. سعيد عطية علي، النبي إيلاهو وأثره في الفكر الديني اليهودي، رسالة ماجستير في اللغة العبرية وآدابها، كلية الآداب والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة، 1986.
17. شريف قوعيش، دور البحرية الفينيقية في ربط العلاقات الحضارية الباكرة بين الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط وغربه، رسالة ماجستير، في التاريخ القديم، جامعة وهران، 2015.
18. شريف قوعيش، دور البحرية الفينيقية في ربط العلاقات الحضارية الباكرة بين الحوض الشرقي للمتوسط وغربه، رسالة ماجستير، في التاريخ القديم، جامعة وهران، 2015.
19. شرين لبيب خورشيد، داود عليه السلام في القرآن الكريم والعهد القديم (التوراة) دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت، لبنان، 2009.
20. عادل حسين الرحامنة، خروج بني إسرائيل من مصر والمجتمعات المعاصرة له في غربي الشرق الأدنى القديم دراسة تاريخية، رسالة دكتوراه في التاريخ القديم، مج 1، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1998.
21. عادل حسين محمد الرحامنة، خروج بني إسرائيل من مصر والمجتمعات المعاصرة له في غربي الشرق الأدنى القديم، دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1998.

22. عبد الله بن ناصر القحطاني، سفر يوشع دراسة عقدية نقدية، رسالة ماجستير في العقيدة، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، 1436هـ.
23. عبد المالك سلاطنية، المستوطنات الفينيقية البونية في الحوض الغربي للمتوسط، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2010.
24. عبد عمر رشيد بارشيد، موسى وهارون في الأسفار الخمسة، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة، المملكة العربية السعودية، 1426هـ.
25. عفيفي أحمد حسن، عاموس وأثره في الديانة اليهودية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 1973.
26. عماد خضير سلمان، سياسة التهجير الآشوري والبابلي لليهود ودور الفرس في ضوء أسفار العهد القديم دراسة تاريخية مقارنة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2015.
27. فاطمة الزهراء عزوز، الروابط الفكرية الفينيقية العبرانية المعتقدات الدينية الآداب الفنون من ق 10 ق. م إلى القرن 1 ميلادي، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. 2006/2005.
28. فتحي محمد الزغبى، تأثر اليهود بالديانة الوثنية، ط1، أطروحة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، مصر، 1987.
29. كاضم جبر سلمان، صلات العبرانيين بالعراق القديم من بداية العصر الآشوري الحديث حتى نهاية العصر الإخميني، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، كلية التربية، جامعة بابل، 2005.

30. كاظم جبر سليمان، الصلات السياسية والحضارية بين العراق القديم والعبرانيين خلال الألف الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، 2005.
31. لبحور سليمة، الملكة العبرانية في عهدي داود وسليمان في الفترة ما بين 1004-922 ق.م، ماجستير في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منوري قسنطينة، 2009.
32. ليندة بوعافية، منهج الفاروقي في دراسة اليهودية، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص مقارنة الأديان، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010.
33. مجيد جاسم احمد محمد، علاقة بني اسرائيل بارض كنعان في ضوء اسفار العهد القديم واثرها في توجيه الفكر الصهيوني دراسة تاريخية تحليلية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2015.
34. مراد محمد إسماعيل، عصر انطيوخوس الرابع (175-163 ق.م) دراسة سياسية حضارية، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، (2014-2015).
35. مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج1، المرجع السابق، ص555؛ أحمد عيسى الأحمد، داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم، دراسة لغوية تاريخية مقارنة، أطروحة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1990.
36. مي حسن المدهون داود وسليمان عليهما السلام في الأسفار اليهودية عرض ونقد، رسالة ماجستير في العقيدة، ج1، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، 2000.
37. نور مهدي كاظم الساعدي، وراثة الأرض في القرآن الكريم والكتب السماوية، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، مجلس كلية الفقه، جامعة الكوفة، العراق، 2012.

38. هاشم محمد عمر خريس، آثار الأردن وتاريخه في الفترة الفارسية الإخمينية، ماجستير في التاريخ القديم، كلية الآثار والانثروبولوجيا، قسم الآثار، جامعة اليرموك، 2011.

39. هاني عبد العزيز سالم، المكابيون دراسة في الناحية الدينية والسياسية الفترة (167-37ق.م)، رسالة ماجستير في الآداب فرع التاريخ العبري، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 1999.

40. همام حسن يوسف سلوم، سليمان في القرآن الكريم، رسالة ماجستير في أصول الدين، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، 2006.

سادسا: المؤتمرات والملتقيات

1. إلهام محمد هاشم الدجاني، قدسية وعروبة القدس عبر العصور، مركز الزيتونة للدراسات الفلسطينية، بحث مقدم لنيل جائزة القدس عاصمة الثقافة العربية، 2009.

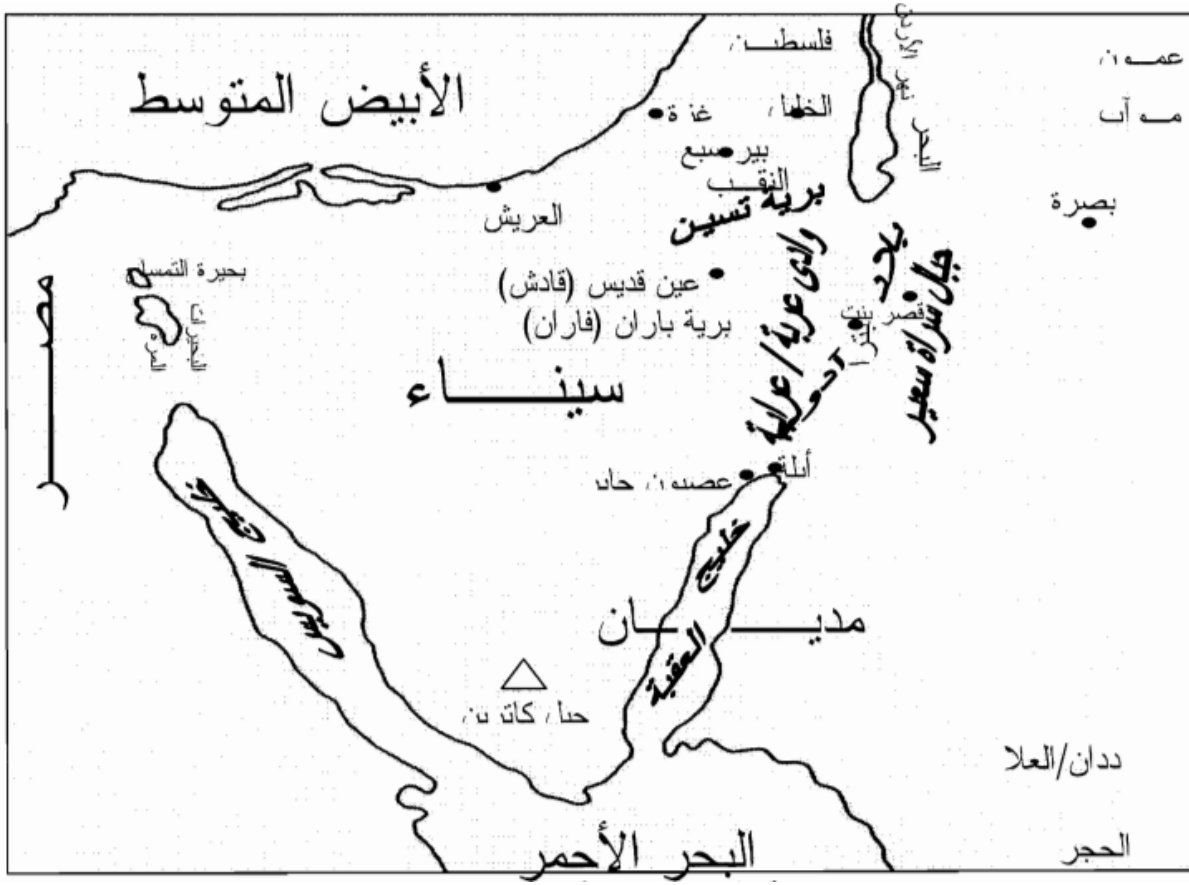
2. زيدان عبد الكافي كفاي، فلسطين بين التوراة والآثار في العصر الحديدي الأول، 1000-1200 ق.م، بحث مقدم للمؤتمر الدولي حول الآثار والسياحة، جامعة النجاح، نابلس في الفترة (10-11/2017).

3. محمد حسن الحداد، أنبياء بني إسرائيل وعلاقتهم بيهود اليوم، دراسة تاريخية من منظور إسلامي، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب جامعة القاهرة، 2011.

4. وهيب طنوس، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، وقائع الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية، جامعة حلب، في الفترة من 19. 09. 1981 الى 24. 09. 1981.

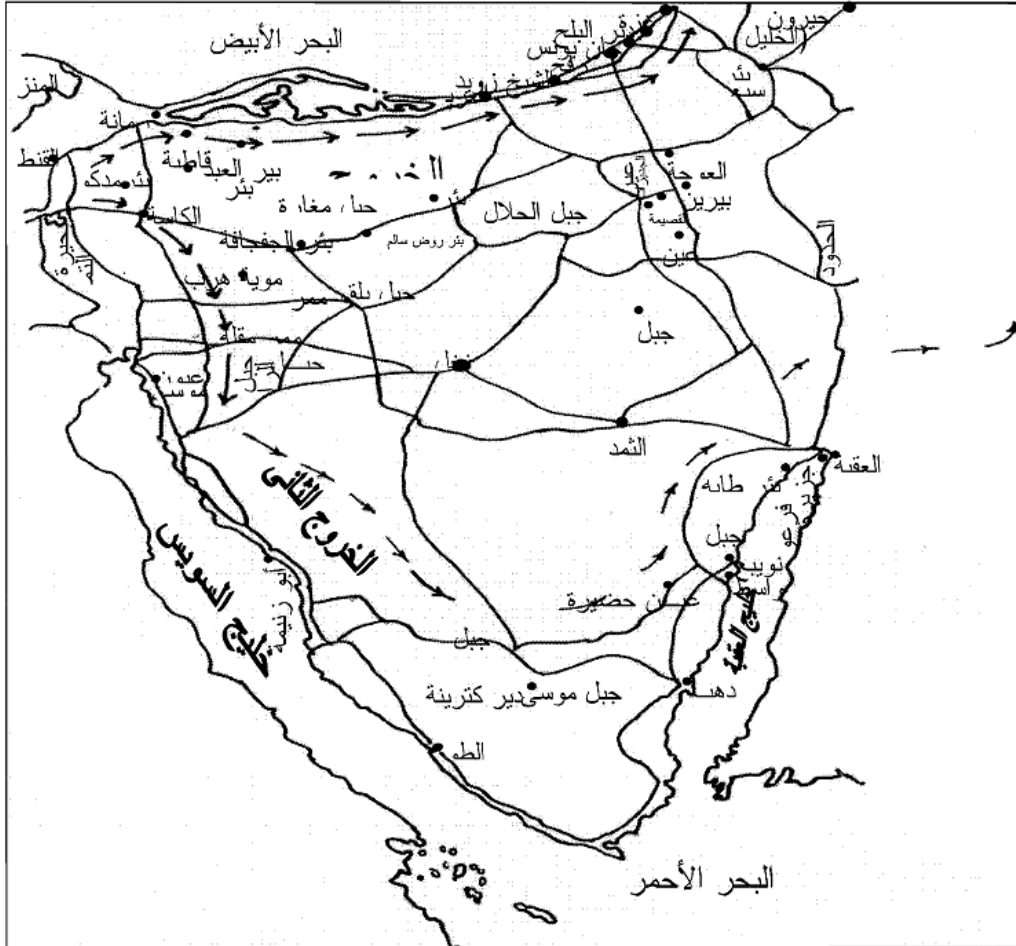
الملاحق

الملحق رقم (01): خريطة تبين موقع بلاد آدوم ⁽¹⁾



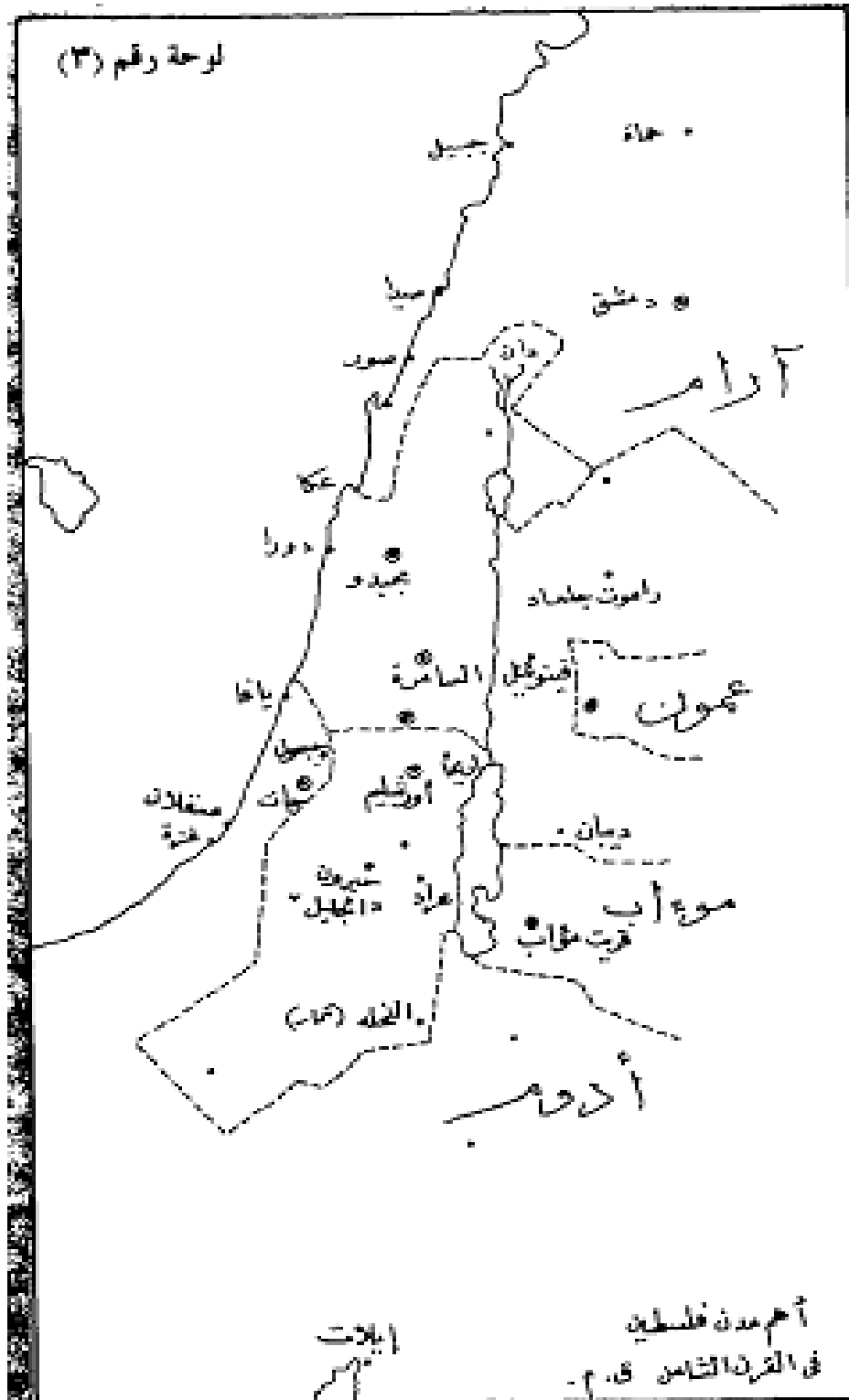
⁽¹⁾ سيد القمني، المرجع السابق، ص 672.

الملحق رقم (02): خريطة طرق خروج سيدنا موسى من مصر. (1)



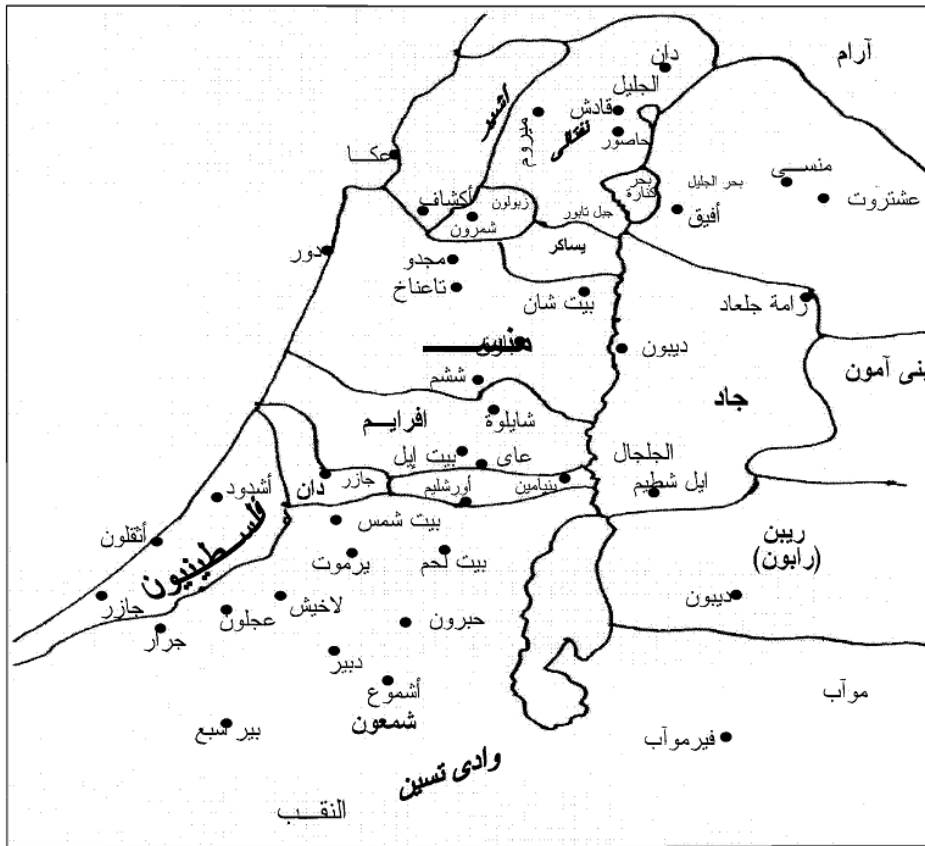
(1) سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 669.

الملحق رقم (03): خريطة أهم مدن فلسطين في القرن الثامن ق.م⁽¹⁾



⁽¹⁾ سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 81.

الملحق رقم (04): خريطة توزيع الأسباط حسب رؤية التوراة على أرض فلسطين. ⁽¹⁾

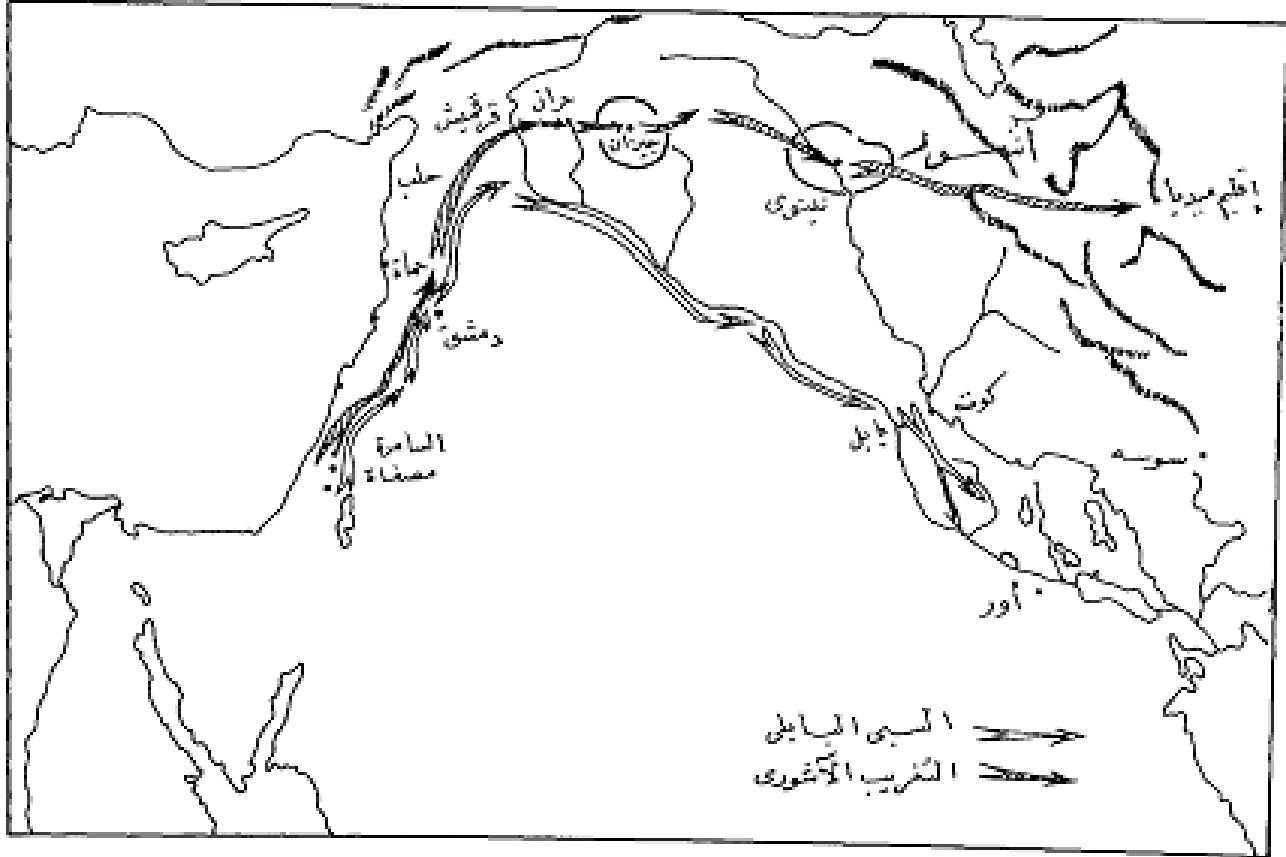


توزيع الأسباط حسب رؤية التوراة على أرض فلسطين

⁽¹⁾ سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 671.

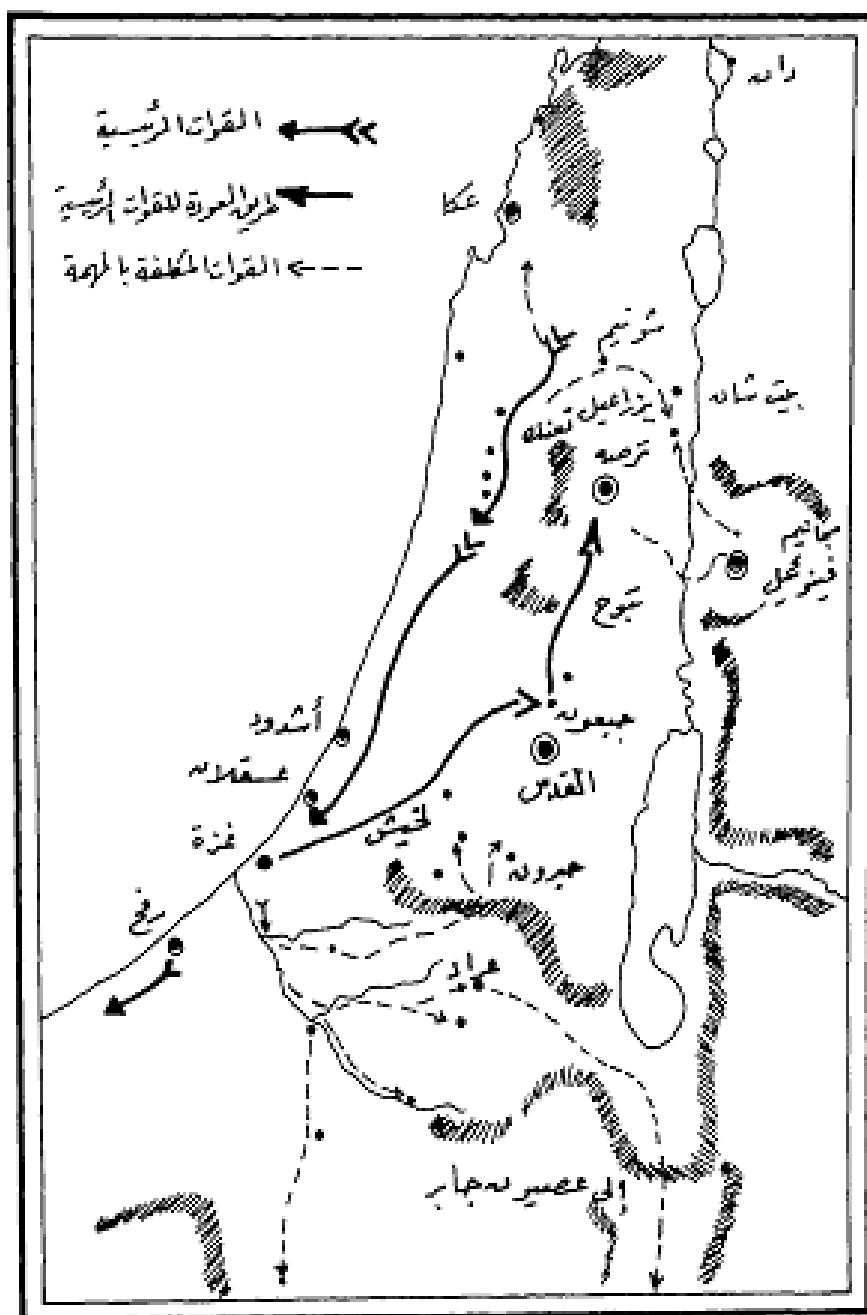
الملحق رقم (05): خريطة التغريب الآشوري لمملكة إسرائيل 722 ق.م والسبي البابلي لمملكة يهوذا

ومناق النفي. (1)



(1) سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 82.

الملحق رقم (06): خريطة حملة ششلق الأول فلسطين (1)



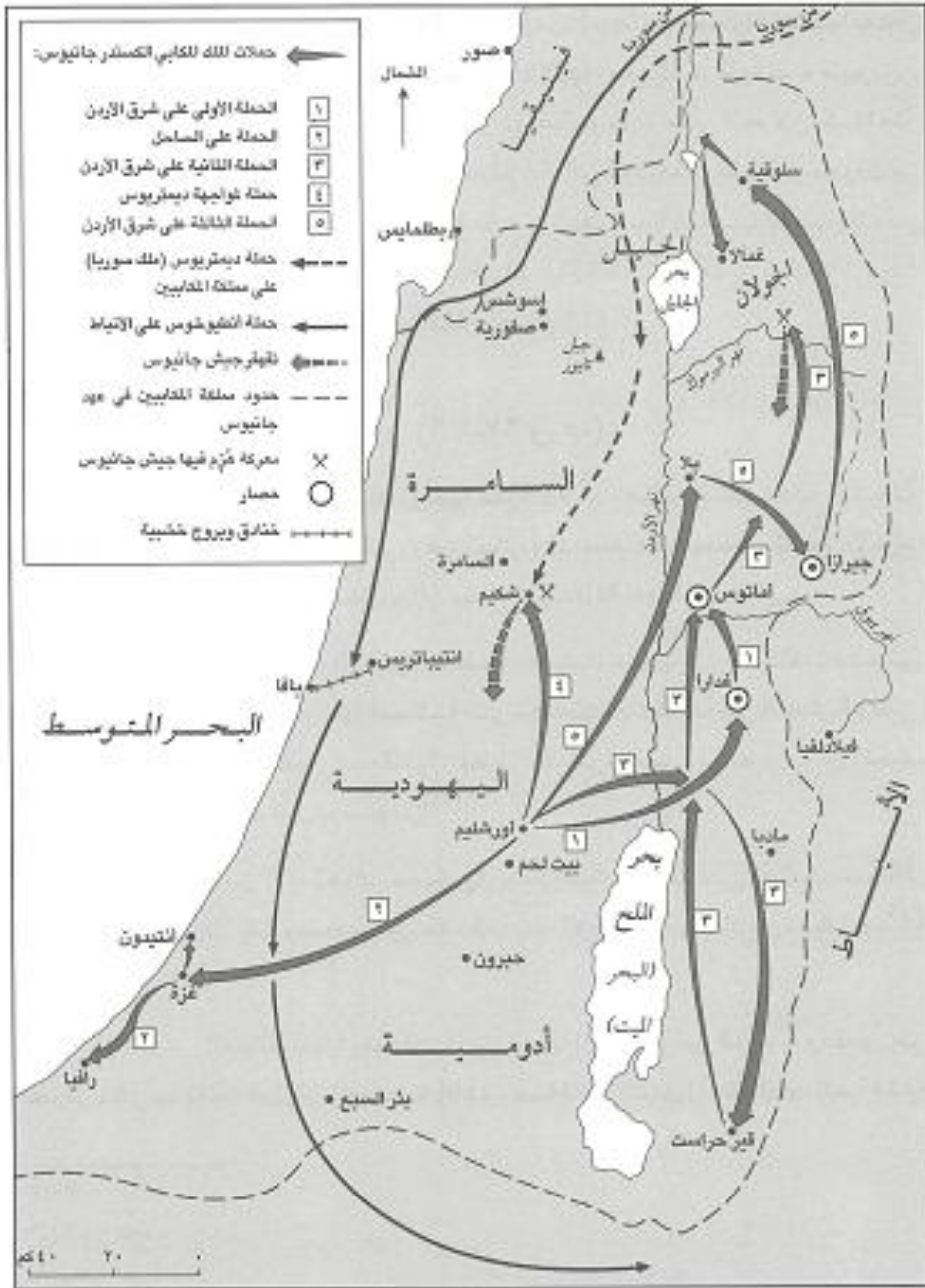
(1) سيد فرج راشد، المرجع السابق، ص 68.

الملحق رقم (07): صورة تبين ركوع الملك ياهو أمام الملك الآشوري شلمنصر الثالث.⁽¹⁾



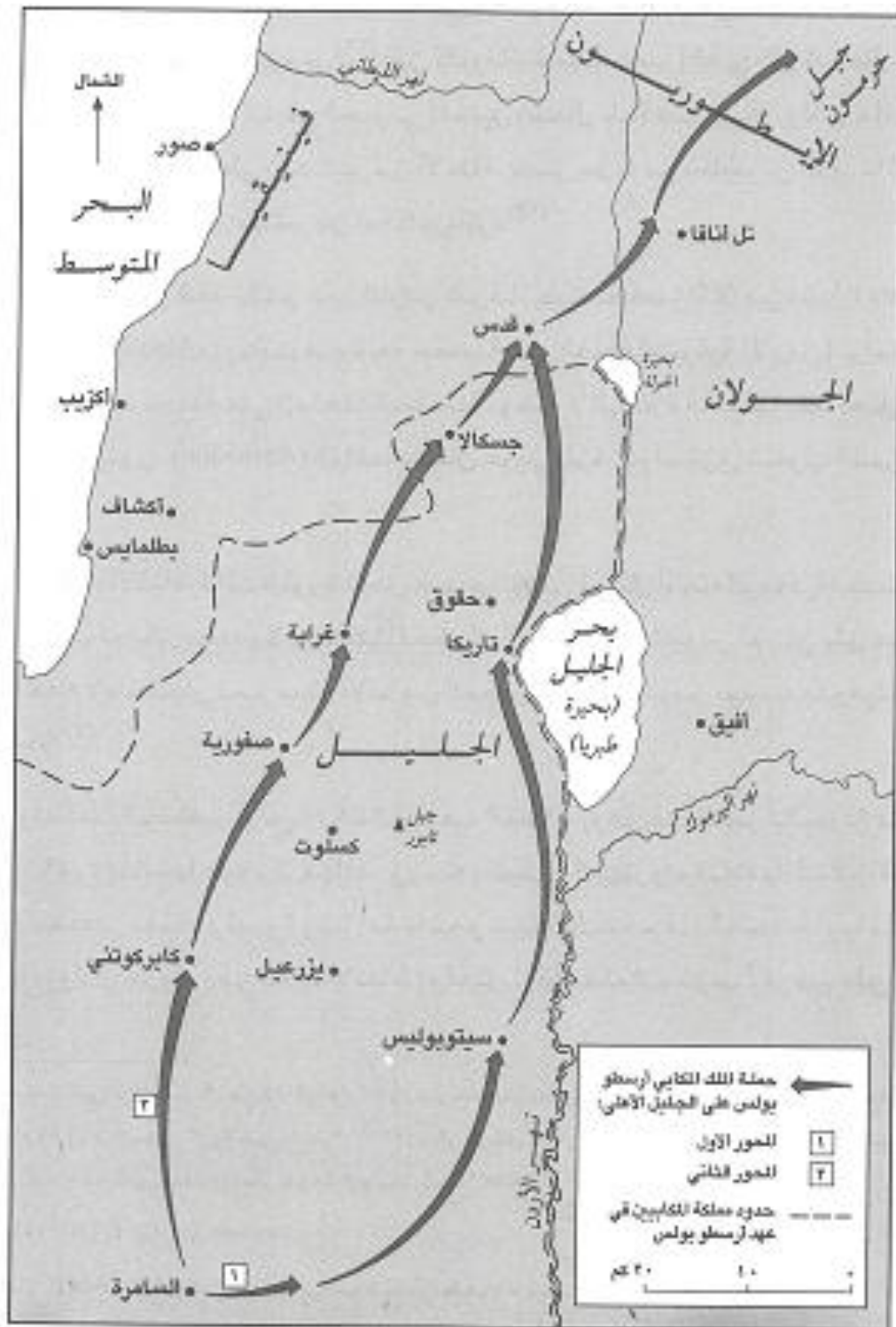
⁽¹⁾ متى المسكين، المرجع السابق، ص 152.

الملحق رقم (08): حروب ألكسندر جانيوس⁽¹⁾



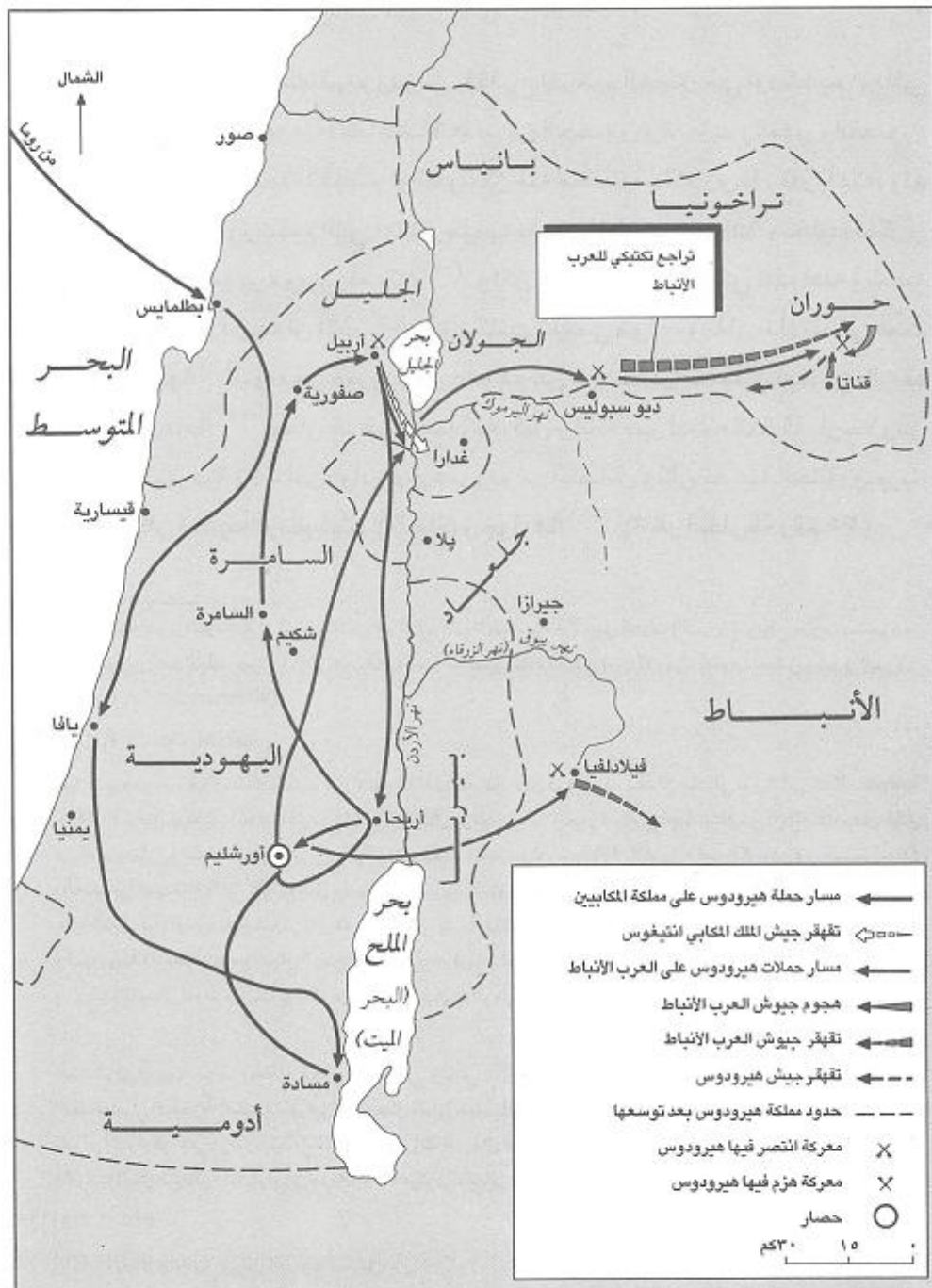
⁽¹⁾ ياسين سويد، المرجع السابق، ص 20.

الملحق رقم (09): حملة أرسطو بولس على الجليل الأعلى⁽¹⁾



(1) ياسين سويد، المرجع السابق، ص15.

الملحق رقم (10): حروب هيرودوس الأدومي⁽¹⁾



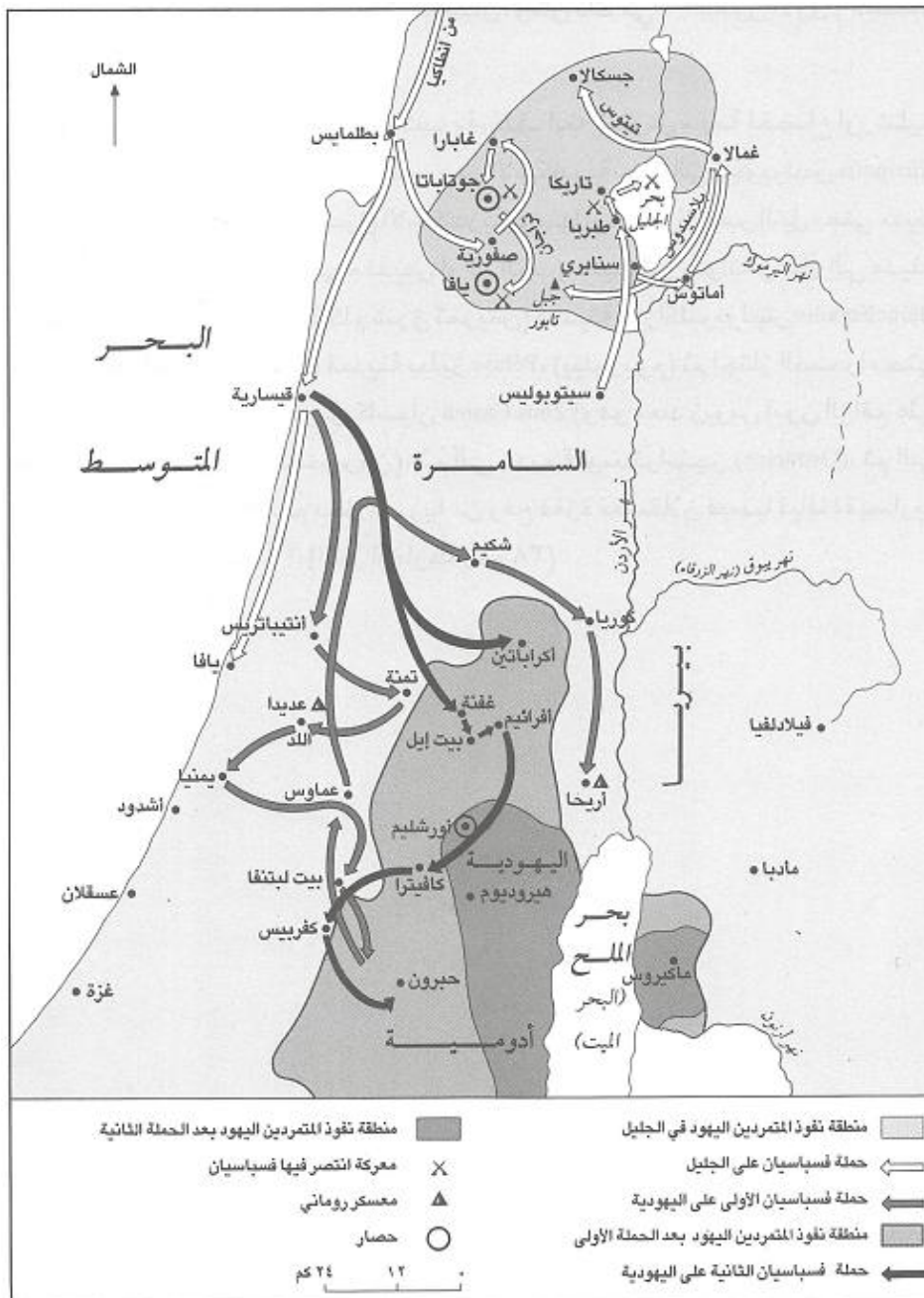
(1) ياسين سويد، المرجع السابق، ص42.

الملحق رقم (11): خريطة حملة سستيسوس غالوس على اليهودية⁽¹⁾



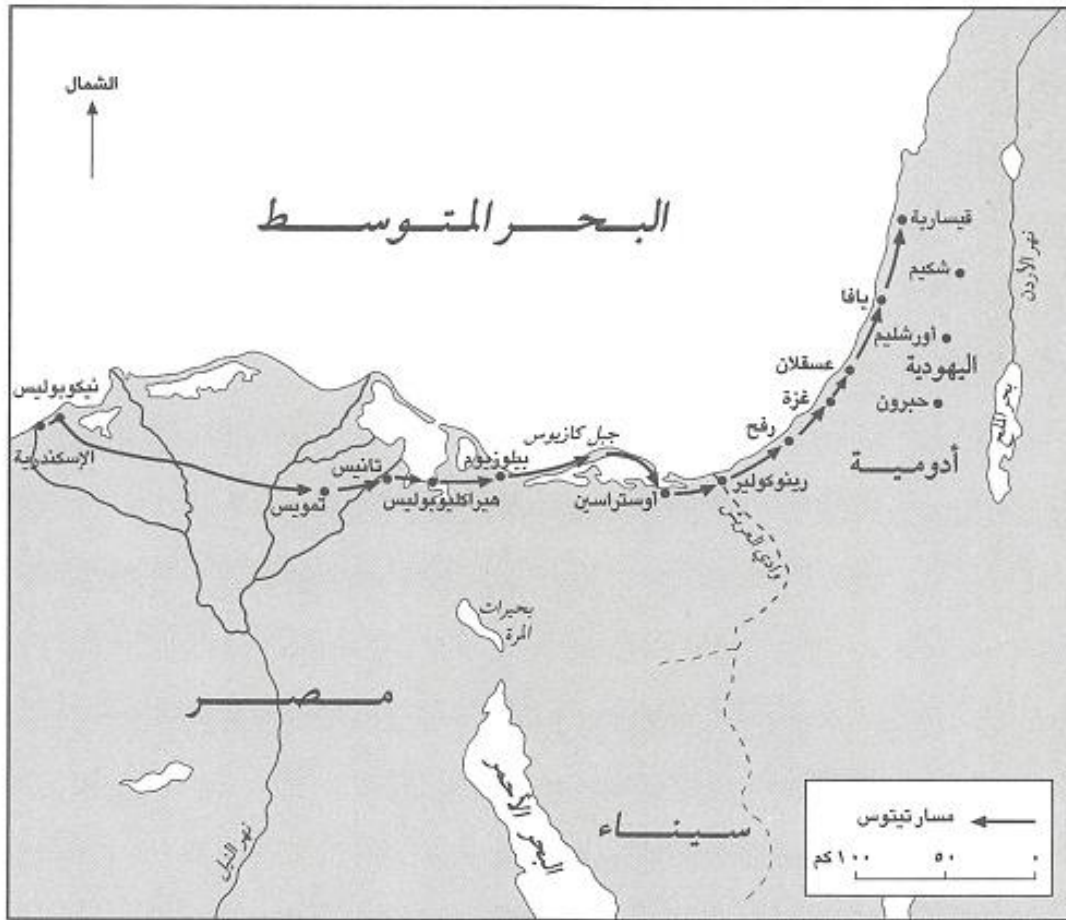
(1) ياسين سويد، المرجع السابق، ص 57.

الملحق رقم (12):خريطة حروب فسباسيان في الجليل واليهودية⁽¹⁾



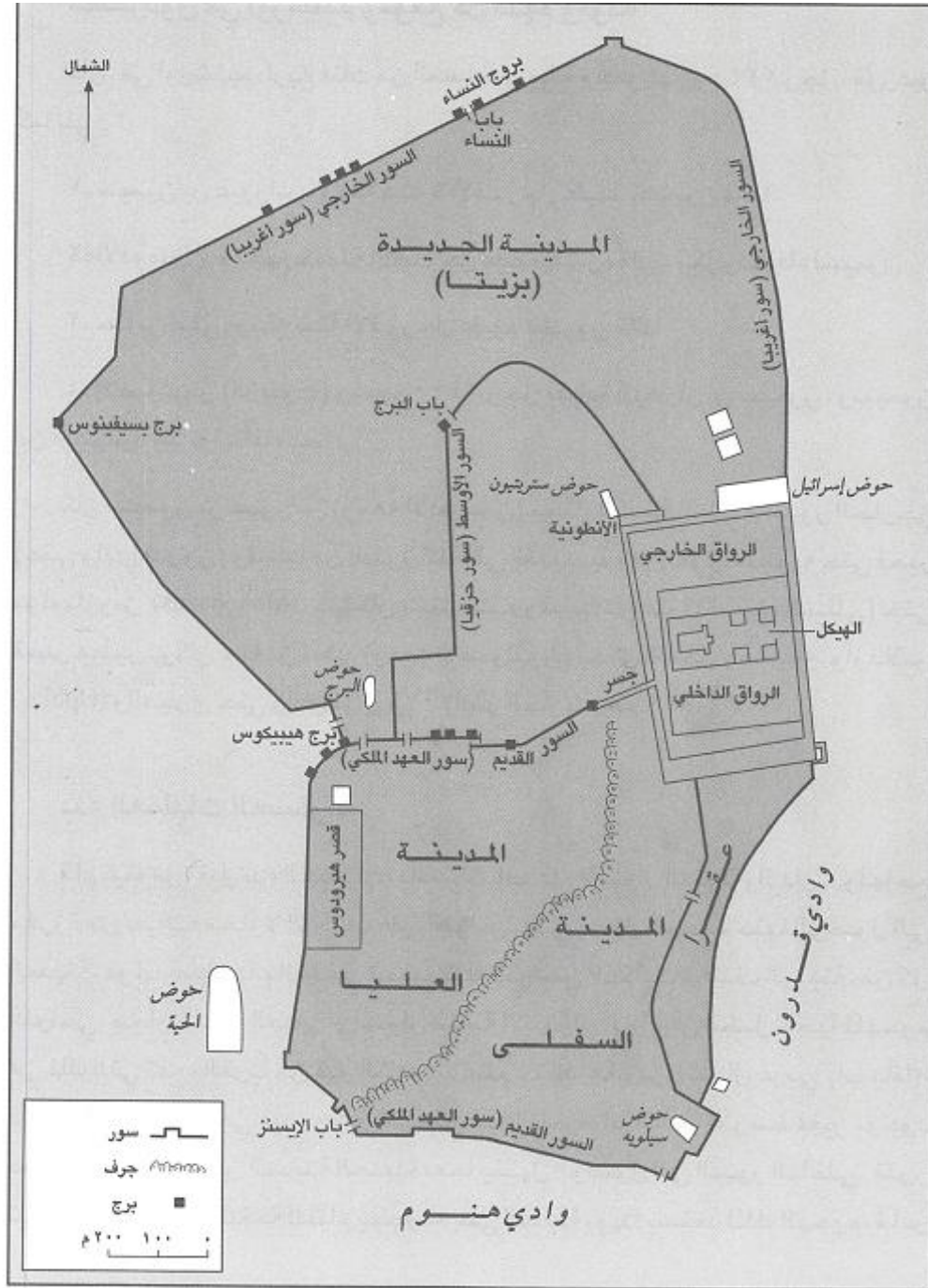
(1) ياسين سويد، المرجع السابق، ص 89.

الملحق رقم (13): خريطة سير تيتوس من الإسكندرية بمصر إلى قيسارية بسوريا⁽¹⁾



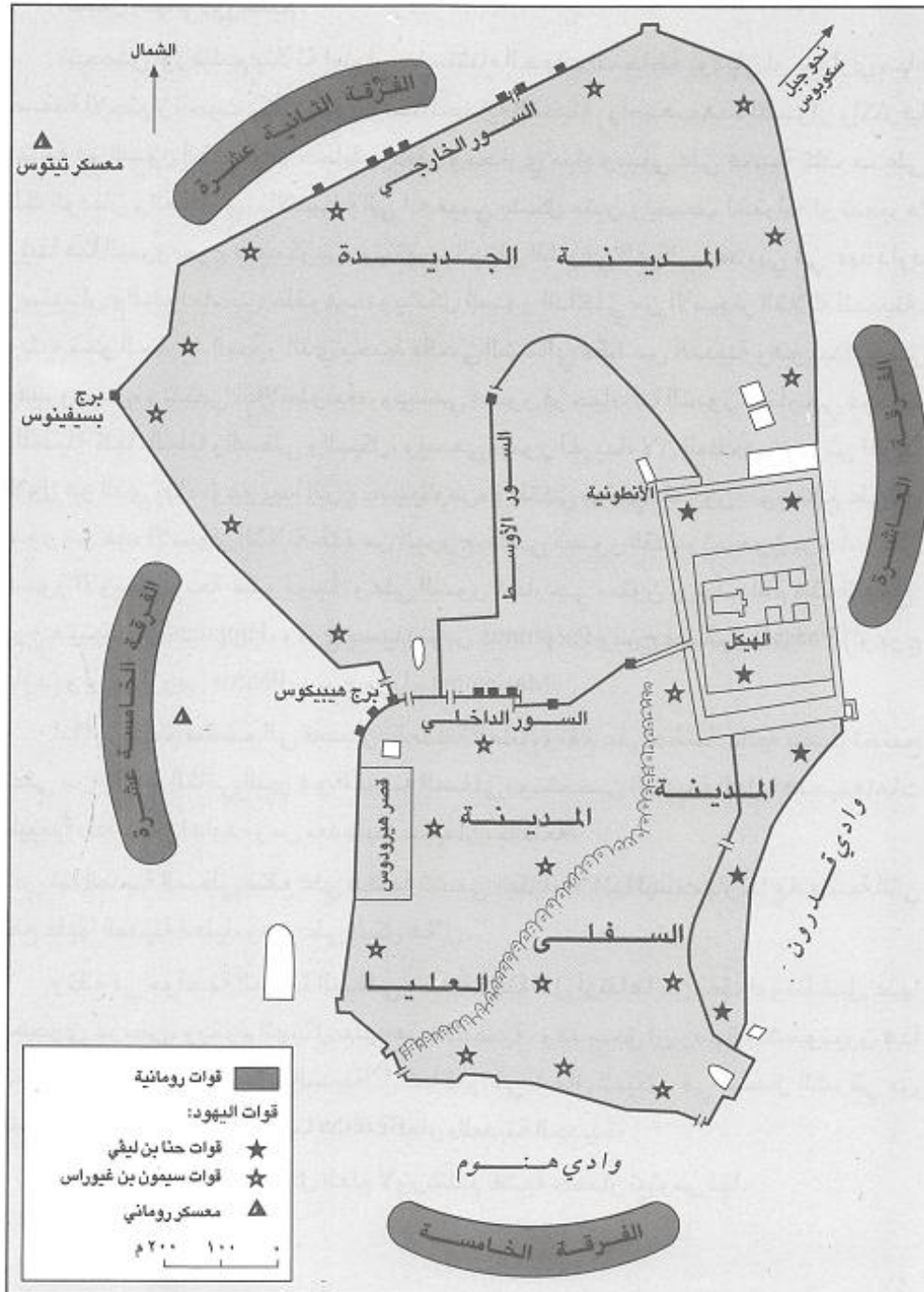
⁽¹⁾ ياسين سويد، المرجع السابق، ص 91.

الملحق رقم (14): خريطة أورشليم في عهد تيتوس (1)



(1) ياسين سويد، المرجع السابق، ص 99.

الملحق رقم (15): خريطة حصار تيتوس لأورشليم (1)



(1) ياسين سويد، المرجع السابق، ص 97.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	شكر وتقدير
	إهداء
أ-ط	المقدمة
	مدخل مفاهيمي: اليهود وإشكالية التسمية
11	1- تباين التسميات ووحدة المسمى
11	- العبرانيون
11	- إسرائيل
17	- اليهود
23	- أهل الكتاب
23	2- مصادر الفكر اليهودي
23	أ/ مصادر كتابية
23	ب/ مصادر شفوية
24	أولاً: المصادر الكتابية
24	1- العهد القديم
26	2- التوراة
28	• أسفار التوراة
28	1/ سفر التكوين: (Genesis)
29	2/ سفر الخروج (Exodus)
29	3/ سفر اللاويين
29	4/ سفر العدد
30	5/ سفر التثنية
30	• سند التوراة وحجيتها

35	ثانيا: مصادر شفوية
35	- التلمود
36	3- العبرانيون وارض كنعان
36	- جغرافية بلاد كنعان
40	- الشعوب التي استوطنت ارض كنعان قبل مجيء العبرانيين
41	• الكنعانيون
44	• اليبوسيون
45	• الفلسطينيين
48	• العموريين
50	• الرفائيون
50	• الآراميون
52	• الآدوميون
53	• المؤابيون
54	4- عقيدة الأرض المقدسة في الفكر اليهودي
59	5- حدود أرض الميعاد المذكورة في الوعد التوراتي والقرآن الكريم
59	أ/ في القرآن
61	ب/ في الكتاب المقدس
61	ب1/ حدود أرض الميعاد في العهد القديم
62	ب2/ حدود أرض الميعاد في العهد الجديد
الفصل الأول: اليهود منذ ظهور موسى عليه السلام حتى قيام الملكية الإسرائيلية	
65	1- بنو اسرائيل في مصر
68	2- موسى عليه السلام مولده ونشأته
70	3- دعوة موسى فرعون للإيمان
72	4- خروج بني إسرائيل من مصر

77	5- أسباب خروج بني إسرائيل من مصر
82	6- بنو إسرائيل في سيناء
84	7- الأمر بدخول الأرض المقدسة وإعراض بني إسرائيل
87	8- غزو يوشع بن نون أرض كنعان بين رؤية العهد القديم ورؤية علم الآثار
87	• يوشع اسمه ونسبه
88	• يوشع يغزو أرض كنعان
96	9- رؤية علم الآثار لغزو بني إسرائيل أرض كنعان
99	- النظرية التوراتية التقليدية
103	- نظرية التسلل السلمي
109	- نظرية ثورة الفلاحين
الفصل الثاني: قيام الملكية الإسرائيلية وبداية التأسيس للكيان الإسرائيلي	
116	1- المملكة اليهودية الموحدة
119	2- طالوت (شأؤول) أول ملوك بني إسرائيل
124	3- المملكة الموحدة في عهد داود
124	3-1/ داود أصله ونسبه
126	3-2/ توليه الملك
130	3-3/ سليمان يرث الملك
131	أ/ سليمان أصله ونسبه
131	ب/ توليه السلطة
134	ج/ معجزاته ومظاهر ملكه
136	د/ أعماله

137	• سياسته الداخلية
140	• النشاط العمراني والتجاري في عهد سليمان:
الفصل الثالث: يهوذا والسامرة من الانفصال إلى التمزق والشتات	
150	1- المملكة الإسرائيلية بعد وفاة الملك سليمان:
155	2- مملكة الشمال وأهم ملوكها
157	- يربعام بن نباط (يربعام الأول)
158	- ناداب بن يربعام (909-908 ق.م)
158	- بعشا بن أخيا: (906 ق.م-882 ق.م)
159	- إيلة بن بعشا: (883-882)
159	- عمري: (882-871)
160	- الملك أخاب: (871-852)
160	3- مملكة الجنوب (يهوذا 1020-586 ق.م)
161	4- الصراع بين مملكتي إسرائيل ويهوذا
163	5- حروب المملكتين مع القوى الأخرى
165	6- الاطماع الآشورية والبابلية في مملكتي إسرائيل ويهوذا
165	- النفوذ الآشوري
166	- اليهود في ظل الحكم الآشوري
167	أولاً: عهد الملك شيلمنصر الثالث (858 - 824 ق.م)
168	• في عهد آحاب بن عمري
174	• يهورام بن آحاب
175	• ياهو بن شافاط

177	ثانيا: في عهد ادد نراري الثالث (811-783)
177	• يهواآحاز
178	• يهواش بن يهو آحاز
179	• يربعام بن يهواش (يربعام الثاني)
180	- التهجير الأشوري وسقوط مملكة إسرائيل
182	• مراحل التهجير الأشوري لليهود
187	- النفوذ البابلي
189	7- الحياة الاجتماعية والدينية في مملكة يهوذا والسامرة
189	- الحياة الاجتماعية
190	- الحياة الدينية
191	• الأصول الشرقية للطقوس اليهودية
193	• القربان البشرية
194	• القربان الشفوية
الفصل الرابع: اليهود في ظل هيمنة الامبراطوريات الكبرى	
196	1- بنو إسرائيل في عهد الإمبراطورية الفارسية
196	- اليهود في ظل النفوذ الفارسي
199	• مرسوم كورش بين الحقيقة التاريخية والخيال الأسطوري
201	2- بنو إسرائيل في عهدي البطالمة والسلوقيين
208	- سياسة انطيخوس الرابع وبداية حركة التمرد المكابي
209	• الثورة اليهودية بزعامة يهوذا المكابي (166ق.م-160ق.م)
213	• الثورة بقيادة سمعان (143-134ق.م)

214	• الثورة المكابية بقيادة يوحنا هيركانوس (134 - 104 ق.م)
215	• الثورة المكابية بقيادة الكسندر ينايوس (exander Jannaeus)
215	• الثورة المكابية بقيادة الكسندرا سالومي (Alxandra salome) 76 ق.م 67 ق.م
217	3- بنو إسرائيل في ظل النفوذ الروماني (63 ق.م - 70 م)
218	- اليهود في فترة حكم جابينوس (Gabinu) 57 ق.م - 55 ق.م
221	- مرحلة حكم هيرودس الكبير (37 ق.م - 4 ق.م)
224	• حكم خلفاء هيرودوس
227	4- الحرب اليهودية الرومانية من نيرون إلى تيتوس (66م - 70م) ودمار أورشاليم (القدس)
227	- الأوضاع العامة لليهود قبيل الحرب
230	- اليهود يعلنون التمرد
231	- فاسباسيان يقود الثورة ضد اليهود
232	- تيتوس يتسلم القيادة
235	خاتمة
238	قائمة المراجع
282	الملاحق
298	فهرس المحتويات